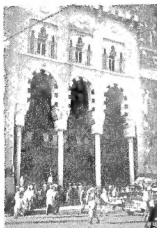






المسجد النبوي الشريف والمدينة الخضراء .



**المسجد الحرام اقدم المساجد**  
**وافضلها ، واوسعها ، ويتكون من**  
**طابقين ويتسع لـ ٣٠٠ ألف ، وتبلغ**  
**مساحته ( ١٦٠١٦٨ ) مترا مربعا ،**  
**في الصورة منظر رائع لأحد مداخله**  
**بعد التوسعة الأخيرة وهو تحفة**  
**فنية جميلة .**

الثمن		
٥٠ فلسا	الكويت	
١ ريال	السعودية	
٧٥ فلسا	العراق	
٥٠ فلسا	الأردن	
١٠ قروش	ليبيا	
١٢٥ مليما	تونس	
دينار وربع	الجزائر	
درهم وربع	المغرب	
١ روبية	الخليج العربي	
٧٥ فلسا	اليمن وعُدن	
٥٠ قرشا	لبنان وسوريا	
٤٠ مليما	مصر والسودان	

#### الاشتراك السنوى للهيئات فقط

فى الكويت ١ دينار  
 فى الخارج ٢ ديناران  
 ( او ما يعادلها بالاسترلينى )  
 اما الافراد فيشتركون راسا  
 مع متعهد التوزيع كل فى قطره

#### عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد  
 وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية  
 ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ - الكويت

## الوعى الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

السنة السادسة

العدد الحادى والسبعون

ذى القعدة سنة ١٣٩٠ هـ

٢٩ ديسمبر « كاتون الاول » ١٩٧٠ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ  
 الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية  
 والسياسية

# وقل رب زدني علما

تفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفظم  
الساعة الرابعة من بعد ظهر السبت - ١٧/١٢/٥  
بافتتاح الاجتماع الثاني للدورة الرابعة لمجلس اتحاد الجامعات  
العربية وحل توزيع شهادات الدرجات العلمية على خريجي  
الدفعة الاولى من جامعة الكويت .  
وقد بدأ الحفل بالسلام الاميري ، ثم مر موكب اعضا  
مجلس الجامعة والاساتذة وبعد ذلك أحد طلبة الجامعة  
آيات مباركة من كتاب الله . ثم قام وزير التربية  
صالح عبد الملك الصالح و مدير الجامعة الدكتور عبد الفتاح  
اسماعيل بدعوة صاحب السمو الأمير المفظم لالقاء النطق  
الاسمي التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الضيوف الكرام ، حضرات السادة ، ابناي الطلاب  
والطالبات .

انه لمن دواعي سروري ان افتتح اليوم الاجتماع الثاني للدورة  
الرابعة لمجلس اتحاد الجامعات العربية ، هذا الاتحاد الذي كان  
انشأه في عام ١٩٦٤ فكرة موفقة ونرجو ان يحقق اهدافه السامية  
بتوثيق عرى التعاون بين الجامعات العربية الممتدة من الخليج الى المحيط  
ورفع مستوى العلم الجامعي بما يكفل للشباب العربي بلوغ القدر الامكن  
من الكفاية والنهوض بالبحوث العلمية والتطبيقية بشتى المجالات . كما  
يسرنا ان نحتفل اليوم لأول مرة بتوزيع شهادات الدرجات العلمية على  
خريجي الدفعة الاولى من طلاب وطالبات جامعتنا .

وهكذا شاعت الظروف ان تشاركنا الجامعات الشقيقة فرحتنا  
بقطف الثمار الاولى لجامعتنا الفتية . كما شاركنا من قبل منذ حوالي  
اربعة اعوام في حفل افتتاح هذه الجامعة التي اردنا لها ان تتوج هامة  
التعليم في بلادنا لتكون صرحا شامخا وحصنا للفكر والبحث العلمي .





مجدد البعث  
يختم بفتح الاجماع الثاني للدورة الرابعة لمجلس الفصل  
العمليات العربية وهل توزيع شهادات الدرجات الطبية على  
خروجي النعمة الاولى من جامعة الكويت .

ودعامة راسخة للمستقبل نصون بها نهضتنا ونقيها عوامل الجسود  
والتخلف .

لقد هيا لكم وطنكم السبل للتزود من العلم في اعلى مراتبه لكي  
تحملوا نصيبكم انتم ومن ياتي بعدكم من الخريجين ، من المشاركة في بناء  
هذا الوطن على اساس الايمان والاخلاص والوفاء . وبهذا يستطيع  
بلدنا الحبيب ان يجابه تحديات عصر اصبغ العلم فيه امضى الاسلحة ،  
ويسهم في جهود امتنا العربية من اجل احياء تراثها المجيد ، وتحقيق  
المزيد من تقدمها وازدهارها .

ويطيب لي في هذه المناسبة ان اقدم لكم من كل قلبي اخلص التهنية  
لتخرجكم متمنيا لكم مستقبلا سعيدا مثمرا ، كما يطيب لي ان اوجه التهنية  
الى ابناء الخليج العربي وابناء البلاد الشقيقة والصديقة الذين تخرجوا  
معهكم بعد ان نهلوا من نفس نبعمكم .

وانه ليعنني في ختام هذه الكلمة ان اوجه اطيب التحية والتقدير  
الى اساتذة جامعتنا وجميع العاملين فيها والى الضيوف الكرام الذين  
شاركونا يوما هذا .

والله اسأل ان يوفقنا جميعا لما فيه الخير العيم لبلادنا وامتنا  
العربية والاسلامية والانسانية جمعاء وان يهيء لنا سبل النصر المؤزر من  
عنده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

## الهدى في الحج

تكثر الاحاديث في هذه الايام حول الذبائح التي يتقرب بها الحجاج الى الله تعالى في موسم الحج ، ومن خلال هذه الاحاديث نلمح ظاهرة غريبة تبدو هينة في نظر المتحدثين ، ولكنها كبيرة عند الله ، فكل واحد منهم يعطى نفسه ببساطة وسهولة حق الفتيا والجرأة على شريعة الله ، ولو ان هؤلاء المفتين الجراء على دين الله ردوا الامر الذي اختلفوا فيه الى الله ورسوله وأولى العلم لما وقعوا في هذا الحرج ، معرضين انفسهم لغضب الله ومقته ، ورحم الله السلف الصالح الذين كان الفرد منهم يؤزن بالدنيا عليها ومفضلا ، ومع ذلك فقد كان لا يفتي في امر من امور الدين الا عن روية ودراية خوفا من أن يدخل تحت طائلة « أجروكم على الفتيا أجروكم على النار » .

أما في احصائية نشرتها حديثا احدى المجلات الاسلامية ، ونسبتها الى أحد الأطباء البيطريين الذين اشرعوا على المسلخ في منى خلال موسم الحج الماضي .. تقول الاحصائية ان ( ٧٤٥٠٠٠ ) رأس ذبحت في المسلخ أيام عيد الاضحي ، ولكن التي خرجت من هذه الكمية الضخمة للانتفاع بها هي ( ٢٠٠٠٠ ) عشرون ألف رأس فقط يعني أن الباقي من الذبائح وقدره ( ٧٢٥٠٠٠ ) رأس دفنت في التراب ، وذهبت هدرًا دون أن ينتفع بها أحد هذا فضلا عن الماشية التي ذبحت خارج المسلخ ، وهذا يعني على اقل تقدير أن ثلاثة أرباع المليون من الانتعام بلحومها وجلودها واصوافها تذهب كل عام هدرًا .

هذه أعداد ضخمة ، وثروة طائلة من غير شك ، وهذه مشكلة قائمة تستلزم التفكير والحل السريع ، ولكن المفتين وأصحاب الحلول يختصرون الطريق ، ويندفعون الى التخلل من احكام الله ، ويبرون الاستعاضة عن الذبح بالنقود وتوزيعها على الفقراء وأصحاب الحاجة ،

أن الامر لو ترك لامثال هؤلاء بخللون ويحرمون ، ويتأولون ما لا يفقهون باسم يسر الشريعة وتطورها مع كل زمان ومكان — لأدى ذلك على ممر الايام الى التعديل والتغيير في صور العبادات ، وما أيسر ذلك على أصحاب القلوب المريضة والافكار المشادة .

وقد تنبه الى خطر هذه الجرأة على دين الله العلماء الراسخون . قال

الشيخ محمود شلتوت : ان الهدى من شعائر الله التى يجب المحافظة عليها ، ولا يصح التهاون فيها واغفالها ، وحسبنا « لا تحلوا شعائر الله » والشعائر هى العلامات الواضحة الظاهرة التى اعتبرها الدين مظهرا من المظاهر العامة ، وهذا لا يتحقق الا بعمل ظاهر يراه الناس فى مناسبات خاصة .

ان للشعائر فى نظر الاسلام مكانة الفروض المقدسة ، وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء فى ذبائح الحج ، ولم تر لواحد منهم خلافا فى ذلك نزولا على حكم الآية الصريحة الواضحة وهو التقرب الى الله بآراقة الدم ، ولله سبحانه ان يعتمد عباده بها يشاء . بها يدركون حكيمته ، وبها لا يدركون ، وما كان اختلاف الفرائض فى عدد الركعات والكيفيات وتحديد الاوقات واختلاف مقادير الزكاة والكفارات وسائر ما دخل فى العدد او اعتبرت فيه الكيفية الا نوعا من التعبد الذى يتجلى فيه بوضوح مقتضى العبودية الحققة .

ان النفع المادى ليس هو كل المقصود من الذبح وآراقة الدم ، والذين ينظرون الى الهدى من خلال هذه الزاوية يبعدون كثيرا عن فقه التشريع الذى يربط بين الهدى الذى ينحره الحاج وتقوى القلوب ، ان التقوى هى الغاية من مناسك الحج وشعائره وقد كان المسلمون الاولون يغالون فى الهدى ويختارونه سميئا غالى الثمن ، يعلنون بذلك تعظيمهم لشعائر الله ... روى عن عبد الله بن عمر قال : اهدى عمر نجيبا ، فأعطى بها ثلاثمائة دينار ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله انى اهديت نجيبا ، فأعطيت بها ثلاثمائة دينار ، فأبغيعها واشترى بثمنها بدنا ؟ قال : لا انحرها اياها .

ان الذين يحملون التشريع مسئولية ضياع هذه الثروة غير منصفين ، والذين يتناولون النصوص الصريحة ، ويرون استبدال النقود بالهدى بعيدون عن الصواب ، فكثر الذبائح فى منى يرجع الى امرين :

١ - عدم الالمام بأحكام الشرع فى الهدى ، فالشريعة لا تفرض على كل حاج ان يذبح وانما أوجبته فى بعض الحالات كالتمتع أو ترك واجب من واجبات الحج ، أو فعل محرم من محرمات الاحرام ، وليس كل الحاج متمتعا ولا تاركا لواجب ولا فاعلا لحظور ، كما ان الشريعة لم تفرض على كل من وجب عليه الدم أن يذبح فى منى وفى أيام النحر .

٢ - الاهمال والتقصير فى استخدام الطرق العلمية الحديثة فى حفظ اللحوم والانتفاع بها على مدار العام ، غلباذا لا تنشأ هيئة اغائسة اسلامية تقوم بجميع هذه الذبائح وحفظها وتوزيعها على مئات الالوف من المسلمين المشردين المتكويين فى العالم الاسلامى ... انما فى عصر تغمر فيه أسواقنا اللحوم المثلجة والمعلبة المستوردة ... ان دين الله يسر ، ولكن فى العتول ضسيق وفى الجهود قصور ، ولا يمكن أن نحصل التشريع آثار هذا الضيق ، ولا نتائج هذا القصور .

**ميراث النبى**

**مدير ادارة الدعوة والإرشاد**

# من الكلام الطيب

للكُتُور: علي عبد المنعم عبد الحميد

المستشار الثقافي لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال : « يا غلام اني املك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان يضروك بشيء لن يضروك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على ان يفيروك بشيء لن يفيروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف » .

حديث حسن صحيح

يعلم ، وفقه ما لا يدري ، وانفتاح سبل وكوى المعرسة الكليسة والجزئية ، فليتجه الى الله وحده ، ومن طلب المسال والجاه والبسطة في الرزق واتساع السلطان فلن يجد امس ذلك كله الا عند الله ، ومن رام ما يرام من فضائل الوجود ومزاياه المثبتة في جبال اتساقه ، وبداعة تشيقه ، وعمق دلالاته على موجد الحق ، فلا مناص له من ان يطرق ابواب رحمة الله ، فكل ما ترى وما لا ترى مما يحس وما لا يحس من كائنات علوية وارضوية مكونة ومقدرة ومرسومة على الواح الطبيعة من ابداع رب كل شيء .

واقتضت حكمة الله وقامت على ذلك البراهين الواقعية والعقلية على ان الاخذ في الاسباب للوصول الى الاهداف شيء لا بد منه ، ولا مناص

١ - اؤدب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما خلفه ، وتحدث اليه طويلا موجها الى الله ، ودافعا الى اساس السعادة ومعدنها ، وحكى ذلك ابن عباس فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الى قولا حكيا ، ورسم لي خطة شاملة للسير في الحياة الدنيا ، وبدأ حديثه الشريف بقوله عليه الصلاة والسلام : « يا غلام او يا غليم : احفظ الله يحفظك » وبدهى لسدى ذوى البصائر ان الله مالك كل شيء وخالفه وبدبره ، لا يعزب عن علمه ، ولا يبعد عن قدرته كائن ، لانه سبحانه المكون ، والبارئ والموجد ، والمبدئ والمعيد ، فمن اراد القوة والسيادة والقيادة الحققة المنتجة للخير ، النافعة للبشرية ، فليشدها في رحاب الله ، ومن احب علم ما لم



عنه ، ولا محيص من التمسك به ، فمن أراد اجتياز قناة صغيرة لا يتأهب له كما يعد عدته للمسفر الطويل على متن الأوقيانوس مشلا ، ومن رغب الوصول الى هدف قريب يقاس بالأمطار ، لا يهيء له القوى التي تلزم للمسافات البعيدة أميالا ، ومن أحب مشاهدة منظر الى جواره على حائط أو بساط الطبيعة لا يحتاج الى منظار يقرب ما نأى عنه وبعد ، فلكل شيء وسيلة مناسبة ، ولكل عمل جهد يوافقه ، والنفوس تتفاوت في الهمم ، والعقول لا تتساوى في الإدراك ، والقوى لا تتقارب في الشدة والضعف ، تلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة تغييرا .

٢ - ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاس به في توجيهه وقيادته بشر ، وإن كان من طينة الأناس فهو المختار ، والمصطفى لمهمة لا نظير لها ولا مشابه ولا مماثل ، مهمة دون الوصول الى غايتها تدق الأعناق ، وتتلاشى القوى ، تلك هي وضعه أسس كمال انساني في كل صور ذلك الكمال ، مهمة هي تبليغ تعاليم رب القوى والتصدر الى من فضلوا على بعض من خلق ليقودوا كل من خلق ، وأوجدوا لغاية أرادها الله ، ومن أجلها يراهم ، مهمة تتمثل - أن صح القياس - في قوة أصول كل ما يفكر فيه بشر من خير يرتقى بالإنسانية ويعلو بها الى مدارج السماء وأسبابها ليتصلوا بالأسلاك الأعلى ملائكة ويتجافوا عن الأرض فلا يلتصقوا بترابها شباطين ، تتمهد الطفل والصبي بحكمته والشاب والشارخ والكهل والشيخ برعايته ، وهدايته بإذلا صلى الله عليه وسلم جهدا لا يقوى عليه بشر من البشر إلا

رسول مشمول برعاية الله وهدايته وتوجيهه وأرشاده وأعداده الطويل لتلك المهمة الشاقة ، ولكل هذا صبر مع صنوف الناس حتى وصل بهم الى ما أراد الله من معرفة بالدين وفقه للتواعد وأدراك للأحكام ، ما ترك شيئا إلا دل عليه ، وأخبر عنه ، ووضحه ، وأبرزه لذي عينين ، وفقه ذلك صحابة وتابعون وتابعوهم ، وما كان ذلك مهما كان لينع وتوقع بعض الشرور التي تغتال الأرواح وتعدو على المال ، وتنتهك الأعراض لأن هذا من سنة الله أيضا ، وهو أن يتعاور الخير والشر على هذا الوجود ، والموفق السعيد من لاذ بحصى الله وقوته ، وعزف عما يريده في مهوى الشر والهلاك ، وتمسك بحبل الله ، والقي رحاله في رحابه ، ولا يجيء ذلك عفوا دون أعمال جهد وأرهاق نفس ، وتكوين معوج فلا بد من عمل ولا مناص من أرهاق في سبيل الهدف ، ولا يمكن أن يصلك أو تصل الى ما تبغى دون جهد جهيد ، وعمل دائم ، وتجفاف عن الراحة ، وإطراح للذات الأنفس الفانية ، فمن تواكل تاكل ، ومن ضعف عن السير هلك في صحراء الوجود ، وتاه في ببدائه ، ومن لم يعمل جهده البدني والفكري والعصبي ويلقى بلذوه في الدلاء يموت ظمأ على حافة بئر ملء بالماء ، ولكن لا بد من الأسباب يا أبناء الدنيا .

٣ - وبخى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرقيق الأعلى ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ) وانقلب الناس على أعقابهم وخاصة في عصرنا وما سبقه من عصور تتصل بأسواره وتلاصق جدرانها ، وحقت كلمة الله ( نسوا

٤ - وجملة واحدة من توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ( احفظ الله يحفظك ) تلوى عنان الشر وتقضى على الظلام ، وتعلو راية الحق ، ولكن كيف ؟! هذا لا يكون الا بالتربية من الأساس ، والتنبه لماسى الانحراف ، والضرب بشدة على أيدي قادة الحروب السذيين يعيشون للعمل ضد الانسانية ، وما وسيلته الا تنشئة جيل وتربية اطفال وتبديل انواع الالبان التي يتكون منها العظم حين يبدأ في الاستداد ، والاعصاب حين تحاول احتلال مكانها في الميدان ، ووضع مرائي جديدة أمام الاغين الناشئة ، وملاحقة ذلك باخلاص ونور ، باخلاص الانبياء ونور الله وهدايته ، ليتكون جيل على نفس المبادئ النابعة من ( احفظ الله ) لتحقيق النتيجة الحتمية ( يحفظك ) وانى ذلك وكيف يتدارك ؟ انه ممكن وليس محالا ، فما في الدنيا محال ما دامت للرجال عزائسهم ، وللنساء قلوب ، ولدى الجميع تراحم ، وأمامهم قيادة ، والكل ممكن تحقيقه حين نؤمن باننا جديرون بحياة كريمة وحقيقون بسلام اسلامي ، ومحتاجون لراحة ابدان وعقول غامدى طويس واليون شاسع ، والمتاهة مخيفة والغد غيب ومفتاحه مع اليوم ، فمن لا يوم له لا غد يدرك ولا مستقبل يبنى .

٥ - وأقول وأكرر وأعيد ولن آتى بجديد فكم من قاتل للخير ومنبه عليه ، وداع الى سلوكه ، ولكن ما هي النتيجة !! تكن النتيجة في تحصيل الآلام التي تتسلك الى قمة الداعى ، وتتمكن منه ، فنحقق قول سيد البشر ( بعثت لأتم مكارم الأخلاق ) ، فقد خبا يا قوم ضوء الهداة ، وتضائل نفوذهم ، وظهر عليهم ضعفاء الفكر

الله فأنساهم أنفسهم ) وتوالت المحن وولجت الى الدور الخاصة والعامة ، فلا تجد بيتا مسلما على شرعة اسلامه ، ولا مجتمعا حمل الاسم الا وقد تخلى عن الأسس ، ولا رجلا أو امرأة الا ما ندر ( والناذر لا حكم له ) الا شاكيا من لحمة دم ، ووشيجة رحيم ، وطفى الفساد وزاد ، وعم وتراكم ، وجاء دور جنى القطوف ، ولسوء حظنا عاصرنا بعض الوانه ، اختلاف في الاقطار ، وتطاحن بالأراء ، ونفاق في عمل ، وانتهاك لكل حرمة ، ثم تعد على الأرواح ، واستهانة بمقدرات الآخرين ، ونسيان كامل لكل علاج ورفض شامل لرأى فطس الأطباء ، ولوى الجميع اعناقهم بعيدا عن النور ، وأحبوا السير في الظلام ، وسائر الظلام مرتبك حيران قد يصيب نفسه حين تزل به قدمه في بخارة ، وحين تحمله ساقاه الى متاهة ، فهو لا يفكر الا في شحم ولحم حمل ، والا في غرائز هوائيات بها اتسم ، فلا يعرف بعيدا عن هيكله مستحقا لرحمة أو معونة ، فليمت الجميع ليحيا ، ويفنى الكل ليعيش الفرد ، وساد استعمال انتاج معاميل السلاح ومصانعه ، ودر ذلك الثراء على تجار الحديد والنار ، وركب زعيمهم طائرته ليلحق فوق الرمم التي ضاقت بها القبور ، وليسمع ناظره بلون الدماء يخضب الأرض ، وتابى الأرض اخفاءها ، وليشم رائحة الجثث المحترقة ، والحقول المباداة ، ولم يرعو أمام اطفال لا حول لهم ولا طول ، ولم يحرك عواطف الرحمة فيه بطون حوامل تنفر ، وأعراض تنتهك ، وصار قلبه حجرا من الحجر ، أو حديدا صلدا من نوع لا يلين بالنار ولا يخضع للطرق ، وسار الكل الى الهلوية ، وها هم سائرون ولات حين مناص .

المتقادون لتوجيه الدرهم والدينار ،  
والسائرون مع المعدات والفتحات  
والأنابيب، وعرف العادي على الأخلاق  
كيف يصل ، فاختار ذات الابتسام  
الفاثكة ، والقدر الأهيف ، واستسلم  
مقابلوه للترهات ، ولأذوا بحبي  
ابليس اخترعوه ، بل كان ميتا  
فأحيوه ، فالنجاه النجاة ، وإن شئت  
فالطبيبة للطبيبة ، والمحمو  
الصحو .

وها هو الخط المرسوم والصبور  
الهادية ، والكلمة الهادفة ( احفظ  
الله يحفظك ) ، وكفى ذلك توجيهها  
لن أراد هداية .

وأخيرا — هل نستطيع أن نجد  
من نقرأ عنه بديلا عن أن نقرأ له ،  
ومن نلوذ بظله من حر أنفاسه ، ومن  
تدبع العين معه حين يلين القلب  
عوضا عن تمثيل العين ، ومن يضع  
نفسه موضع خصمه دون إجابة ،  
ومن يتصور الوقوف أمام عرشه  
جالسا عليه ، ومن يدرك سائل  
العطاء مالك المال ، ومن يتأكد من  
وجوده لخير غيره لا للقضاء عليه ،  
ومن لا ينسى أن المقام قصير مهما طال

فما دام الفناء ملاحقا فلا خلود ، ومن  
يتأمل الأمثال في الطبيعة فيعلم  
يقينا أن الوردة الناضرة ستذبل وتلقى  
على الأرض وتداس ، بعد عز البقاء  
في روض وجمال وتنسيق بأرق أنامل ،  
ولثم ثغور تعز أن تضاهي ، وأن  
هذا البناء الجميل سيصبح أثرا بعد  
عين ، وأن أنهارا غاض ماؤها ، وأن  
قفرا صار عامرا ، وأن أمما بادت  
ومضى بها الزمان لا إلى عودة ،  
لعل وعسى وما ذلك على الله بعزيز  
ولكن وأحسرتاه ( وكأى من آية في  
السموات والأرض يمرون عليها وهم  
عنها معرضون ) .

أخي في الله : ليس هذا وعظما  
تمر به عينك دون لقاء مع قلبك وإنما  
هي ثقة مصدور ، تبين حقائق غير  
خافية ، وتكشف ما انكشف من أوادم  
في ثياب سباع ، وأنس ينطوون على  
وحوش ، وهل يا ترى أعاد الزمان  
نفسه فيستطيع الحديث أن يردد  
مقالة القديم :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب أذعوى  
وصوت انسان فكسدت أطيرو  
والعلة — نسيان : احفظ الله يحفظك  
فهل من مذكر !!

# ضعيف

للدكتور: أحمد الحوفي

النفس ونحن نجعل كثيرا جدا مما  
مداها ؟ فهل رأينا ما بالذرة من  
كهارب والكثرونا ، ونحن لا نعرفها  
الا بأثارها التي كشفت عنها الأجهزة  
العلمية التي نجرتها ؟

وهل أبصرنا الفتح والتبثيل  
الكوروفلي بالشجرة الخضراء التي  
نستظل بها ، ونعجب برآها ،  
ونعلم من ثمرها ، ونحن لا نعلم هذا  
الا بأجهزة ومخابر ؟

وهل نسمع أو نبصر ما يزخر به  
الفضاء المحيط بنا من أصوات وأنغام  
واحاديث وصور الا اذا شغفنا على

زر المذياع أو التلفزيون ؟

وهل ننظر بأعيننا ، أو نسمع  
بأذاننا ، أو نلمس بأصابعنا ، أو  
نشم بأنوفنا ، استحالة الطعام الذي  
نأكله أو الشراب الذي نشربه إلى دم  
يجري في الشرايين والأوردة قوة  
وحياة ؟

أية قوة هذه التي تراقب في بقعة ،  
وتحاسب في شدة ، وتضئ على  
مطيمها لباسا من الابن والرضا  
والراحة ، وتعاقب عاصيها بوخزات  
من القلق والامى والندم والحسرة ،  
وتحمي على الانسان ما يعمل سرا  
أو جهرا ، ولقد يحاول أن يخدعها  
بتسويغ يصطنعه ، أو تعليل يخترعه  
ولكنها حصيفة لا يخدعها تسويغ ولا  
تعليل ، ولا محاولة للفرار ؟  
إنها الضمير . فما هو الضمير ؟

( ١ )

إننا نخطئ اذا حاولنا أن ندرك  
حقيقته ، فإنه قوة نفسية لا ترى ولا  
تسمع ولا لطمس ولا تشم ولا مذاق .  
وأنى للحواس المحدودة أن تدرك  
ما يستخفى على الحس ، ويستعصى  
على الادراك ؟  
ولماذا نتطلع الى ادراك خفايا

وماذا نعلم عن الكهـرباء الا انها قوة تسرى فى اسلاك تدف آثارها اذا ما ادرنا زرا من الأزرار المعدة على نظام خاص ؟

فلا علينا أن نهـل حقيقة الضمير كما نهـل كثيرا من حقائق الكون ، ولا علينا أن نؤمن بالضمير من آثاره التى نحس ، كما نؤمن بسواء مما يتبدى لها من مظاهر وآثار ، ولقد صدق الله تعالى فى قوله : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

( ٢ )

لكن الضمائر تتفاوت قوة وضعفا ، وتباين يقظة وغفلة ، وتتفاير نشاطا وخمولاً ، وتختلف رهافة وغلاظة .

ففى الناس من منح ضميرا دائم اليقظة والنشاط والرهافة ، كأنه حارس البيت الحريص لا يفتأ يحس حوله طوال الليل ، يتسمع كل نامة ، وينحس كل حركة ، أو كأنه شرطى المرور يراقب مسير السيارات ليصرفها بأشاراته الحمراء والخضراء لتتوقف أو تمضى .

وفى الناس من يصحو ضميره حيناً ، ويغفو حيناً ، وينشط تارة ، ويكسل تارة ، ويسيطر مرة ، وينقمع مرة ، كشمس الشتاء تسفر سساعة ، وتحتجب خلف السحاب سساعة .

وفيهـم من يصاب ضميره بالخدر والخور ، فيسترخى ويطلوـل به الاسترخاء ، ويهجع ويمتد به الهجوع وقد ينام ويستطيل به زمن المنام . وبين هذه الحالات درجات وتوطبات ومنازل مختلفات .

على أن الضمير اليقظ ربما يغفو ، والضمير المترجع بين اليقظة والغفوة قد يصحو ، والضمير الهاجع قد

ينشط ، لأن بصيص نوره قد يوقظ صاحبه ، أو يحاول أن يوقظه ، ولقد يهزه هزة عنيفة لا تمكنه من رقاد .

اكتب هذا وأنا على شاطئ البحر وقد رأيته يوماً يمور ويفور ، وتتلاحق كتل أمواجه ككتالى الجنود فى الميدان وأبصرته يوماً آخر يتوسط بين الهدوء والهياج ، ونظرت يوماً ثالثاً ساجياً كبساط أو دارة فى الصحراء .

ولحسب أن الضمائر على هذا الفرار .

فالضمير الحى متحرك دائم الحركة ، يقظ متلاحق اليقظة ، لا تعتريه فترة ولا هدأة ، كالبحر المائج والضمير المترجع بين اليقظة والغفلة كالبحر يهيج يوماً ويسكن آخر . والضمير النائم هو البحر الذى سجا وسكن وركد .

والضمائر فى تنقلها من حال الى حال كالبحر يصخب يوماً ويهدأ يوماً ثم يتوسط بين هذا وذاك .

وكما أن البحر الساجى قد يسرى فى أمعائه تيار لا يرى ، فكذلك الضمير النائم قلما يموت ، وقلما يطغى عليه الرقاد .

( ٣ )

ومن نعم الله على عباده أنه كرمهم بالمقتل وبالنطق وبالشرائع التى بعث بها الرسل ، وكرمهم أيضاً بهذه القوة السامية التى تميزهم من الحيوان وهى « الضمير » .

فهل نعدو الصواب اذا تخيلنا الضمير الحى شعاعاً إلهياً يترى الطريق الى الحق وإلى الخير ، أو صوتاً رباتياً يحذر من الشر ومن الباطل ؟

إن الضمير مظهر من مظاهر تقوى الله ، لأنه يخضع النفس للطاعة وإن اطاعتت الى النجاة من تبعه الجريمة والعصيان .

صفات المتقين في قوله تعالى :  
 « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة  
 عرضها السموات والأرض أعدت  
 للمتقين » الذين ينفقون في السراء  
 والضراء ، والكاذمين الفيلظ ،  
 والمصافين عن الناس ، والله يحب  
 المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة  
 أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله  
 فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب  
 إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم  
 يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من  
 ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار  
 خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين .  
 ( آل عمران ) .

وهم سرعان ما يرجعون إلى الله  
 بالتوبة ناديين فيتوب عليهم : « إنما  
 التوبة على الله للذين يعملون السوء  
 بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك  
 يتوب الله عليهم ، وكان الله عليا  
 حكيما . وليست التوبة للذين يعملون  
 السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت  
 قال : انى تبت الآن ، ولا الذين  
 يهودون وهم كفار ، أولئك اعتدنا لهم  
 عذابا ليلا » .

أما الضمير النائم فهو ضمير  
 المساندين المكابرين الذين يطمون  
 الحق وينكرونه ، ويسرفون الخير  
 ويجتنبونه ، ويسيروا وراء أهوائهم  
 كل مسير .

وهؤلاء ينطبق عليهم قول الله  
 تعالى : « في قلوبهم مرض ، فزادهم  
 الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما  
 كانوا يكذبون » .

وقوله سبحانه : « ثم قست  
 قلوبكم من بعد ذلك ، فهي كالحجارة  
 أو أشد قسوة » وأن من الحجارة لما  
 يتفجر منه الأنهار ، وأن منها لما  
 يشقق فيخرج منه الماء ، وأن منها لما  
 يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل  
 عما تعملون » .

وقوله تعالى : « ومن الناس من

هذا الضمير الحى هو ضمير  
 الإنقياء الإنقياء الذين وصفهم الله تعالى  
 في قوله : « قد أفلح المؤمنون الذين  
 هم في صلاتهم خاشعون ، والذين  
 هم عن اللغو معرضون ، والذين هم  
 للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم  
 حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما  
 ملكت أيانهم فانهم غير ملومين ،  
 فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم  
 العادون ، والذين هم لأيمانهم  
 وهدمهم راعون ، والذين هم على  
 صلواتهم يحافظون ، أولئك هم  
 الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم  
 فيها خالدون » . ( المؤمنون ) .

وهم أصحاب عزائم قوية تقب  
 وسواس الشيطان ، وتردهم إلى  
 الطاعة وإلى الحق والخير ، قال  
 تعالى : ( أن الذين اتقوا إذا مسهم  
 طائف من الشيطان تذكروا ، فإذا هم  
 مبصرون » .

لهذا يتحاشون الشبهات عملا  
 بقوله صلى الله عليه وسلم :  
 « الحلال بين ، والحرام بين ،  
 وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير  
 من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد  
 استبرأ لعرشه ودينه ، ومن وقع في  
 الشبهات كراغ يرمى حول الحمى  
 يوشك أن يقع فيه . إلا وإن لكل ملك  
 حمى ، إلا وإن حمى الله في أرضه  
 محاربه ، إلا وإن في الجسد مضغة  
 إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا  
 فسدت فسد الجسد كله ، إلا وهى  
 القلب » .

وهو - في حالة أخرى - النفس  
 اللوامة التى كرمها الله تعالى بالتقسيم  
 بهما ، فقال : « لا أقسم بيوم  
 القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة ،  
 أبحسب الإنسان أن لن نجوع  
 عظامه ، بلى قسارين على أن  
 نسوى بناته » . ( سورة القيامة )  
 وهذه النفس اللوامة هى بعض

يمجيك قوله في الحياة الدنيا ،  
ويشهد الله على ما في قلبه ، وهو  
الد الخصام . وإذا تولى سعى في  
الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث  
والنسل ، والله لا يحب الفساد .  
وإذا قيل له اتق الله أخضتته العزة  
بالإثم ، فحسبه جهنم ، ولبئس  
المهاد .

هذا الضمير كالطفل أو كالفسيلة ،  
يحتاج إلى تربية وتفضية وتنمية ،  
كما يحتاج الجسم ، وكما يفترق  
الشجر .

فالذين يربيه ، والقنوة الصالحة  
تفخذه ، والبيئة الخيرة تنميه ،  
والسلوك القويم يدربه ويهديه ، على  
حين أن ضعف الدين ، أو فساد  
القنوة أو نقل البيئة أو انحراف  
السلوك يفسد الضمير ويصمه  
ويميه .

فلا عجب أن كانت الضمائر الحية  
أوفر كثرة ، وأحد يقظة ، وأقوى  
أثراً ، في المتدينين ، وفي الذين  
يحيون في مجتمعات خيرة ، وفي  
الذين يجدون الأسوة الفضلى والقنوة  
المثلثة منذ سن مبكرة .

لهذا أوصى الإسلام بمخالطة  
الأخيار ، وحذر من معاينة الأشرار ،  
فقال صلى الله عليه وسلم : « مثل  
الجليس الصالح والجليس السوء  
كمثل صاحب المسك وكبير الحداد ،  
لا يعدمك من صاحب المسك أما إن  
تشتريه أو تجد ريحه ، وكبير الحداد  
يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا  
خبثة » .

وقال : « ما استخلف خليفة إلا  
له بطانتان : بطانة تأمره بالخير ،  
وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر ،  
وتحضه عليه ، والمعصوم من عصم  
الله » .

ورغب الإسلام في القنوة  
الصالحة ، فجعل ثوابها مضاعفاً  
يعملها ويعمل ثواب بها ،

وخوف من القنوة الطالحة فجعل  
عقابها بمعادلاً لها ولذنب من عملوا  
بها ، قال عليه الصلاة والسلام :  
« من دعا إلى هدى كان له من الأجر  
مثل أجر من اتبعه لا ينقص ذلك من  
أجرهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة  
كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه  
لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » .

وحض على الأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر ، قال تعالى : « كنتم خير  
أمة أخرجت للناس ، تسمرون  
بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ،  
وتؤمنون بالله » .

وهكذا يحرص الإسلام على تربية  
الضمائر بشتى الوسائل ، لأنها لو  
صلحت صلح الفرد والأمة ، ولو  
فسدت فسدت الفرد والأمة ، فهي كما  
قال النبي صلى الله عليه وسلم :  
« إلا وأن في الجسد مضغة إذا  
صلحت صلح الجسد كله ، وإذا  
فسدت فسدت الجسد كله ، إلا وهي  
القلب » .

بعد هذا العرض للضمير ،  
وانواعه ، وحالاته ، ووسائل تنميته  
وعناية الإسلام بتربيته .

ننظر إلى بعض آثار الضمير في  
الفرد وفي الأمة ، لندرك مدى قيمته  
وخطورته وآثار يقظته وانتصاره .

١ - هناك شخص يعلم من أسرار  
أمة الحربية ما يكفل لها النصر  
الحاسم أن حاربت ، وقد حاول أعداء  
وطنه أن يغروه بالذهب الوفير ليطلعم  
على ما يعلم ، ولو أنه كشف لهم ما  
أرادوا لم يعلم به أحد . فهل  
استجاب لهم ؟

ولماذا لا يستجيب والذهب يجاذبه  
ويخادعه ؟

لماذا يرفض وهو بمنجاة من ذل  
الفضيحة وشقاء العقوبة ؟

وأي بأس في أن يسعد هو  
ويشقى غيره ؟

لكن ضميره صاح به : اياك وما

شدته وشناعته دين ولا عسرف ولا  
قانون ؟

ومن للضعفاء اذا سطا على  
حقوقهم الاتقياء ؟

وماذا يكون شعور الناس أن فقد  
العدل سلطانه على الناس ؟

الا تتقلص قيمة العدالة ؟ وتتضاءل  
رهبة القانون ، وتتضاؤل اقدار

القضاة ، ثم تشيع الفوضى والظلم  
والفساد ؟

لخير لى أن امشى على قدمي وأنا  
حى الضمير ، نقى النفس ، طيب

الأحوثة من أن أركب سيارة أنيقة  
والأوزار تركبني ، وأنتقل اللوم والذم

تبهظني ، ومخاومي من عقاب الله  
تلحق بي وتسبقني .

لقد قرأت ووعيت قوله تعالى :

« أن الله يامرکم أن تؤدوا الأمانات  
الى أهلها ، وإذا حکمتم بين الناس

أن تحکموا بالعدل ، أن الله نعماً  
يعظکم به ، أن الله کان سميعاً

بصيراً » .

وقوله سبحانه : « يا أيها الذين  
آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء

لله ولو على أنفسكم أو الوالدين  
والأقربين ، أن يكن غنياً أو فقيراً

فأله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن  
تعدلوا ، وأن تلوا أو تعرضوا فإن

الله كان بما تعملون خبيراً » .

وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا  
لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا

أعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا  
الله أن الله خبير بما تعملون » .

وقرأت وفهمت قوله صلى الله عليه  
ومسلم : « من أعان ظالماً ليدحض

بباطله حقاً فقد برئت منه ذممة  
الله وذمة رسوله » .

وقوله : « من ابتلى بالفضاء بين  
المسلمين فليعدل بينهم في لحظه

وأشارته ومقعد ومجلسه » .  
وعرفت من عدالة النبي أن امرأة من

يفريك به أعداؤك وأعداء وطنك ،  
فإن ذمهم شئ لذل يحق بسك

وباخوتك ، ومكافأة على جريسة  
لا يفرها لك الدين ولا القانون ولا

الخلق الكريم ، وتستجد هذا الذهب  
جمرات تكوى جبهتك وجنبك وظهرك

وتلبك ، ولن تنعم بشيء وأنت تفتى  
ووطنك تعيش .

فلتغش عفيف (اليد) نزيه ( النفس)  
طاهر ( الضمير ) سميذاً بأن وطنك

فى عزة ، وبأن مواطنك أعزة .  
علم يتردد فى أن أكثر الشرف على

الخسة ، فقال لضميره : لبيك لبيك ،  
ورد الأعداء فى خزي بما عرضوا .

ثم انتصر وطنه ، وسعد بنوه  
بانتصارهم ، وشعر هو فى أعماق

نفسه بسعادة مضاعفة لا تعدلها  
فناطير من ذهب ولا من نشب .

وبهذا سلم من جنابة الخيانة ووبال  
المال المحرم ، وعمل بقوله صلى الله

عليه وسلم : « أد الأمانة الى من  
أثبنتك ، ولا تخن من خانتك » وقوله :

« أيها رجل أصاب مالاً من غير حله  
وأنفق منه لم يبارك له فيه ، وإن

تصدق لم يقبل منه ، وما بقى فزاده  
الى النار ، أن الخبيث لا يكر الخبيث

ولكن الطيب يكر الطيب » .

٢ - وهنا قاض يفصل فى قضية  
كبيرة الحق فيها مع ضميم ، والباطل

مع قوى ثرى ، فيحاول التسوى أن  
يستحيل القاضى الى جانب ، فيخزيه

بسيارة أنيقة يقدمها له بطريقة ملتوية  
مستورة . فإذا بالقاضى التزيه ينفر

من هذا العرض الموبوء ، ويقول  
لنفسه : وأين سلطان العدالة

الذى أقسمت أن أراعها ؟ ومن أين  
لى أن أنهرب من رقابة الله وشديد

عذابه يوم يحاسب كل امرئ على  
ما فعل فى دنياه ؟

وكيف يسوغ لى أن أمثلك ما لا  
بوسيلة محرمة تحريماً لا يخفف من



مخزوم سمرت ، فآهزن قريشا شأنها ،  
مقالوا : ومن يكلم فيها رسول الله ؟  
ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد  
حبيبه ؟

فلما كلمه أسامة قال رسول الله :  
أتشفع في حد من حدود الله ؟  
ثم قام فخطب ، وجاء في خطبته  
قوله : « أنا أهلك الذين قبلكم أنهم  
كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ،  
وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه  
الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت  
محمد سرت لقطع محمد يدها » .  
فليرفع العدل عليه خفاقا ، وليزد  
ضميرى الحى قوة وأشرافا ، وليذهب  
الثرى برشوته إلى أمثاله من موتى  
الضماير ، وساء المصير ، وليقتل  
لسانى بالثمل أن نطق بحكم ياباه  
ضميرى الذى أكرمنى به الله  
تعالى .

٣ - وهذا استاذ بالجامعة معروف  
بوثاقة الحزم ، وقوة العزم ، وسداد  
القصد ، وسلامة التقدير .  
رسمب في علم يدرسه شاب وحيد  
لوالد موسع مطلع في لهفة إلى  
أن يحمل وحيدة شهادة ، وتكرّر  
رسوبه ، فظن الوالد أنه تقدير على  
رشوة الاستاذ ، فعرض عليه في خفاء  
قدرا من المال يزيد على ما يتقاضاه  
في عام .

لكن الاستاذ فكر وقدر ، فمالت له  
نفسه : أنك تقضى في مصير الشباب  
— وهم غنيان اليوم ورجال الغد —  
بسلطان من نفسك ، وبرهان من  
علمك ، ونور من ضميرك ، فكيف  
تمنح نجاحا من يصّر على رسوب ؟  
وأني لك أن تتيج الصحة من  
يؤثر المرض ؟  
وهل لك أن تصف بالعلم من يؤثر  
الجهل ؟  
ومتى تساوى القبي والذكى ، والمهمل  
والجاد ، والخامل والعامل ؟

ولو أنك فعلت ذلك ، وفعل غيرك  
مثل ذلك ، فماذا يصير حال الأمة في  
مستقبلها القريب والبعيد ؟

وأية خيبة تصيب الشباب التواق  
إلى المعرفة ، وتصيب الأسر الحريصة  
على أن ينجح بنوها بالحق والعدل ؟  
وماذا تصنع بمال كل قرش منه  
يسبك بالضلال ، ويصمك بالخزي ،  
ويكويك بالآلم ؟

ولئن احتملت هذا — ولن تحتله  
فيم تدافع عن نفسك أمام الله يوم  
لا ينفع مال ولا بنون ؟

أنك إذن قاض ظالم زينت له  
الرشوة أن يعصى ربه ، ويخالف  
ضميره ، ويهيل مع الهوى ، فليتبوأ  
مقعه من النار .

فقال الاستاذ لنفسه : سمعا لك  
سمعا ، وسمعا لضميرى سمعا ،  
وسحقا للآلم ، وبعدا للفسلال ،  
وليرسب الشباب أو ينجح جزاء وفاء  
لما أجاب ، ولتقطع يميني لو وقعت  
على ورقته بنجاح وهو لا يستحق  
النجاح .

٤ - وثمة رجل أفراد الشيطان  
بأمرأة ، وتكرر الأفراد ، ثم كانت  
خلوة دبرتها المصادفة ، فهم بها وهبت  
به ، لكنه سمع هتافا عاليا من ضميره  
أنقذته منها حرمة الله لحنظلي بلسدة  
عاجلة تصطلي بعدها بنار الأجلة ؟  
أتقوم على ما تاباه لأمك وأبنك  
وأختك وزوجتك ؟

أتعسدي على عرض ترتبط به  
سمعة أسرة وشرف رجال ونساء ؟  
أتلوث نسلا بدخيل لا هو ينتسب  
إليك قانونا وشريعة ، ولا هو ممن  
سينسب إليه حقيقة وطبيعة ؟  
وإم تسوغ فمهلك أمام ضميرك إذا  
أفاق من غفوته ، وجعل يقطعك مزقا  
وأشلأ ؟

وماذا تقول لريك حينما تعرض

عليك صحيفتك السوداء لتقرأها ،  
وقد أحصت صفاتك وكبائرك ؟  
ليس في الحلال السذى شره  
الله غنية عن الفحشاء التي حرم  
الله ؟

الم تسمع قوله تعالى : « ولا تقربوا  
الزنا ، أنه كان فاحشة ، وساء  
سبيلا » وقوله سبحانه : « الزانية  
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما  
مائة جلدة ، ولا تأخذكم بها رافة في  
دين الله أن كنتم تؤمنون بالله واليوم  
الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من  
المؤمنين » الم تسمع قول النبي صلى  
الله عليه وسلم في وصف السبحة  
الذين يظلمهم الله يوم القيامة في ظله  
يوم لا ظل إلا ظله « ورجل دعت امرأة  
ذات منصب وجمال ، فقال : انسى  
أخاف الله ؟ »

فلتبرأ من نزة الشر ، ولتصرف  
عن نزة المنكر ، ولتفر من هذه الهوة  
ولتطلب نفسا بأنك أصحت لضميرك ،  
وأهتديت بهداه ، فسرعان ما نجا  
الرجل ، وطابت له النجاة .

٥ - وذلك صانع ماهر حرفته  
أصلح السيارات ، سول له الشيطان  
يوما أن يضاعف كسبه بالتبويس  
والفحش ، فيضع قطما بالية يزعم  
أنها جديدة ، ويصلح الظاهر ويدفع  
الباطن ، ليتقاضى أجر الذي أصلح  
الفاسد ، ويدل التالف .

ولكن ضميره استيقظ ، فأنبأه بما  
يلحقه عمله من أذى بالذين أثبتوه ،  
فقد تحرق السيارة بن فيها ، وقد  
تتحرف إلى هاوية متقلب ، وربما تتأبى  
على التوقف فتصدم شخصا أو عدة  
اشخاص ، والمسئول الحقيقي هو  
الذي زعم أنه أصلحها وهو لم  
يصلح ، فكيف ينجو من عذاب  
الضمير ؟ وأين يهرب من أشباح  
جريمة تلاحقه ؟

ومن الذي يضمن له أنه لا يحيق  
به شر أنكى من الذي أوقعه بسواه ؟

وكيف ينتدل سمعته بالإمانة ،  
وشهرته بالدقة ، واقتران اسمه  
بالإتقان ؟

وأي عذر له وقد سمع وفهم قوله  
تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا  
أموالكم بينكم بالباطل ، إلا أن تكون  
تجارة من تراض منكم » .  
وقوله سبحانه : « أولموا الكيل  
ولا تكونوا من الخسرين ، وزنوا  
بالقسطاس المستقيم » .

وقوله تعالى : « ويل للمطففين الذين  
إذا اكتالوا على الناس يستوفون ،  
وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ،  
إلا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم  
عظيم ، يوم يقسم الناس لسرب  
العالمين » .

وأي فرق بين غش في صناعة ،  
وتطفيف الكيل والميزان ؟

ولقد سمع وفهم قوله صلى الله  
عليه وسلم : « من غشنا فليس منا »  
وقوله : « من انتهب فليس منا » .

وقوله : « ان أطيب الكسب كسب  
التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا ،  
وإذا اتهموا لم يخنوا ، وإذا وعدوا  
لم يخلفوا وإذا اشتروا لم يخبوا ،  
وإذا باعوا لم يظروا ، وإذا كان عليهم  
لم يظلموا ، وإذا كان لهم لم  
يمسروا » .

فلم يلبث أن أصلح التالف ، وأتقن  
الإصلاح ، وقنع راضيا بالأجر الحلال  
على ما عمل وما أصلح .

٦ - أما بعد فهذا هو الضمير ،  
وهذه لحظة إلى آثاره .

وهكذا تتركز الأمثال فتتسع للناس  
جميعا ، ذكورا وإناثا ، رجالا ونساء ،  
فتيانا وفتيات ، وتسع أحوالهم جميعا  
في وظائفهم وفي أعمالهم ، وفي  
معاملهم وفي مصانعهم ، وفي حقولهم  
وفي متاجرهم وفي مدارسهم وفي  
جامعاتهم وفي صلة كل منهم  
بنفسه وبأخيه وبالمجتمع الذي يعيش  
فيه .

# الأمادي

الضعيفة

والقوية

لأستاذ: محمد ناصر الدين الألباني

ومن المشاهد حقا أن مثل هذا التعاون قائم الى حد كبير بين المتخصصين وإذا كان الأمر كذلك ، فمن الواجب حينئذ أن يستعين كل متخصص بعلم ما ، بعلوم غيره من ذوى التخصصات الأخرى حينما يكون هناك ارتباط وثيق بين علمه وعلومهم ، وذلك ليكون على ثقة فيما يذهب اليه من فهم أو يصدره من حكم .

لا يخفى على أهل العلم أن من الواجب اليوم على كل من يريد أن يستقل في الفهم عن الله ورسوله ، أن يكون على علم بقسم كبير من العلوم التي تساعد على ذلك ، مثل أصول التفسير ، والفقه ، ومصطلح الحديث وما يتفرع منه من المعرفة بما صحح من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لم يصح ، وأن يكون على جانب كبير من الثقافة والمعرفة باللغة العربية وآدابها .

بيد أن الواقع يشهد أن من النادر جدا ، أن يكون الفرد متمكنا في كل علم من هذه العلوم وغيرها ، متقنا أياها ، كما لو كان متخصصا في علم واحد منها ، ولذلك فإن من البدهي أن نرى أهل العلم والعقل يتخصصون في علم واحد أو اثنين ، مع المشاركة طبعاً في العلوم الأخرى الضرورية منها ، فكان فيهم المفسر والمحدث ، والفقيه والمؤرخ ، واللغوي والأديب وغيرهم ، مما هو معروف .

فى العلوم الشرعية ، فالفسر مثلا يستعين بالمحدث واللغوى ، وهذا يستعين بالفسر والمحدث ، وهذا يستعين باللغوى والفقيه ، وهذا يستعين بأولئك وغيرهم وهكذا ، فكل قد أخذ حظه من الأجر والفضل باستعانة غيره به ، والاستفادة من علمه وتخصصه .

غير أن أهل العلم بالحديث والتخصص منهم بالجرح والتعديل والمعرفة بصحيح الحديث وسقيته ، من القدامى منهم والمحدثين ، كانوا أقل العلماء حظا فى الاستعانة بهم والاستفادة من علمهم ، لا سيما فى القرون المتأخرة كهذا الذى نحن فيه وما قبله من القرون الثلاثة بصورة خاصة ، فقد انصرف العلماء فضلا عن غيرهم عن العناية بهذا العلم وتدريسه دراسة تليق بجلاله وعظمته ، حتى فى المدارس الشرعية ، بل أن بعض المدارس التى كانت مخصصة لتدريس الحديث فيها قبل ذلك من القرون صارت اليوم خرابا ييبا ، وبعضها تدرس فيها العلوم الشرعية ، وإما الحديث فدراسته رمزية ! ليس فى أسانئها متخصص فى علم الحديث كدار الحديث بدمشق وغيرها ! .

ومن المعلوم أن علم الحديث النبوى هو أوسع العلوم الشرعية شاطبة واغزرها فائدة ، وأكثرها اتصالا وارتباطا بالعلوم الأخرى ، فما من فسر أو فقيه أو مؤرخ أو لغوى إلا وهو بحاجة إليه ، وإلى الاستعانة بالتخصص فيه ، والاعتماد عليه . ومع ذلك فالواقع أن القليل من المتخصصين فى العلوم الأخرى من استفاد من علمهم وتحقيقاتهم ، فكان من آثار ذلك انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة والى لا أصل لها بين المسلمين الخاصة منهم والعامة لا أستثنى منهم خطيبا ولا مدرسا ، ولا واعظا ولا مرشدا ، ولا كاتباً ولا محاضرا ، إلا من شاء الله وقليل ما هم . ذلك لأن ثقافتهم مستقاة من كتب — هى على اختلاف بحوثها ومواضيعها — جلها مشحونة ببطل تلك الأحاديث ، لم يلتزم من ألفها هذا النهج العلمى من الاستعانة بأهل التخصص والمعرفة بها .

فكم من عارف يعلم الكلام — ولا أقول علم التوحيد — أودع فى كتابه من الأحاديث هى عند أهل العلم موضوعة مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستحق أن تذكر فى كتب الوعظ والتصوف والرقائق ، بله كتب العقائد والتوحيد والحقائق مثل حديث : ( أن الله لما خلق العقل قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له ادبر ، فادبر ، فقال : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أشرف منك ، فبك أخذ ، وبك أعطى ) (١) .

وكم من ماهر فى علم أصول الفقه أقام أصلا ، أو تعدد قاعدة على أساس حديث منكر أو موضوع عند المحققين كحديث معاذ : ( بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأى ) (٢) الحديث (٢) و ( اختلاف امتى رحمة ) (٣) .

بل وكما من محدث مكثر حافظ ، يحتج بأحاديث فى الأحكام وغيرها من

(١) انظر المقاصد الحسنة ( رقم ٢٢٣ ) و ( كشف الخفا ) ( رقم ٧٢٣ ) .

(٢) تكلمت عليه فى ( سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ) ولما ينشر بعد ومحلها منها قبيل المائة التاسعة .

(٣) انظر فى السلسلة المذكورة برقم ( ٥٧ ) .

أبواب الشريعة هي — عند ذوي التخصص منهم بالجرح والتعديل والمعرفة بصحيح الحديث وسقيته — أما ضعيفه أو موضوعه ، فالأحاديث التي يصححها الحاكم وغيره من المشاهير . (١)

وكم من مفسر بارع تأول آية ، أو ذكر سبب نزولها أو ساق قصة متعلقة بها . أو لمناسبة ما . اعتمادا على حديث لم يتثبت من صحته ، هو عند أهله العارفين به ضعيف وموضوع ، مثل حديث قصة المسكين هاروت وماروت ، وارتابهما عدة فواحش (٢) ، وحديث قصة الفرائق وأن الشيطان تكلم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بآية مدح بها آلهة المشركين : ( تلك الفرائق العلى . وان شفاعتهن لترجى ) ! ولنا في بيان ضعفه وبطلانه رسالة بعنوان : ( نصب المجانيق ، لنسف قصة الفرائق ) وهي معروفة (٣) .

وكم من فقيه جامع أوجب على الناس ما ليس بواجب . أو أسقط عنهم ما هو واجب . أو حرم عليهم ، ما ليس بحرام ، وأحل لهم ما ليس بحلال أو أبطل عليهم عبادة صحيحة ، أو صحح لهم عبادة باطلة ، أو سفك دما محرما ، وحرم دما مهدورا ، أو شرع لهم عبادة ليست مشروعة . كل ذلك لم يكن منهم عن هوى أو غرض . حاشاهم ، وإنما كان اعتمادا منهم على أحاديث توهيها ثائنة ، وليست كذلك ، ولو أنهم رجعوا إلى أهل التخصص والمعرفة بالحديث لعلموا أنها ضعيفة أو موضوعة ، لا يجوز تشريع شيء ما بها ، ولو في حدود الذنب والاستحباب ، فكيف في التحريم والتحليل ، والإبطال والإيجاب ؟ ! والأمثلة على ما ذكرت كثيرة جدا تبلغ المئات بل الألوف .

وأما الصوفية وأمثالهم ممن ألف في علوم الدين ، والأخلاق ، والآداب والمواظ ، فحدث عن أحاديثهم ، وما وقع فيها من الأباطيل ولا حرج وحسبك أن تطلع على كتاب ( المغنى عن حمل الأسفار في التخرير ما في الإحياء من الأخبار ) للحافظ زين الدين العراقي ، أنك ان فعلت ذلك فسترى ما هو أعجب وأعجب !! .

ولما كنا على أبواب حركة علمية واسعة النطاق ، في شتى أنواع العلوم ومنها الفقه والتشريع الإسلامى ، كان طبيعيا جدا أن يكتب كثير من العلماء والكتاب في مواضيع معينة من أبواب الفقه ، وخصوصا ما كان منها متعلتا بالحقوق والقانون والاجتماع والاقتصاد . . وتلقى محاضرات كثيرة في مثل هذه المواضيع ، وبعضهم شرع في تأليف كتب خاصة في الفقه الإسلامى أو فقه السنة جامعا لجميع أو أكثر الأبواب الفقهية التي يحتاجها المسلم مبتدئين - ( كتاب الطهارة ) ، ثم ( الصلاة ) ، ثم ( الزكاة ) وهكذا إلى آخر الكتب التي جرى الفقهاء قديمها على نسقتها .

ولكني رأيت أكثر هؤلاء العلماء والكتاب والمحاضرين ، قد سرت اليهم عدوى من قبلهم من الفقهاء من ترك الاستعانة بأهل التخصص والمعرفة بالحديث ، فلا تكاد تجد حديثا واحدا في كل ما يكتبون من البحوث الخبيرة مخرجا مصححا أو مضعفا على طريقة أهل الحديث ، اللهم الا قليلا منهم ، وخيرهم صنعا من يقول : ( رواه فلان ) ثم يسكت ، ولا يبين درجته من الصحة أو الضعف ، وهو قد

(١) قد بينت بطلانها وأنها من الاسرائيليات في السلسلة المتقدمة ، فمن شاء الاطلاع فليرجع

اليها رقم ١٧٠ .

(٢) قام بطبعها المكتب الإسلامى بدمشق لصاحبه الأخ زهير شوايش .

يكون موضوعا مكذوبا عند أهل الحديث ! وقد أقام عليه من أشرنا اليهم علائق وتصورا » .  
واليك بعض الأمثلة :

١ - قال بعض الأفاضل ممن ألف فى فقه السنة :

« يحرم على الجنب أن يمكث فى المسجد لحديث عائشة قالت : ( جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجوه بيوت أصحابه شائعة فى المسجد فقال : وجهوا هذه البيوت عن المسجد . . فأتى لا أهل المسجد لحائض ولا لجنب ) . رواه أبو داود . وعن أم سلمة قالت : ( دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد غنادى بأعلى صوته : أن المسجد لا يحل لحائض ولا لجنب ) رواه ابن ماجه والطبرانى .

أقول : فقد حرم المكث فى المسجد بناء على هذا الحديث ، وأنا أعلم انه ليس هو أول من فعل ذلك بل هو مقلد لبعض من سبق من الفقهاء ، وما أوقعه فى ذلك الأعدم رجوعه الى أهل التخصص فى الحديث . ولو صنع لوجد قول البيهقى : ( ليس بقوى ) . وقول عبد الحق الاشبيلي : ( لا يثبت ) وقول الخطابى : ( ضعفه جماعة ) . ذكر هذا الإمام النووى فى المجموع ( شرح المذهب ) ( ١٦٠/٢ ) .

ثم انه لو رجع الى مصدر الحديث مباشرة الا وهو أبو داود وابن ماجه ، وكان من أهل العلم بتراجم الرواة وأحوالهم ، لوجد أن مدار الحديث على حسرة بنت دجاجة ، وقد قال البخارى فيها : ( عندها عجائب ) ! ولما وقع فى هذا الإيهام الفاحش وهو أن للحديث طريقين : أحدهما عن عائشة ، والآخر عن أم سلمة ، وحقيقة الأمر أن الطريق واحدة مدارها على حسرة هذه كما أثرت اليه أنفا ، غاية ما فى الأمر ، أن بعض الرواة اختلفوا فى إسناده عن حسرة . فقال أحدهم : عنها عن عائشة . وقال آخر : عنها عن أم سلمة . فنتوهم من لم يرجع فى الحديث الى الأصول والأمهات أن للحديث طريقين زد على ذلك أن هذا الاختلاف يعتبر عند أهل الحديث اضطرابا يزيد الحديث ضعفا على ضعف ، فكيف يجوز لعالم أن يحرم بمثله شيئا ؟ !

وليس غرضى الآن تحقيق القول والإفاضة فى بيان ضعف الحديث وما قيل فيه ،

٢ - وقال آخر من الأفاضل المشهورين والعلماء البارزين فى رسالة له فى ( الحقوق العامة لأهل الذمة ) :

( دم الذمى كدم المسلم ، فان قتل مسلم أحدا من أهل الذمة اقتص منه له ، كما لو قتل مسلما ) .

ثم استدل على ذلك بحديث ابن عمر عند الدارقطنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل مسلما بمعاهد وقال : أنا أكرم ( وفى رواية : أحق ) من وفى بدمته ( ٧ ) .

مع أن هذا الحديث عند أهل المعرفة به ضعيف دون أى اختلاف بينهم ،

---

(٦) انظر ( فقه السنة ) للسيد سابق ( ص ١١٧ - ١١٨ ) الطبعة الأولى .

(٧) انظر كتاب ( نظرية الاسلام وهدية ) ص ٢٤١ للاستاذ المؤيد .

فتدّ ضعفه الطحاوى والدارقطنى والبيهقى ونقل عن الامام صالح بن محمد الحافظ انه قال : ( هو مرسل منكرو ) .  
ولو ان الفاضل المشار اليه استخرج الحديث بنفسه من ( سنن الدارقطنى ) لوجد كلام الدارقطنى عقبه صريحا فى تضعيفه اياه ، وذلك قوله ( ص ٣٤٥ ) : ( لم يسنده غير ابراهيم بن ابي يحيى ، وهو متروك الحديث ، والصواب عن ريعة عن ابن البيلماني مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وابن البيلماني ضعيف لا تقوم به حجة اذا وصل الحديث ، فكيف بما يرسله ؟ ! ) ..

وقد فصلت القول على هذا الحديث وذكرت طريقه وعللها ونصوص اهل العلم فى تضعيفه فى الجزء الخامس من « سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضوعة » رقم ( ٤٦٠ ) ، .

٣ - وقال ثالث فى ( بحث الدور الفقهي الاول : عصر النبوة ) ، وقد ذكر طائفة من الاحاديث كاملة لجملة من الأصول والقواعد الكلية التى تركها صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضى الله عنهم ، منها حديث : ( الشفعة كحل العقال ) ثم قال الفاضل المشار اليه : ( فهذا الحديث مثلا يصلح أساسا لفكرة مرور الزمن ، وتحديد المدد للمطالبة ببعض الحقوق ، ولاستعمال بعض الخيارات كخيار الرؤية والعيب ، و .. ) ( ٨ ) .

فلو ان المذكور رجع الى بعض المتخصصين فى الحديث والعارفين بصحيحه وضعيفه ، لما جزم بنسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم ولما اتخذ مثلا للفكرة التى ذكرها ، فقد قال أبو زرعة ( حديث منكرو ) وقال ابن حبان : ( لا أصل له ) وأورده البيهقى فى ( السنن الكبرى ) ( ١٠٨/٦ ) فى جملة أحاديث ساقها بأسانيدھا فى : ( باب رواية الفاظ منكرو يذكرها بعض الفقهاء فى مسائل الشفعة ) ! .

٤ - حديث ( ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى أهل الذمة : لهم مالنا وعليهم ما علينا ) .

لقد اعتدنا ان نسمع هذا الحديث من كثير من خطبائنا ومرشديننا ومحاضرينا ، وهم يتكلمون عن حقوق أهل الذمة فى الاسلام ، جازمين بنسبته الى النبي عليه الصلاة والسلام ، حتى أصبح ذلك عقيدة راسخة فى قلوب كثير من الدعاة المعروفين بالاصلاح والتجديد ، فضلا عن غيرهم من المسلمين الصالحين ، فهذا أحد دعائهم يصرح بمعنى ذلك فى بيان اذاعه على الناس بمناسبة الجدل الذى قام حول محاولة بعض اخواننا الاسلاميين لادخال دين الدولة الاسلام فى دستور سنة ١٩٥٠ فقال : ( المواطنون متساوون فى الحقوق ، لا يحال بين مواطن وبين الوصول الى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين أو الجنس أو اللغة ) . يشير بهذا الكلام الى هذا الحديث ، والحديث المتقدم برقم ( ٢ ) .

والواقع أن هذا الحديث لا أصل له عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا السياق الذى اعتادوا ذكره ، وانما أورده هكذا بعض الفقهاء الذين لا علم عندهم بالسنن ، فقلده من أشرنا اليهم ، ثم اذاعوا الحديث على الناس ونشروه بينهم

( ٨ ) انظر كتاب ( ادخل الفقهي العام الى الحقوق المدنية فى البلاد السورية ) ( ١/٦٧ و٦٨ ) للأستاذ الفاضل مصطفى الزرقا .

كتابة ووعظاً ، دون أن يحاولوا الرجوع به الى ذوى التخصص فى الحديث ليكونوا على بينة من امره ، ولا ينسبوا الى النبى صلى الله عليه وسلم ما ليس من حديثه ، بل هو معارض له أشد المعارضة ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال هذه الجملـة : ( لهم مالنا وعليهم ما علينا ) فى الذين يسلمون من المشركين ، ورد ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من حديث بريدة بن الحصيب وسلمان الفارسي وغيرهما ) .

هـ - حديث ( اذا صعد الخطيب المنبر ، فلا صلاة ولا كلام ) .

وهو حديث متداول على السنة بعض الفقهاء ومسطور فى غير ما كتاب فقهى ، واشتهر على السنة الناس حتى توجت به بعض المنابر فى بلادنا الشامية ، ولا اصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ ، بل ان معناه مخالف لبعض الأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم : ( اذا جاء احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجزز فيهما ) أخرجه الامام مسلم وغيره ..

وقد بينت حال هذا الحديث ، وما قاله اهل العلم فيه فى ( سلسلة الأحاديث الضعيفة ) ( رقم ٨٧ ) فليراجعه من شاء التحقيق ، .

ومن الأمثلة المتقدمة - وهى غيـض من غيـض - يتبين لكل عاقل أن الأحاديث الضعيفة مع الجهل بها هى من أكبر العوامل - ان لم أقل : هى اكبرها اطلاقاً - على حمل بعض المسلمين على الانحراف عن دينهم ، انحرافاً اعتقد انه أخطر ما أصيب به المسلمون من الانحرافات الكثيرة ، ذلك لأنهم فى اتباعهم اياها ، وتمسكهم بها ، يظنون انهم انما يتبعون كلام من أوجب الله عليهم اتباعه ، والتسليم لكلامه ، ووصفه بقوله : ( وما ينطق عن الهوى ) ان هو الا وحى يوحى ) ، وصدق الله ، وأخطأ أولئك حين استسلموا لكل ما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم من الأحاديث ، ولم يتحرروا ١٠ صح منها مما لم يصح ، مع علمهم يقينهم بانه ليس كل ما يعزى اليه صلى الله عليه وسلم من الحديث صحيح ثابت عنه ، فكان المفروض أن يكون هذا وحده كافياً ليحملهم على البحث والتفتيش وتتطلب الحديث الصحيح ، فكيف ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم فيها صح عنه أن بعض الناس سيكذبون عليه ، فى مثل قوله صلى الله عليه وسلم : ( ان كذباً على ، ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ) رواه مسلم من حديث المغيرة رضى الله عنه ، ثم حذرهم صلى الله عليه وسلم من الاغترار بهؤلاء الكذابين والاعتماد على حديثهم فقال صلى الله عليه وسلم : « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون ياتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم ) . رواه مسلم أيضاً من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ..

وان من حرصه صلى الله عليه وسلم على حديثه ، وسلامته من أن يلوث بأحاديث الكذابين عليه انه اعتبر الذين يروجون الأحاديث دون أن يتثبتوا من صحة نسبتها اليه صلى الله عليه وسلم فى حكم الكاذبين عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : ( من حدث عنى بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين ) . وقال صلى الله عليه وسلم : ( كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ) . رواهما مسلم . وروى عن الامام مالك رحمه الله انه قال لابن وهب : ( اعلم انه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع ، ولا يكون اماماً أبداً وهو يحدث بكل ما سمع ) .



وعن عبد الرحمن بن مهدي قال : ( لا يكون الرجل اماما يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع ) .

ولذلك اتفق العلماء على انه لا يجوز الاحتجاج بالحديث الضعيف في الاحكام (٩) فضلا عن العقائد ، ذلك لأن الحديث الضعيف لا يفيد الا الظن المرجوح والاخذ به مضموم بنص الكتاب والسنة ، فقال تعالى : ( ان الظن لا يغني من الحق شيئا ) وقال صلى الله عليه وسلم : ( اياكم والظن ، فان الظن اكذب الحديث ) متفق عليه . وفي حديث آخر : ( اتقوا الحديث عنى الا ما علمتم ، فمن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار ) (١٠) .

واذا كان الامر كذلك ، فكان الواجب على الفقهاء الذين هم المرجع لعامة الناس في التعرف على احكام الشريعة مفسلا ان يكونوا ابعد الناس عن مخالفة هذه النصوص ، ومناقضة ذلك الاتفاق الذي انعقد بأمثالهم من العلماء الذين قالوا به ذلك ما يقتضيه حسن الظن بهم وجمالة قدرهم .

ولكن الواقع يشهد — والأسف يملأ قلبي — ان جمهورهم على اختلاف مذاهبهم ، قد امتلات كتبهم بمئات الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، التي رتبوا عليها احكاما شرعية كثيرة على اختلاف انواعها وخطورتها ، مما سبق تفصيل القول في بعضها والنهيل لها باحاديث هم مصدرها والمستدلون بها ، تبعهم على ذلك بعض المعاصرين !

وهذا امر يشهد به كل من له معرفة بعلم الحديث ، وله اطلاع لا بأس به على الكتب الفقهية البسطة في المذاهب الأربعة ، ومن أجل ذلك وضع جماعة من أئمة الحديث على بعض الأمهات منها كتب التجريعات المعروفة (١١) . والف ابن الجوزي الحنبلي كتابه ( التحقيق في مسائل التعليق ) وذكر في مقدمته الحابل له على تأليفه فقال : ( كان السبب في اشارة العزم لتصنيف هذا الكتاب ان جماعة من اخواني ومشايخي في الفقه ، كانوا يسألوني في زمن الصبي جمع أحاديث التعليق ، وبيان ما صحح منها ، وما طعن فيه ، وكنت اتوانى عن هذا لسببين :

أحدهما : اشتغالي بالطلب .

والثاني : ظني أن مافي التعليقات من ذلك يكفي ، فلما نظرت في التعليقات رأيت بضاعة أكثر الفقهاء في الحديث مزجة ، يعول أكثرهم على أحاديث لاتصح ، ويعرض عن الصحاح ويقلد بعضهم بعضا فيما ينقل . ثم قد انقسم المتأخرون ثلاثة أقسام :

**القسم الأول :** قوم غلب عليهم الكسل ، ورأوا أن في البحث تعباً ، وكلفة ، فتعجلوا الراحة ، واقتنعوا بما سطره غيرهم .

**والقسم الثاني :** قوم لم يهتدوا الى أمكنة الأحاديث ، وعلموا أن لا بد من سؤال من يعلم هذا ، فاستنكفوا عن ذلك !

**والقسم الثالث :** قوم مقصودهم التوسع في الكلام طلباً للتقدم والرياسة ،

---

(٩) انظر ( المجمع شرح المهذب ) للإمام النووي ( ٥٩/١ ) و ( الإجابة المفصلة ) لأبي الحسنات للكنوزي ص ( ٥٦ ) .

(١٠) انظر مقدمة ( صفة الصلاة ص ٧ الطبعة الثالثة ) .

(١١) انظر مقدمة ( صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ص ٤ - ٥ ) و ( الرسالة المستطرفة للكناني ص ١٤١ - ١٤٢ ) .

واشتغالهم بالجدل والقياس ، والالتفات لهم الى الحديث لا الى تصحيحه ، ولا الى الطعن فيه .

وليس هذا شأن من استظهر لدينه ، وطلب الوثيقة في أمره .  
ولقد رايت بعض الأكابر من الفقهاء يقول في تصنيفه عن الفاظ قد أخرجت في الصحاح : ( لا يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه الألفاظ ) ! ويرد الحديث الصحيح ، ويقول : ( هذا لا يعرف ) ! وإنما هو لا يعرفه ، ثم رأيت قد استدلت بحديث زعم أن البخاري أخرجه : وليس كذلك ثم نقله عن مصنف آخر كما قال تقليدا له ، ثم استدلت في مسألة فقال : ( دليلنا ما روى بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كذا ) ! ورأيت مشايخنا يقولون في تصانيفهم : « دليلنا ما روى أبو بكر الخلال بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، و « دليلنا ما روى أبو بكر عبد العزيز بإسناده » .

و « دليلنا ما روى ابن بطه بإسناده » ، وجمهور تلك الأحاديث في ( الصحاح ) ، وفي ( المسند ) وفي ( السنن ) غير أن السبب في اقتناعهم بهذا ، التكاثر عن البحث . والمعجب ممن ليس له شغل سوى مسائل الخلاف ، ثم قد اقتصر منها في المناظرة على خمسين مسألة ، وجمهور هذه الخمسين لا يستدل فيها بحديث ! فما قدر الباقي حتى يتكاسل عن المبالغة في معرفته ؟ ! .

والوم عندي ممن قدمته من الفقهاء ، جماعة من كبار المحدثين عرفوا صحيح النقل وسقته ، وصنفوا في ذلك ، فإذا جاء حديث ضعيف يخالف مذهبهم يبنوا وجه الطعن فيه ، وإن كان موافقا لمذهبهم سكتوا عن الطعن فيه . وهذا ينبغي عن قلة دين ، وغلبة هوى ( ثم روى بسنده عن الدارقطني وهذا بسنده عن وكيع أنه قال ) : أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم ( ١٢ ) .

قلت : ومن المؤسف أن الوصف الذي ذكره ابن الجوزي ينطبق تماما على رجلين كبيرين ، أحدهما شافعي المذهب وهو الإمام البيهقي ، والآخر حنفي وهو علاء الدين ابن التركماني ، وذلك ظاهر في كتاب الأول منهما ( السنن الكبرى ) ، وفي كتاب الآخر ( الجوهر النقي في الرد على البيهقي ) . بل إن ابن الجوزي نفسه لم ينبج من هذا البلاء ، .

وأعتقد أن السبب في ذلك ، إنما هو التعصب لمذهب معين ، فذلك هو الذي يحمل البعض على السكوت عن الحديث الضعيف إذا كان له . ويسارع إلى الكشف عن علته إذا كان عليه ، بل إن بعضهم ، قد يصحح الضعيف ، ويضعف الصحيح حية لمذهبه . فلو لم يكن للتعصب من شؤم إلا هذا لكفى . . . فالحمد لله الذي عافانا من العصبيّة المذهبية ، ورزقنا التمسك بالسنة الحميدة فقط دون غيرها . .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في ( منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ) ( ج ٤ ص ١٠ ) :

( قاعدة : المتفولات فيها كثير من الصدق ، وكثير من الكذب ، والمرجع في التمييز بين هذا وهذا ، إلى علم الحديث ، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين

---

(١٢) رواه الدارقطني في سننه ص ٩٠ ، وفيه إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن سالم السلولي أبو سالم عن أبيه عن وكيع ، ولم أر من ترجمه هو وابوه ، وقع في ( التحقيق ) ( السكوني ) بل ( السلولي ) ، ولم يورده التسماعي فيها .

نحو العرب ، ونحو غير العرب ، ونرجع الى علماء اللغة فيها هو من اللغة ، وما ليس من اللغة ، وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك ، فلكل علم رجال يعرفون به ، والعلماء بالحديث أجل قدرا من هؤلاء ، وأعظمهم صدقا ، وأعلامهم منزلة ، وأكثر ديناً ، وهم من أعظم الناس صدقا وأمانة وعلماً وخبرة فيما يذكرونه من الجرح والتعديل ، مثل مالك وشعبة وسفيان ويحيى بن سعيد والشافعي وأحمد . . . و . . البخاري ومسلم وأبي داود . . . وابن عدي وأبي حاتم البستي والدارقطني وأمثال هؤلاء خلق كثير لا يحصى عددهم من أهل العلم بالرجال والجرح والتعديل ، وإن كان بعضهم أعلم بذلك من بعض ، وبعضهم أعدل من بعض في وزن كلامه كما أن الناس في سائر العلوم كذلك . ( قال : ) « وهذا علم عظيم من أعظم علوم الاسلام . ( قال ص ١١ ) : « والاسناد من خصائص هذه الأمة ، وهو من خصائص الاسلام ، ثم هو في الاسلام من خصائص أهل السنة ) ثم قال ( ص ١٢ ) :

« فالأصل في النقل أن يرجع فيه الى ائمة النقل وعلمائهم ، ومن يشركهم في علمهم ، وإن يستدل على الصحة والضعف بدليل مفصل عن الرواية فلا بد من هذا وهذا ، والا فمجرد قول القائل : « رواه فلان » لا يحتج به ، لا أهل السنة ؟ ولا الشيعة ، وليس في المسلمين من يحتج بكل حديث رواه كل مصنف » ثم قال في فصل آخر ( ١١٥/٤ ) :

« وقد يكون الرجل صادقا كثير الحديث ، كثير الرواية فيه ، لكن ليس من أهل العناية بصحيحه وسقيمه ، فهذا يستفاد منه نقله ، فانه صادق ضابط ، وأما المعرفة بصحيحه وسقيمه ، فهذا علم آخر ، وقد يكون مع ذلك فقيها مجتهدا ، وقد يكون صالحا من خيار المسلمين ، وليس له كثير معرفة ، لكن هؤلاء وإن تفاضلوا في العلم ، فلا يروج عليهم من الكذب ما يروج على من لم يكن له علم ، فكل من كان بالرسول أعرف ، كان تمييزه بين الصدق والكذب أتم . فقد يروج على أهل التفسير والفقه والزهد والنظر أحاديث كثيرة ، أما يصدقون بها ، وأما يجوزون صدقها ، وتكون معلومة الكذب عند علماء الحديث ، وقد يصدق بعض هؤلاء بما يكون كذبا عند أهل المعرفة مثل ما يروى طائفة من الفقهاء ، حديث : ( لا تفعلنى يا حبيراء فانه يورث البرص ) وحديث ( زكاة الأرض يبسها . ) وحديث . . وحديث . . الى أمثال ذلك من الأحاديث التي يصدق بعضها طائفة من الفقهاء ، ويبنون عليها الحلال والحرام ، وأهل العلم بالحديث متفقون على أنها كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم موضوعة ، وكذلك أهل العلم من الفقهاء يعلمون ذلك . »

وقال العلامة محمد بن عبد الهادي بعد أن نقل قول ابن تيمية : « غفد يروج . . . » . :

« وهذه الأحاديث التي ذكرها ، منها ما لا يعرف له اسناد ولا أصل كحديث : « زكاة الأرض يبسها » ومنها ما هو موضوع ، وما هو ضعيف الاسناد كحديث « لا تفعلنى يا حبيراء » رواه الدارقطني وابن عدي وغيرهما وهو موضوع ، وحديث « نهى عن بيع وشرط » رواه البيهقي باسناد ضعيف . . ثم قال ابن عبد الهادي : « ويشبه ما ذكره شيخنا من هذه الأحاديث ما يذكره بعض الفقهاء والأصوليين ، أو المحدثين محتجا به أو غير محتج به ، مما ليس له اسناد ، أو اسناد ، ولا يحتج بمثله النقاد من أهل العلم كحديث ( النهى عن بيع الكالئ بالكالئ ) وحديث . . وحديث . . » . ثم ختم ذلك بقوله .

« واعلم أن غالب هذه الأحاديث مروية بالأسانيد ، ومنها ما لا يعرف له اسناد أصلا ، وهى على أقسام : فمنها ما هو موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيقن ، ومنها ما يشك فى وضعه ، ومنها ما اسناده ضعيف ، ومنها ما قد يحسنه بعض الأئمة ، والله الموفق للصواب » ( ١٣ ) .  
وقال العلامة ابن الحسنيات للكنزى فى ( الأجوبة الفاضلة ) ( ص ٢٩ - ٣٠ )  
بعد أن ذكر أصنافا من الموضوعين ، منهم من وضعوا أحاديث فى الأحكام ، وتقولوا بالحلال والحرام :

ومن هنا نصوا على أنه لا عبرة للأحاديث المنقولة فى الكتب المبسطة ما لم يظهر سندها ، أو يعلم اعتماد أرباب الحديث عليها ، وإن كان مصنفها فقيها جليلا ، يعتمد عليه فى نقل الأحكام ، وحكم الحلال والحرام ، إلا ترى إلى صاحب ( الهداية ) من أجله الحنفية ، والرافعى شارح الوجيز من أجله الشافعية - مع كونهما ممن يشار إليه بالإنامل ، ويعتمد عليه الأماجد والأماثل « قد ذكرنا فى تصانيفهما ما لا يوجد له أثر عند خبير بالحديث يستفسر ، كما لا يخفى على من طالع ( تخرىج أحاديث الهداية ) للزيلعى ، و « تخرىج أحاديث شرح الرافعى لابن حجر العسقلانى . وإذا كان حال هؤلاء الأجلة هذا ، فما بالك بغيرهم من الفقهاء الذين يتساهلون فى إيراد الأخبار ، ولا يتعمقون فى سند الآثار ؟  
ولذا قال على القارى فى ( رسالة الموضوعات ) : حديث « من قضى صلاة من الفرائض فى آخر حجته من رمضان كان ذلك جابرا لكل صلاة فاتته فى عمره الى سبعمائة سنة » باطل قطعا ، ولا عبرة بنقل صاحب ( النهاية ) ، وغيره من بقية شراح ( الهداية ) فانهم ليسوا من المحدثين ، ولا أسندوا الحديث الى أحد من المخرجين . انتهى .

وقال السيوطى فى ( مرقاة المسعود الى سنن أبى داود ) تحت حديث ( نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتمشط أحدا كل يوم : ) « فان قلت : نقل أنه صلى الله عليه وسلم « كان يصرح لحيته كل يوم مرتين » قلت : لم أقف على هذا باسناد ، ولم أر من ذكره إلا الغزالى فى ( الأحياء ) ولا يخفى ما فيه من الأحاديث التى لا أصل لها انتهى .  
وقال للكنزى فى كتابه الآخر ( النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير ) ( ص ١٢٢ - ١٢٣ ) بعد أن ذكر مراقب كتب الفقه الحنفى ، وما يعتمد عليه منها وما لا يعتمد :

« كل ما ذكرنا من ترتيب المصنفات ، إنما هو بحسب المسائل الفقهية وأما بحسب ما فيها من الأحاديث النبوية فلا ، فكم من كتاب معتمد ، اعتمد عليه أجله الفقهاء مهلوع من الأحاديث الموضوعة ، ولا سيما الفتاوى ، فقد وضع لنا بتوسيع النظر ، أن أصحابها وإن كانوا من الكاملين ، لكنهم فى نقل الأخبار من المتساهلين » .

ثم قال للكنزى فى الكتاب الأول ( ص ٣٥ ) : « فان قلت : فما بالهم أوردوا فى تصانيفهم الأحاديث الموضوعة مع جلالتهم ونباهتهم ؟ ولم لم ينتدوا الأسانيد مع سعة علمهم ؟ قلت : لم يوردوا ما أوردوا مع العلم بكونه موضوعا ،

( ١٣ ) نقلته من مجموع بخط محمد بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زريق ، فيه عدة كتب منها فصل قال : رأيت بخط الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الهادى رحمه الله تعالى فى أثناء كلام له وهو محفوظ فى المكتبة الظاهرية برقم ( ٤٠٥ ) حديث .

بل ظنوه مرويا ، وأحالوا نقد الأسانيد على نقاد الحديث ، لكونهم اغنوهم عن الكشف الحديث ، إذ ليس من وظائفهم البحث عن كيفية رواية الأخبار ، إنما هو من وظيفة حملة الآثار ، فكل مقام مقال ، ولكل فن رجال .

قلت: وفي جوابه رحمه الله نظر كبير وتسامح ظاهر ، فإن كون نقد الأحاديث ليس من وظيفة الفقهاء ، فذلك لا يسوغ لهم مطلقا أن يوردوها محتجين بها ، ومؤيدين بها مئات الفروع المذهبية ، وهذا معناه أحد شيئين :

أما أنهم يرون صحتها ، فلذلك احتجوا بها ، وهذا بعيد لأن شهادة الأئمة المتخصصين ترد ذلك .

وأما أنهم لا يعملون صحتها ومع ذلك استدلوا بها ، وهذا هو الذى نعتقده ، وهم على هذا متساهلون كما صرح اللكنوى فيما تقدم ، فلعن الله هز وجل يغفر ذلك لهم لخدمتهم للشرع بعلم الفقه ، وإن كان تساهلهم هذا له آثاره السيئة من نشر الأحاديث الضعيفة والموضوعة بين طلاب الفقه ، حتى صار من الصعب اقتناعهم بضعفها وصرفهم عنها إلى الأحاديث الصحيحة لثقتهم العمياء بمن أوردوها من الفقهاء ، وتوهمهم أنهم كانوا على معرفة تامة بالأحاديث صحيحها وسقيمها وأنهم لم يوردوا إلا ما صح منها ! ، ويصرح بعض شلائهم بقولهم: « كل فقيه محدث ، وليس كل محدث فقيها » وجهلوا أو تجاهلوا قول الرجل الحكيم : ( ولكل فن رجال ) .

ونحن بعد هذا ، لا نريد من فقهاءنا اليوم ، أن يصير كل واحد منهم محدثا ، إلى جانب كونه فقيها ، يستطيع حين يتطلب الأمر أن يستخرج الحديث من مصادره وأصوله القريبة منها والبعيدة ، وأن يحكم عليه بالصحة أو الضعف ، ليس ذلك تقليدا منه لغيره ، بل بدراسته بنفسه لاسناده ، وبمعرفة لرواته ، وتتبعه لعله ، كلا لا نريد منهم هذا ، فإنه شئ صعب حقا ، ولم لا ؟ وأكثرهم لم يدرسوا من علم الحديث إلا ما يعرف اليوم بـ ( مصطلح الحديث ) دراسة سطحية نظرية لم يقترن منها تطبيق عملي ، على نحو دراستهم سائر العلوم الأخرى مثل ( الفيزياء ) و ( الكيمياء ) وغيرها من العلوم التى إذا لم ينضم إليها دراسة تطبيقية ، فسرعان ما يستتخر من أذهانهم بعد انتهائهم من الدراسة وحصولهم على الشهادة !

وانما نريد من فقهاءنا اليوم شيئا وهو سهل على من سهل الله له : أن يعتبروا بصنيع من قبلهم ، فلا يحتجوا بالأحاديث الضعيفة لاثبات أى حكم شرعى وأن يتعرفوا عليها بالرجوع إلى أهل التخصص والمعرفة بها من المحدثين ، وهؤلاء لهم كتب كثيرة معروفة فى تخريج بعض الكتب الفقهية ، ولهم كتب أخرى متنوعة تساعد الفقهاء على تمييز الحديث الصحيح من الضعيف وبذلك يصح اعتبارهم ويكون فقهاءهم نافعا صالحا مشكورا .

---

(١٤) للشيخ الفاضل عبد الوهاب عبد اللطيف المدرس بكلية الشريعة فى الأزهر مقدمة على ( المقاصد الحسنة ) وأخرى على ( تنزيل الشريعة ) كاد أن يخطئ فيها بالكتب المألوفة فى الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، والمشتبهة على الأئمة ، مع التنبيه على المطبوع منها ، فليرجع إليها .

# نداء

يا رفيقاً أعطى الحياة كثيراً  
أنت ما زلت سيداً وستبقى  
أنت أنت الذى أقام وأرسى  
فاستحالت ناراً على كل باغ  
أنت من دوح الطغاة فعاتت  
أنت من مرغ الغزاة فأمسى  
يا حفيداً لخالدٍ ولعمرو  
جَدَّد العزمَ لا تملَّ المسيراً  
سَيِّدَ الكونِ أولاً وأخيراً  
دولة الحق عِزَّةٌ وضميراً  
أكلته وأصبح الكونُ نوراً  
هجماتُ التُّتارِ تبكى المصيراً  
في يَدَيْكَ الطاغوتُ عبداً أسيراً  
وصلاحٌ مازلت نصراً كبيراً

★ ★ ★ ★

يا رفيقاً أعطى الحياة كثيراً  
أنت روح الحياة قِشَارَ حُبٍّ  
لا تَخَاضِلْ فالطُّبْلُ أجوفٌ يُدَوِّى  
واللَّهيبُ الذى تراه صِيَّاحُ  
هُوَ يَخْشَى مصيره حيثَ ينها .....  
رُؤْيَى أرضاً رَمَاداً حَقِيراً  
إنَّ تلكَ الأمواجَ يَقْذِفُها الرِّيحُ وَيَمْضَى مُقَهَّقَهَا مَذْعُوراً

## لِلأَسْتَاذِ بَكْرِ مُوسَى

جِبَّةَ الْبَحْرَيْنِ تَلْقَى الصَّخُورَا  
نَحْبَهَا ذَلَّةٌ تَمْنَى الْمَجِيرَا  
يَتَعَالَى وَيَنْتَهَى زَمَرِيْرَا  
سَاكِبَا دَمَعَهُ غَزِيرَا غَزِيرَا  
بَاهَتِ اللَّحْنُ لَا يَمَسُّ الشُّعُورَا  
لَا غِبُّ الْخَطِيْوُلُمُ يُحَرِّكُ ضَمِيرَا

يَمْتَصُّهُ الْفَضَاءُ وَتُدْمَى  
وَالْكَبْكَبُ لَعْنَةُ الْكَبْتِ تَقْضَى  
لَهَا رَعْدَةُ الشَّتَاءِ صَبَابُ  
وَأَخْرِيفُ مِنَ الرُّعُونَةِ يَعْدُو  
ذَلِكَ صَوْتُ الضَّلَالِ مَهْمَا تَعَالَى  
صَرَخَةٌ مَا لَهَا صَدَى وَصَرَاحُ

\*\*\*

جَدِّ الْعَزَمَ لَا تَمْلَأُ الْمَسِيرَا  
وَأَتَّقِ الْخَطِيْوُلَ نَاصِرَا مَنْصُورَا  
يَجِدِ الْحَرْثُ فِي الدَّرُوبِ زُهُورَا  
وَمِنْ الْحَقِّ قَدْ يَكُونُ أَخِيرَا  
مُسْتَمِيتَا عَلَى الْبَلَاءِ صَبُورَا  
فَتَجَلَّسُ تَلْقَى الْبَعِيرَ يَسِيرَا  
يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرَا كَثِيرَا  
فَتَقْدِمُ وَلَا تَمْلَأُ الْمَسِيرَا

يَا رَافِقَا أَعْطَى الْحَيَاةَ كَثِيرَا  
أَنْتَ تَحْيَا لِلْحَقِّ وَالْحَقُّ يَمُضِي  
وَطَرِيقُ الْأَحْرَارِ شَوْكٌ وَلَمَّا  
يَأْخُذُ لَا تَقُلْ هُزِمْنَا فَتَنْصُرِ الْمُوْ  
فَشَلُّ الْخَصْمِ أَنْ يَرَاكَ قَوِيَا  
لَأَنَّهَا مِحْنَةٌ يَطُولُ مَدَاهَا  
رَبُّ ضَرْبٍ تَضِيقُ مِنْهُ طَوِيلَا  
وَالْحَيَاةُ الْحَيَاةُ عَزَمٌ وَحَزَمٌ

# المبتدون على

## الفقه الإسلامي

للكنور: وهبة الزحيلي

الإسلام النظام القائم بذاته المستقل عن أي تشريع آخر : لا يعرف منطقة ولا تقبل صراحته إلا تصنيف الناس إلى فريقين : فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، فريق المتقين المؤمنين الأخيار ، وفريق العصاة والكفار والمنافقين والأشرار .

والفريق الثاني لا خطورة فكرية منه على الإسلام ، لأنه يكره المسلمين بدافع الحقد ، والتعصب والتقليد الموروث عن الآباء والأجداد ، وبالتالي لا يقبل تطبيق نظام الإسلام في نطاق الحياة العامة وفي مجال التقنين النافذ الملزم لكراهية في الصدور وبسبب ممارسة طقوس دينية مخالفة للإسلام ، فإن أريد تطبيق الإسلام في بلد إسلامي يوماً ما ، ظن من يعرف بالاثنيات ظناً خاطئاً أن الإسلام ينتقصهم حقوقهم ، ويفرض عليهم واجبات وأعباء خاصة تتنافى مع المستوى اللائق للإنسان وكرامته في العصر الحديث . غير أن المنصفين من هذا الفريق يبعدون كل البعد عن أمثال هذه الترهات والأباطيل ، فهم يترفعون عن دوافع التعصب الأعمى وبواعث العصبية الجاهلية ، فيعملون أفكارهم المجردة ، ويفقدون ما جاء به الإسلام من إصلاحات جذرية لتنظيم الحياة العامة والخاصة ، ويعترفون بسلامة واعتدال قواعد الإسلام وأحكام فقهه ونظرياته العامة التي تعتبر من أرقى وأوضح وأوفق لما توصل إليه الفكر القانوني المعاصر ، لذا فإنه لا غرابة إذا وافق بعضهم على تطبيق أحكام الفقه الإسلامي باعتبارها وليدة البيئة العربية وتراث القومية العربية .

وفي انطباعتنا أن هؤلاء سواء أكانوا ظالمين أم مقسطين عادلين لا يهمننا



امرهم ، ولا يزعجنا موقفهم من الاسلام ، بل ولا يزيدنا ثناؤهم أو تقديرهم إيماناً وجباً وتقديراً لفقنها الاسلامى العظيم ورجاله الأعداء .

وانما الأدهى والأمر ، والآنكى والأعجب أن نجد أناساً من الفريق الثانى — فريق المسلمين — يسيئون الى انفسهم ودينهم ، ويستتهنون بأخوانهم العاملين فى حقل الاسلام الذين لا يشاركونهم فى الظاهر فى اختصاصهم ونشاطهم ، أو لا يسيرون معهم سير الأتباع فى كل شىء ، سواء أكان خيراً أم موصوفاً بالخيرية .

وجناية هؤلاء فيها سنوضحه فاحشة منكرة ، لأننا كما نعلم لا يؤتى الاسلام الا من اهله وعشيرته :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند .

والاسلام فى عقيدة إتباعه هو المحكم فى الخلافات ، ومرد النزاع ، وعلى مبادئه وفى هديه تفرض المنازعات وتهدأ ثورة النفوس عند الخصام : « فان تنازعتن فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » وما أختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله .

والاسلام كما هو معروف حرب على الجهالة والجهلاء ، وعدو للتخلف والهزيمة ودعاة الانهزام ، ودعوة الى الحرية والفكر والعقل والنور والمدنية والعرفان .

لكن الجاهل المعروف بجهله شأنه يسير ، وانما الخطر الذى نعانيه اليوم هو بسبب الجهل النصفى وهو جهل المتعلمين والكتاب والادباء والمتخصصين فى شتى أنواع العلوم والمعارف الحديثة بحقيقة الاسلام ، ومع ذلك فهم بحكم اسلامهم وغيبتهم على دينهم يتصورون نظام الاسلام وتشريعه حسبها يتراءى لعقولهم « الذكية » وأفكارهم « المعيقية » وآرائهم « السديدة » ، وغاب عنهم ان مثل هذا الذكاء والفكر محصور فى حدود اختصاصهم وفى دائرة أدبهم أو علمهم الذى تعلموه على مقاعد جامعات الغرب الشهيرة ، وفيها وراء ذلك يعدون جهلاء مغرورين مفتونين ان ادعوا عليهم مثلاً بفقهاء الشريعة الاسلامية وأصولها ودقائق علومها وقدر فقهاء الأوائل ، بل ربما فى احكام العبادة الدينية التى يؤدونها خمس مرات فى اليوم أو مرة فى العام أو فى العمر ، وهى فى الحقيقة مشتبلة على أخطاء ، ومردودة فى وجوههم يوم القيامة ، لأن الله سبحانه لا يقبل من العبادة الا ما كان صحيحاً خالصاً من الشوائب .

وعند أدنى التأمل نقول : رحم الله امرأ عرف قدره فوقف عنده ، فلا عيب مثلاً ان كنت جاهلاً بعلم الطب أو الهندسة أو الفلك أو الفلسفة ، وأنا الآن أمارس اختصاصاً آخر ، وعندئذ لا يعقل بداهة أن اتجهج على أرباب العلوم الأخرى وان كان الجاهل بالشىء عدواً لما جهل .

ولكن مع كل هذه البدهيات والمسلطات الضرورية فى منطق الأشياء ، تطلع علينا الآن بعض المؤلفات الاسلامية ، وتنتشر بعض المجالات الاسلامية فى صفحاتها الأولى ، ويتواتر النقل عن بعض الجماعات والأشخاص الاسلاميين من دعوة سافرة الى التهوين من شأن دراسة الفقه الاسلامى واعتبار أن العمل فى ميدانه « ليس عملاً للاسلام ، ولا هو من منهج هذا الدين ولا من طبيعته ، وأنه مضیعة للعمر والأجر أيضاً » .

هذا القائل أحد فئات خيبة تستهين بدراسة الفقه الاسلامى ، وتلتقى فى مآل الامر — وان كان بغير شعور — مع النزعة الاستشراقية الأتمة التى

تطغح قلوب أصحابها بحقد دفين معاد للإسلام فى جملة ، وموجه الى القلعة الحصينة فيه بعد القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهذه الفئات الخمسة هى ماياتى :

### الفئة الأولى :

تقول : لا غائدة من دراسة هذا الفقه المسطور فى الكتب « القديمة » الكثير الفروع ، المشتت الأصول ، الموزع الأفكار ، المعقد الألفاظ والاصطلاحات ، والمشتغلون به هم « اهل الظاهر » وعليهم علم الظاهر ، واما هم فيأخذون العلم من مصدر الوحي ومفتاح النبوة وصاحب الرسالة مباشرة بالاتصال القلبي ، أو عن حضرة الله بطريق العلم اللدنى : « وعلمناه من لدنا علما » . وهذا محض الكذب والافتراء والغرور ، لأن الوحي لا ينزل الا على نبي أو رسول ، ولا يطلع الله سبحانه على علمه وغيبه احدا الا بوحي سهاوى منزل : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول » . واما الإلهام المزعوم فلا يصلح دليلا من أدلة الشرع ، ولا طريقا لمعرفة أحكام الإسلام ، لأنه طريق غير مأمون العاقبة اطلاقا ، وليس بالموثوق عقلا ونقلا ، لاحتمال الخطأ والغوضى والتخليط الناجم عنه . ومن المعروف أن شرع الإسلام إنما يؤخذ عن صاحب الرسالة مباشرة وينقل الى من بعد أصحاب النبي بالسند المتصل الذى تميزت به الامة الإسلامية عن غيرها من الأمم الأخرى ، وكان ذلك هو السبب فى الحفاظ على سلامة أحكام الإسلام من التغيير والتبديل ، والتحريف والتأويل ، والله سبحانه وتعالى نهانا عن التكلم فى الدين بغير علم ، قال عز شأنه : « ولا تقف ما ليس لك به علم » « ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

هؤلاء الروحانيون عابثون تائهون يفترضون اشياء من بنات الخيال وعالم الافكار البعيدة ان لم يلتزموا بضوابط الشريعة كما تلقاها صحابة رسول الله ، وعملوا بها ، وعرفوها واضحة جليلة ، لأن شريعتنا تعتمد أو لا — كما أشرت — على النقل الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا مجال للعقل فى تقرير أو اثبات أو افتراض شيء بغير اعتماد على نقل ثابت ، أما فى مجال التحقق من صحة النقل أو التثبت منه فان للعقل دورا فى ذلك لتزييف النقل أو رده أو اقراره فى ضوء معرفة أصول الشرع ومقاصده العامة وأهدافه الإصلاحية ، ولن تتوفر تلك المعرفة بغير دراسة مستمرة طويلة تتمثل كل ما جاء به الإسلام من عقيدة وعبادة وتشريع وحكم وتوحيد وتصوف وتفسير وحديث وفقه وأصول ... الخ .

وحينئذ فقط يتهاى لنا أمثال أولئك الرجال الذين كانوا ينخلون الحديث نخلا بحس صادق وذوق مرفه وصفاء أصيل ، فصانوا السنة النبوية عن كل دخيل ، وجوها من افتراء المفتريين ، ووضع المواضيع للأحاديث المزعومة المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### الفئة الثانية :

بعض الدعاة الى الإسلام : وهذه أخطر الفئات ، لأنى والناس يحبون بالانطرة كل عامل مخلص لدين الله ، ويثقون بأشخاص الدعاة ، لأنهم مؤتمنون

على نقل رسالة الاسلام للأجيال المتلاحقة وتقريبها من أذهان الناشئة وعرض  
فلسفة الاسلام لهم عرضا شيقا رائعا ، وتصوير أهداف الدين ومراميهِ القريبية  
والبعيدة تصويرا أدبيا حديثا ومبتكرا أحيانا .

لكن هؤلاء ان أصابوا في مجال الدعوة الى الاسلام والمطالبة بتطبيق نظامه  
عقيدة ودستورا وحكما وإدارة وقانونا نافذا ، فهم فيما يبدو متناقضون ، لأنهم  
ان أرادوا تطبيق دستور الاسلام ، فهل يمثل هذا الدستور تمثيلا بارزا جوهريا  
سوى الفقه الاسلامي يعني الأحكام العملية الصادرة عن الإنسان قولا وفعلًا  
وتصرفا وهل تغني الفيرة الدينية والعاطفة الصادقة والإيمان الصحيح عن الربط  
العضوي الكامل بفقه الاسلام الذي يرسم للمجتمع حسبما تقتضي به السياسة  
الشرعية نظام الاسلام الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي .

وهل الأهل الباسم بإقامة مجتمع اسلامي مستقيم يعيد مجد الاسلام الأول  
وصفوه الأمل يكون بغير قواعد الاسلام الفقهية وأنظمته التفصيلية ؟ !!

وأما أحكام الاسلام الاعتقادية والخلقية ، فهذه في الغالب ليست مثار  
نزاع ، الا لهوى شخصي ، اذ من النادر بين المسلمين من يتنكر لمعبدته وفطرته  
وقواعد الأخلاق التي وضعها الاسلام ويلورها على نحو يحقق الخير للجماعة  
والنفع العام للعالم من غير تمييز بين الناس في الجنس أو اللون أو العرق  
أو اللغة أو الدين . وقتلها تجد أحدا لا يسلم بأصالة الأخلاق الاسلامية وسبورها  
وواقعيتها واعتدالها لمساريتها متطلبات المادة والروح ، والدين والحياة ، والعمل  
والعبادة في أتم نظام وأحكم أساس .

وأما الفقه الاسلامي الذي هو مصدر الدستور والقانون فلا تسهل  
معرفة ، ولا يعرفه الناس بدون دراسة مستمرة له تعرف المسلمين بأحكامه  
وتبين لهم ما هو خالد باقي منه لا يتغير للنص القاطع الوارد بشأنه ، وما هو قابل  
للتطور والتبدل أو التعديل لآبائنا في أصله على نحو مرن متجاوب مع المصالح  
المتجددة والحاجات المتغيرة . كما أنه لا بد من بيان ما يجوز للحكام فعله وما  
لا يجوز من تقييد المباح ، وسد الذرائع ، وإيقاف النص مؤقتا ، والسبل التي  
يسوغها الشارع في بدء الحكم وأثنائه ، وما يصادم الشريعة من الوسائل المحرمة  
لتحقيق الغايات المرجوة .

انتظر قيام دولة الاسلام الراشدية لنبدأ دراسة الفقه الاسلامي فيعم  
الجهل ويسوء الفهم وتختلف الآراء ، وتتجلى آثار ذلك في وضع دستور اسلامي  
موضوي مشعب بروج التعصب والهوى والاجتهاد القلق ، كما يحلو لمثال هذا  
الأديب الكاتب !!

الا نعلم أن الناس اليوم أفلسوا من بضاعة الوعظ والإرشاد واثارة  
المواطف ، كما يفعل هذا الكاتب ، وكما يفعل الخطباء في محاضراتهم وعلى  
منابرهم ، وسبب الافلاس أن الناس أصبحوا لا يتحمسون للمبادئ الرائعة دون  
أن يلمسوا فائدتها أو يعرفوا حقيقتها وأهدافها ، أو يدركوا المصالح المترتبة  
عليها ، كما يفعل الفقيه في تبين كل ذلك وإيضاحه .

الا ندرك ادراكا تاما ان كماله الله لحفظ القرآن الكريم لا تقتصر فقط على  
حفظ آياته السامية بين دفتي المصحف دون تحريف أو تبديل ، وانها الحفظ شامل  
لكل الروايد التي تساعد على حفظ القرآن ، ومن أهمها وأولها مدارس الشرع  
وحلقاته وكتباته وجامعاته ؟ !!!

كيف يصح القول بأن دراسى الفقه يشسبهون مصمى الأزياء والملابس التى تتغير حسب النصول والأعوام ، علما بأن فقه الإسلام يرتدعى الحقيقة الى المصدر الالهى بطريق الوحى ، اذ لا خلاف بين المسلمين فى أن مصدر جميع الأحكام الشرعية إنما هو الله سبحانه بعد البعثة النبوية ، سواء اكان ذلك بطريق النص المباشر فى القرآن والسنة ، أم بواسطة الفقهاء المجتهدين ، لأن المجتهد مظهر للحكم لا منشئ له من عند نفسه .

واذا كان هناك « قسط كبير من الأحكام الفقهية من ثمرات التفكير الاجتهادى اهتمدى اليها بوسائل استنباطية مختلفة » فلا يعنى ذلك كما يتبادر للأبداء مثلا أن هذا الاجتهاد من محض الفكر الشخصى والهوى الذاتى ، لأن الإسلام الذى هو تشريع سماوى ينتقد الاجتهاد فى نطاقه إما بتفسير نص قرآنى ، أو حديث نبوى صحيح ، أو أصل شرعى مستنبط منها ، أو قاعدة فقهية مأخوذة من وقائع التشريع وأسباب النزول أو من المقاصد العامة والأهداف الكبرى أو الأساسية التى ينشد الإسلام تحقيقها وتنظيم المجتمع على هديها ان كان ما يكتبه هذا الكاتب الاديب الذى يجعل العمل فى الأدب والفن والتجارة افضل من دراسة الفقه واجدى سبيلا هو زلة قلم وشططا فى القول ، فالخطب يسير ، لأن الكاتب أحيانا يكون متأثرا بالخيالات ، وقد يجبح به الغرور ودافع التجديد الى اسفاف فى الكلام ، وقد يجرى على تلبه شطحات شيطانية تشبه شطحات الشعراء وغلواءهم والشعراء يتبعهم الغاؤون .

وأما ان كان ذلك فكرة وتخطيطا كما هو المرجح من امثاله واعوانه والنشائرين لكلامه لتحويل دراسة الفقه وتقليل اهميته وجدواه ، والاستخفاف برجالاته وأساتذته وطلابه ومعاهده ومدارسه ، فهذا ما نرفضه رفضا ابديا ، ونعلن تخطئته ، ونقرر أنه جهل فاضح بالفقه وأحكامه وأنظيته ، كما بينا فى بدء المقال .

فهل دراسة تفسير القرآن الكريم والحديث النبوى لها ثبرة عملية فى الغالب غير ثبرة استنباط الأحكام الشرعية منها ، فهما فى الحقيقة وأغلب علوم الإسلام قد تبلورت وتنهلت فى الفقه والفقهاء ؟ !

وهل يعرف الغربيون عن حضارة العرب وأفكار المسلمين القانونية غير فقه الإسلام الذى يصور المجتمع فى نشاطه السفكرى والاقتصادى والاجتماعى ؟ !

وهل المؤتمرات الدولية اهتمت غير الفقه الإسلامى مصدرا من مصادر التشريع العام فى العالم ؟ !

وهل يستطيع امرؤ الغض من قدر فقها ثنا العظام الذين هم مفخرة الإسلام الكبرى وأعجوبته النادرة بما أعقبوه من تراث مجيد غزير صالح الى الآن ومنذ اثنى عشر قرنا ، لأن رائدهم كان هو الاخلاص والتفانى فى الوصول الى الحق وخدمة العلم ، ولأنهم يستمدون من روح الإسلام وأصوله الأبدية ؟ !

وهل خلد الرومان ذكرهم بالرغم من عظمة دولتهم ومضى آلاف السنين عليها بغير الفقه الرومانى الذى هو شىء يسير اذا قيس بالفقه الإسلامى والذى اشتغل به فقهاؤهم الاقدمون ، حتى كانت آراؤهم ونظرياتهم أساسا لوليا للفقه اللاتينى المعاصر فى أوروبا ، مما بوا تاريخ الرومان القانونى منزلة جعلته يحتل مقرا دراسيا فى مختلف كليات الحقوق الحديثة ؟ !

ثم انه هل يفتخر الفرنسيون واضعو القوانين في العالم الغربي بغير مجموعة نابليون بونابرت التي تخضعت عنها الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ م بفضل الفقهاء القانونيين الذين كانوا من ورائها . وكذلك شأن الجرمان والفقهاء الجرماني وغيره .

وهل الفقهاء في كل عصر على ممر التاريخ الا اولئك العمالقة الذين يعكسون لنا صورة المجتمع الذي يعيشون فيه ، ويرسمون لنا صورة نظامه القانوني وحياته التي تسير في فلكه ودائرته ، فنستفيد بالتالي من تجارب الماضي ونخطط للمستقبل على نحو مقترن واضح .

ان الذين يهونون من شأن الفقه ودراسته ويقولون مثلا : انه « فقه العوام » للصلاة والصيام والأعمال ، ألم يكونوا هم بالاولى أحرص الناس على الاستفادة من هذا الفقه لتصحيح عباداتهم ، وقد شاهدت بنفسي خلافا فيها عند بعضهم ، ثم ترغيب الناس وحمل أنفسهم بالذات على جعل البيوع والأشربة والشركات والرهون والتجارات على أساس إسلامي ؟ !

ثم ألم يعلموا أن فقه الإسلام راجع اما الى آية قرآنية ، أو حديث نبوي ، أو أصل إسلامي ، وأن عمل الفقهاء ليس بضاعة مزجاة كما يزعمون وإنما هو عمل خالد باقي مثير ، وثروة تشريعية كبرى ، وخدمة جليلة للإسلام ، ونحن بأمر الحاجة الى دراسة انتاجهم ، واقتناء حصاد افكارهم ؟

وهل اصحاب الفن والأدب والتجارة قليلون حتى نترك دراستنا الفقهية ، ونزاحهم على عملهم « الشريف » ؟ ! وإذا تعرضت مؤسسة تعليمية للعلوم الشرعية للالقاء من سلطة ما ، فلماذا نتألم ونأسف اذا كان هذا الأديب الكبير وداعية الإسلام يرى أن الاشتغال بالفقه الإسلامي مضیعة للعمر والأجر معا : « كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا » .

لا يصح لي أن أقول وفق منطق الكاتب المذكور : ان الإسلام هو الفقه مثلا ، وإنما هو كل علم له صلة بالشریعة ، مما يوجب على احترام المختصين فيه ، وتقدير المقيم الناتجة عنه ، ذلك لأن الإسلام كل لا يتجزأ وكل علم فيه يخدم العلم الآخر ، والإسلام بنيان كبير يحتاج الى مهرة متعددين متعاونين لا قامة صرحه ورفع لوائه ، والإسلام بحاجة ماسة الى تعاون ایدی كل أتباعه ، فهو يحتاج الآن الى المنسر والمحدث والفقيه والاصولي والمتكلم ( عالم الكلام أو التوحيد ) والفيلسوف والمؤرخ والداعية ، كما انه محتاج لتطبيق مبادئه ونهضته الى الخبراء الاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين والكتاب والأدباء والمترجمين ، والمخترعين والصناع والتجار والزراعيين والمثقفين والقضاة وأعوانهم ... الخ . هكذا يقوم بنيان الإسلام : « آمين أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم أسس بنيانه على شفا جرف هار غانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين » .

ومن يستطيع الزعم بأن دارس الفقه لا يدعو الى الإسلام واقامة دولته ، والجهاد في سبيل الله ، ومقاومة الأعداء مهما كان لون العدوان ، وطرد المحتلين والمستعمرين من كل جزء من أجزاء بلاد الإسلام ، وهل حمل لواء الجهاد بحق الا الفقهاء على ممر العصور ، فنحن فداء للإسلام بالروح والمال عقيدة وجهادا وتضحية وبذلا وسياسة وعملا واخلاصا ونصحا . قال أستاذنا الجليل

الشيخ محمد أبو زهرة : « ومن يحاول أن يفهم الشريعة الإسلامية على أنها قوانين مجردة ومعالجات لاصلاح طوائف من المجتمع وتنظيم معاملاتهم من غير أن يربطها بالإسلام ، فلن يفهمها على وجهها الصحيح ، لأن الفهم المستقيم : ما قام على رد الفروع الى أصولها ، والنتائج الى مقدماتها ، والأحكام الى غاياتها ، والآراء الى مقاصد قائلها ... » .

وان دراستنا للفقه لا تعنى فقط معرفة آراء فقهاءنا العظام فى عصر الازدهار الفقهى فى القرن الثانى الهجرى ، وانما هى دراسة نقدية ايجابية بخبركة نابية تترما عليه الفقه فى الماضى - وأغلبه جيد - وتبين مدى ملاءمته للحاضر وتطلعات المستقبل ، وعندئذ نستفيد من تراثنا العظيم ومن طرائق المجتهدين فى استنباط الأحكام الشرعية ، ثم نحاول تنمية هذا التراث وتطويره ووضع الضوابط الصحيحة المستفادة من فقهاءنا للانطلاق المتعقل نحو المستقبل المنظر والحاضر القائم .

هذا فضلا عن معرفة أحكام الحلال والحرام والصفة الدينية التى يتصف بها الفقه الإسلامى وبيان أوجه صحة العبادة الشرعية والمعاملات المدنية ، ونوع العقوبات الجزائية التى يجب تطبيقها على الجناة ، وأحكام الأسرة أو الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وموارث ووصايا ، وأصول المعاهدات وأحوال السلم والحرب والأوضاع الدستورية والإدارية ، والعلاقات الخارجية والداخلية مع غير المسلمين . كل ذلك يعرف فى كتب الفقهاء ، فهل الاشتغال بذلك يعتبر مضیعة للعمى والأجر معا ، وهل هو فقه أوراق رخيص ؟ !!

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يوص بشئ غير العلم والفقه فقال : « أفضل العبادة الفقه » « من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين » « ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ... » الحديث . وإذا كان الفقه المراد فى الأحاديث المذكورة أهم من فقه الفقهاء ، فهو على كل حال من مشمولاته وأخص ما يراد منه .

والزهد بدراسة الفقه زهد فى الحقيقة بالإسلام ؟ لأن غاية الفقه الإسلامى تنظيم الحياة الخاصة والعامة وإسعاد العالم كله ، وتحقيق مصالحهم ، ودفع السوء والمفاسد عنهم ، ووضع أسس المجد المرتقب ، وإصلاح العلاقات الإنسانية وتقوية الصلة بالله .

فهل العناية بدراسة هذا الفقه لا تخدم رسالة الإسلام ، أو إن العمل فيه عمل مريح لا خطر فيه كما يتصور أدينا الكاتب الكبير ؟ !

أجل ! انه عمل ثقیل لمن يعرف الفقه ومشتلاته ، ومسئولية عظمى وأمانة كبرى عند من يحسن فهم الفقه ، فالفقيه إذا مسئل عن قضية غافى فيها بما يخالف إرادة الحاكم مثلا تعرض لكل أنواع الضغط والتعذيب والتفكيك ، كما حصل للإمام مالك فى عهد أبى جعفر المنصور حيث أفتى بعدم وقوع طلاق المستكره ، فجلد ، وكما ثبت الإمام أحمد أمام سباط الخليفة المأمون فى محنة خلق القرآن ، فثبتت بثباته مقيدة الأمة .

ومسح كل تلك ، هل الحكام والأمراء ودعاة الإصلاح بغنى عن فقهاء يعتبرون عوناً أوليا لهم ، وسندا دائما معهم ، وقوة فكرية تؤصل سياستهم أو دعوتهم على أساس علمى رصين ، وفكر ثاقب ، وراى نافذ ؟ !

فليس الإسلام عاطفة فقط ، ولم يقم مجتمعه على غير هدى ونور ، وعلم وفتح ، ونظام وتخطيط .

وهل اثبات صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان ، أو اثبات مرونته وتطوره وتأهيله للحياة الحاضرة يكون بغير دراسة الفقه وانضاج أحكامه ، وسبر أغواره ، ورصد تطلعاته ومراميهِ وأبعاده ؟!

وإذا كان منهج الإسلام وطبيعته في بادية أمره في مكة هو محاربة عوامل الانحراف الأساسية للمجتمع ، والقضاء على مفاسد الجاهلية ، فلا معنى ذلك أن يكون الحفاظ على الإسلام الآن وتهئية عوامل الاستقرار لأنظمتها رهينا باصلاح العقيدة فقط ، بل لابد من تعاطف جميع القوى الإسلامية وقوانين الإسلام لقامة حياة منظمة ومجتمع مسلم ، وهل القوانين الوضعية الآن التي تخطط لأنكار الناس ونشاطاتهم سوى فقه الفقهاء وصنيع العلماء ؟!

أجل !! أن محاربة دراسة الفقه من بعض المسلمين ، أو قادتهم أن كانوا كما يحسبون قادة لموقف غريب مدهش ، بل هو أشد ما رأيته غرابة في حياتي في عصرنا الحاضر الذي لا تقوم فيه دولة بغير دستور وقانون . وعلى كل حال فالمتهويين من دراسة الفقه بكل أبوابه مصدره جهل به ، وغرور مسيطر على نفوس بعض الأشخاص ، ولعلني لا أبالغ في اثبات صحة ما أقول أن تحدثت أو امتحنت أمثال أولئك المستهينين ليفهمونا حقيقة نص فقهي أو منشأ قاعدة أصولية ، أو طريق الخلوص من تعارض دليلين شرعيين ، أن لم يحتكوا الى مجرد عقولهم ومنطق أقوالهم ، وما أبعدنا أحيانا عن المنطق الصحيح والفكر الإسلامي الأصلي .

إن الفقه الإسلامي الذي عرف أحدث النظريات القانونية الجديدة مثل نظرية الظروف الطارئة والقوة القاهرة ، ونظرية تحمل التبعة ، ومسئولية عديم التمييز ، والتعسف في استعمال الحق ، والضرورة ، وضمان الاعتماد أو المسؤولية المدنية والجنائية .. الخ : هذا الفقه أي عار في دراسته وهلا نعترف بأننا مازلنا مقصرين بحقه للاستفادة منه ، ولرغد الفكر المعاصر بأصول ومبادئ كثيرة من معينه الذي لا ينضب . وعندئذ تتجلى الحقيقة الدائمة ، وتبتدئ أوهام القائلين بأن دراسة الفقه الإسلامي هي مجرد دراسة تاريخية محضة متذرعين بعدم تطبيقه الآن ؟ !

### الفئة الثالثة :

بعض دعاة الإصلاح للدراسات الإسلامية في المعاهد والجامعات : لقد طالعتنا أحداث « المجددين العصريين » بالمعجب العجائب استجابة لصيحات سابقة باصلاح مناهج الدراسات الإسلامية منذ أكثر من ربع قرن ، مطالبة تلك الصيحات بالنهوض بدراسة المشكلات المعاصرة وتغيير الكتب المقررة ، وتبسيط المقررات الشرعية ، والابتعاد عن دراسة الفروض والقضايا النظرية والمسائل الخيالية والأبحاث غير الموجودة في وقتنا .

لكننا مع الأسف بعد أن ترقبنا المولود السميد القوى « تمخض الجبل فولد فأرا » فكان الإصلاح الجامعي على غير المراد ، إذ جاء مسخا وتقميرا وقتلا

أو اضعافاً للدراسات الإسلامية ، فبدلاً من وضع المناهج الجديدة في مرحلة التعليم الثانوي والجامعي على أساس إسلامي صرف يؤصل الأحكام الإسلامية ويربطها بأصولها الأولى ونظرياتها العامة ومقاصد التشريع وتعميق الأفكار وعقد الصلة بالحياة الحاضرة ، وبدلاً من توسيع دائرة تدريس العلوم الإسلامية ، بدلاً من كل ذلك تركز الاتجاه نحو تقريب الفقه الإسلامي مثلاً من القانون الوضعي على أنه الأصل « الأسمى » وأصبحت المقارنة مع الفقه تستهدف تذليل الأحكام المخالفة للقانون على نحو يتقبله سذنته وتصورات رجاله ، ناسين بأن مقتضاها الإسلامي له طابعه الاستقلالي ، وأن القانون لم يستقر بعد ، وهو من وضع المستعمرين والأعداء الحاقدين .

وأصبح مع الأسف الشديد حظ دراسة العلوم الإسلامية بمقدار الخس ، وخصصت الأربعة الأخماس الباقية للعلوم المصرية .

### الفئة الرابعة :

الزعماء والطفيلون : وهؤلاء أمرهم جال حقير إذ أن كل الناس يعرفونهم ، لهم لفتق في تكوينهم لاهم لهم إلا التطفل على العلم ومحاولة مد الرعوس على مؤانذ العظام ليختلسوا عظمة تسد جوعتهم ، وترفع خسبستهم ، وتحمضهم عن دناءة طبعهم وانحطاط أقدارهم ، ليظهروا بذلك في مصاف العلماء ، بل فوق الفقهاء ، بل المحددون المصلحون كما يروق لهم وكما يزعمون ، ولكن لا يعدو أمرهم عن أنهم كالحجاب السذين اعتادوا السطو على ما فيه جيوب الناس ، أو السطو على سدة الحكم وتقلد السلطة كما حصل في دور انحطاط الخلافة العباسية .

وطريق هؤلاء في الظهور تتبع شواذ الآراء الفقهية ومحاولة ترجيحها وتقويتها بظواهر الأحاديث النبوية ، ثم يطلعون على الناس بالجديد « المحقق » والرائ « الصائب الدقيق » المستقى من سنة النبي صلى الله عليه وسلم وفقه السلف الصالح ، وكان فقهاءنا كانوا لا يعرفون السنة في عهد تدوين السنة وفي القرن الذي شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية ؟ !

وإن أردت معرفة هؤلاء فهم بسطاء في العقل ، قساة في الطبع ، شذاذ في الآراء ، يزعمون التجديد ، ويزيفون أقوال فقهاءنا الغابرين الذين شهد لهم الشرق والغرب بفقههم ، يعادون أسانذة الفقه ويصفونهم بالجهل ، ويتكلمون بكلام أخرق لا أدب فيه ولا ذوق ولا ميزان ولا أصول ، ويتسددون بالاتقان ، وينادون بتوحيد المذاهب الإسلامية والزمام الناس برأي واحد من بين هذه الآراء التي هي « ركاب » أو « خيام » أو خرافات . وأما هم فلا يقولون إلا حقاً ، ولا ينطقون إلا بالحكمة ، ولا يرون رأياً أصبح أو أرجح في الإسلام من رأيهم : « اللجج » وصدق الله حيث يقول : « ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب : هذا حلال وهذا حرام .. الآية » .

هؤلاء في الحقيقة عنوان الخرق والسفه والجهل والطيش والغرور ، لأن الدعوة مثلاً إلى توحيد المذاهب دعوة فارغة وكلام شعاعري إذ كيف يمكن جعل الاثنين في واحد أو الأنانيين في وعاء واحد ؟ فاختلاف المذاهب الفقهية أمر ضروري



لن اشتهل بالدراسات الفقهية وعرف أدلة الشريعة وطبيعتها وكيفية استنباط الأحكام منها وتنوع الفاظ اللغة العربية في الدلالة على الحكم ، وهو أيضا اختلاف يعد بحق رحمة للامة لما فيه من توسعة وتيسير في اتباع الشخص ما يسهل عليه عند الحاجة ووفق بمطلبات الحياة . وبذلك يعتبر اختلاف المذاهب الاسلامية منفرة كبرى ، لانه ثروة تشريعية عظيمة يأخذ منها الناس ما هم بحاجة اليه ، لا سيما وان الحاجات متجددة ، والمصالح متغيرة ، والأنظمة متبدلة ، والحياة في حركة وفاعلية ونمو وتبدل مطرد ، فإذا الزمنا الناس برأى واحد أو بمذهب معين — وهو ما لم يجرؤ عليه كبار الخلفاء العباسيين — نكون بذلك قد حفرنا بأبدينا قبورنا لأنفسنا . والتوفيق بين المذاهب يخلق نوعا جديدا من التعقيد والتضييق أعقد بكثير مما عليه الفقه الحاضر ، بل انه يزيدنا حير قواربنا ككبيرين في التزام وتطبيق الأحكام الشرعية .

نعم انه لا مانع من الأخذ بأي رأى أو مذهب اسلامي في مجال التفتين الموضوع ، لان للحاكم ترجيح أحد الآراء الفقهية ، ثم قد يجد حاكم آخر بعده تجافيا لهذا الرأي مع المصلحة الزمنية . ومن هنا اسباب مخطئو الموسوعة الفقهية في الكويت وغيرها بالاعتصار على عرض أحكام الفقه الاسلامي كما هي دون تدخل من الكاتب برأى شخصي الا في الحاشية ، حتى لا يكون هناك حجر في المستقبل على الأخذ برأى آخر ، لا سيما اذا كان المرجح غير أصيل النظرة الفقهية ، بله العالة على الفقه ؟ !

### **الفئة الخامسة :**

دعاة الاتجاه النظري للفقه : وهؤلاء يقولون : ان الفقه الاسلامي في بدء تكوينه اتجه اتجاها نظريا منفصلا عن الحياة العملية الواقعية ، أو انه فقه ورقي مثالي لا يتعدى جدران منزل الفقيه وتصوره المجرد . وهذا الفريق ممن تتلمذ على بعض كبار المستشرقين من أصل يهودي مثل جولد تسيهر ، وكان هؤلاء تأثروا بما كان يصدر عن الخلفاء الأمويين والعباسيين من مخالفات لأحكام الفقه . وهذا لا يصلح حجة ، فان مخالفة الحاكم السياسي لحكم فقهى لا يصلح دليلا على مثل هذه الدعوى الخطيرة الفارغة التي تلتقي مع انتصار الفئة الثانية التي تكلمنا عنها ، وكلهم كما أوضحنا مخطئون في تصورهم عن الفقه والفقهاء ، لان فقه الاسلام يعتمد في الدرجة الاولى على النصوص الشرعية التي لا مجال للدعاء بانها لم تبح للحياة العملية ، وأما المخالفات فهي حجة على أصحابها فقط .

وأما فقهاؤنا — كما هو معروف عن حياتهم وسيرتهم — فقد كانوا على صلة وثيقة بالحياة بدليل اعتمادهم على الأعراف والعادات والاستحسان والاستصلاح والفرائن العرفية ، واستقراء الحوادث وتتبع أحوال الناس ، وسؤال التجار والاختلاط بهم ومعرفة ما يدور في الأسواق وتعاطي الصناعة والتجارة أحيانا ، والتنقل في البلدان طلبا للحديث ، ومعرفة الأحوال السائدة في الأمصار وفي العواصم والأقطار ، مما يكون سببا أحيانا للرجوع عن مذهب كامل أو عن آراء في مسائل جزئية ، لذا كان الفقهاء المتأخرون يقولون عن اختلاف بين أئمة المذاهب المتقدمين : هذا اختلاف عرف وزمان ، لا اختلاف حجة وبرهان .

وكان بعض الفقهاء يوجهون الحكم بطريقة غير مباشرة فى وضع الخطط السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لما كان للفقهاء من منزلة مرموقة بين الناس ، حتى ان الخلفاء العباسيين وجدوا حاجة ماسة للتقرب من الفقهاء .

وقد يوجهون الخلفاء بطريقة مباشرة باصدار الفتاوى واقتراح الترتيبات اللازمة لاصلاح الادارة والنظم المالية لتأمين الواردات ، والمداخلة فى النفقات . وكان الفقهاء هم الذين يضعون أنظمة القضاء وطريق الفصل فى المنازعات والاقتضية وشروط القضاة ، وينفذون أيضا بلفت الانتظار نحو مبدأ السياسة الشرعية والضرورات العملية الطارئة التى تقتضيها شؤون الحياة والعمران والدولة والأفراد .

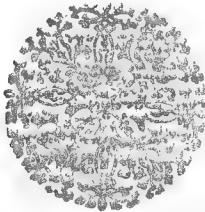
هذا فضلا عن ان الفقهاء كانوا المرجع الأوحد لامتناء الناس فى قضاياهم المدنية والجنائية ، وكان المسلمون حريصين فى كل زمن على الاستفادة من علم الفقيه واجتهاد المجتهد .

فهل كان هذا الفقه بعد كل هذا عملا مثاليا نظريا غير مطبق ولا متفاعل مع الحياة العملية ؟ !

ان هذه دعوى من أبطال الباطلات ، وسبحانك اللهم هذا بهتان عظيم . نعم كان هناك ما يعرف بالفقه الفرضى أو الافتراضى أى افتراض حوادث ووقائع لم تقع ، والحكم عليها سلفا ، الا ان هذا لا يعنى ان تكون الحادثة نظرية بحتة ، وانما احتمالات وقومها كثيرة ، وهذا يدل على بعد نظر الفقهاء وعمق تفكيرهم ، مما اكسب الفقه وبخاصة فقه الحنفية خصوصية وسعة وحيوية .

هؤلاء هم المعتدون على الفقه الإسلامى من أهله وذويه ، والمسلمون موما اشد عدوانا بأهاليهم المطالبة بتطبيق احكام الاسلام واحترام مبادئه ، والتزام أهدافه ، وتنفيذ شرعه عملا ، الا أنه بالرغم من كل صنوف العدوان الاثيمة ، والوان الظلم والقطعية ، سيظل الفقه الإسلامى مقما ذا مدلول وقيمة حضارية كبرى ، ولن يهون من شأنه أقلام وأشخاص وفئات نكرات عنه ، وليطعن الناس الى أن من يستعين بالفقه ومدارسه واساتذته شأنه شأن قول القائل :

كتالح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها ، وأوهى قرنه الوعل



# النشاط الصهيوني الأمريكي

«محمود علي بدو»

لمطلع كبير

وبمناسبة الحديث عن النشاط الصهيوني بالولايات المتحدة الأمريكية الذي نشر بعدد شهر رجب ١٣٩٠ بمجلة « الوعي الإسلامي » الغراء يحسن أن ننتبه الى أن نفوذ ذلك النشاط وأثره يتجاوز الحدود الأمريكية ويتعداها الى سائر الاقطار في أوربا وآسيا وأفريقيا وأستراليا ، حيث تتجارب له جيوب المنظمات الصهيونية العلنية والخفية المنبثة في جميع الاركان . مما لا شك فيه أن السنة الاعلام الأمريكية أقوى منها في أى بلد آخر وأكثر موارد وأقوى نفوذاً ، فمما تنشره الصحافة الأمريكية التي يسيطر عليها الصهيونيون بصفة تكاد تكون كاملة تتلطفه السنة الاعلام بالبلاد الأخرى وخاصة في الاقطار الموالية للغرب فتعكس ما فيه وتكرر الاكاذيب والتلفيقات التي يحتوى عليها ، وفي ذلك من الخطورة ما فيه .

ويجب أن نعلم أن خصومة الصهيونية للعرب والاسلام لا تنتمز على الناحية العسكرية ، بل هم يحاربوننا في عقائدنا ، ويحاربوننا ثقافياً وحضارياً وتاريخياً ، ويعملون على طمس المعالم ودفن الحقائق ، ويبنون على انقاضها اكاذيب ملفقة يروجونها ، ويكررونها يغيرون الحقائق التاريخية ، ويصفون الكتاب الكريم بما ليس فيه ، بل يحرقونه ويغيرونه ، ويقولون من أهمية حضارة

الاسلام ويمسحون عقيدته ، والخطر كل الخطر ما يترك ذلك من اثر فى عقول الناشئة ، ولو أن قادة الفكر الاسلامى اهلوا هذا الجانب فواصلنا تغافلنا ولم نعد العدة لمواجهة هذا الخطر بطريقة علمية فعالة ، فانه يخشى أن تنشأ الاجيال الجديدة وخاصة فى البلاد الغربية ذات النفوذ متشعبة بهذه الاكاذيب متقبلة لها على انها حقائق تاريخية او ثقافية او دينية .

ولنضرب بعض الامثلة لتلك الاكاذيب التى اصبحت لدى شعوب الغرب - الا لدى من عصيه الله - وكأنها من التنزيل .

يكذبون - لعنهم الله - نبوة الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويزعمون انه انما تعلم من اهل الكتاب الذين يدعون انهم كانوا يكترون على مكة والمدينة وانه اخذ عنهم وخاصة عن اليهود ثم كون افكاره ، وزعم انه يوحى اليه ونسب كتابه الى الله - استغفر الله - فيمثلون لذلك باتخاذ القدس قبلة فى الصلاة ايام مكة وفى بدء عهد الهجرة بالمدينة ، ولكنه لما حقد على اليهود جدلهم وفضحتهم اياه ( هكذا ) غير اتجاه القبلة وجعلها تجاه الكعبة نكابة فى اليهود ، ويضربون المثل ايضا باحترام الاسلام ليوم عاشوراء تقليدا لليهود ، واتخاذ احد ايام الاسبوع يوما ذا صفة دينية خاصة اتباعا لهم ، ولكنه كى يخالفهم جفله يوم الجمعة بدلا من يوم السبت !

ثم انهم ليكذبون على القرآن ويمسقونه بما ليس فيه ، ويكذبون على الرسول صلى الله عليه وسلم وينسبون اليه ما لم يقل او يفعل ويروجون الزعم بان النبى صلى الله عليه وسلم فرض دينه على عرب الجزيرة بحد السيف ، ثم تبعه فى ذلك اصحابه منثروا دينه بجيوشهم الجاراة وبعمال الرعب والفرع لا بالاتناع والحجة متغافلين عن الحقائق التاريخية وعن نصوص القرآن نفسه التى تعارض هذه الاكاذيب !

والمعجب كل المعجب ان تلك المفتريات تلقى افنا صاغية متقبلة ، وليس ادل على ذلك ما ذكره قاض امريكى كبير كان الى عهد قريب عضوا بارزا بالحكمة العليا ، زعم فى سياق الحديث عن التعليم الدينى بالمدارس ان ماتحة الكتاب التى يكرها المسلمون فى صلاتهم تحض على قتل غير المسلمين ، ونشرت الصحف ذلك الحديث فحدث ضجة بين مسلمى امريكا الشمالية وكتبت اليه احتجاجات مشددة من جانب البعض واستفسارات مهذبة من بعض السادة سفراء الدول الاسلامية ، فكانت اجابته غير مقنعة ولم يبال بتصحيح ما ذكره فى الصحف كما كان ينبغى .

ومما قرأنا اخيرا فى صحيفة يسارية موالية للصهيونية مقالا لاحد مرأسليها عاد من زيارة للمغرب العربى فصار يسب فى اهله ويطعن فى اخلاقهم ويصف الكتابات وصيبياتها وصفا مزريا وزعم انهم يتعلمون هناك قصصا منها أن محمدا ( صلى الله عليه وسلم ) رأى اصحابه مرة يتكلمون مع النصراني بالمدينة مغضب لذلك ونهرهم وزجرهم .

ثم انهم ادخلوا فى روع العالم ان الوجود الاسرائيلى الحديث هو ما بشرت به نصوص العهد القديم التى يؤمن بها ويقدسها اليهودى والمسيحى على السواء ، اعنى تلك النصوص التى وعد الرب فيها ابراهيم ان تكون ارض

فلسطين لذريته ، متناسين أن من العرب ايضا من هو من ذرية ابراهيم ، ومتجانين للحقيقة اعنى أن زعماء الصهيونيين الاثنتين صادرون من سسلالات لا تمت لابراهيم عليه السلام بصلة وانما اعتنق اسلافهم دين اليهودية ، فليس كل يهودى من ذرية ابراهيم كما انه ليس كل مسلم من ذرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم !

ثم يزعمون أن الوجود الاسرائيلى حقيقة تاريخية ثابتة ، بمعنى انه منذ قامت دولة اسرائيل على يد دودا لم ينقطع أبدا وجود عدد من اليهود بفلسطين او بمدينة اورشليم ( القدس ) بصفة خاصة قل ذلك العدد او كثر ، حتى قامت دولة اسرائيل الحديثة عام ١٩٤٨ ، بينما حل العرب بفلسطين مع الفتح الاسلامى فقط أى منذ مادون اربعة عشر قرنا ، ثم يقولون ان فلسطين لم تكن أبدا دولة عربية مستقلة ، بل كانت تحكمها المدينة أو الكوفة أو دمشق أو بغداد أو القاهرة أو استانبول حتى فرض عليها الانتداب البريطانى عقب الحرب العالمية الأولى . ويتعاملون عن الحقيقة التاريخية وهى أن العرب كانوا مستقرين بفلسطين قرونا قبل الفتح الاسلامى الذى حطم دولة الفساسنة العربية الموالية للدولة البيزنطية فى ذلك العهد ، وأن اليهود كانوا ممنوعين عن الاقامة بمدينة القدس حتى الفتح الاسلامى ، ثم انهم يقيسون الامور على ضوء مفهوم القومية الحديث متجاهلين الحقيقة ، وهى أن فلسطين جزء من الامبراطورية الاسلامية المجيدة لا يعنىها اذا كان مقر خليفتها المسلم الكوفة أو دمشق أو استانبول ، والمعجب أن تلك الترهات يتعلمها ويتقبلها من يظهر مواليا للقضية العربية من الغربيين وتتعكس فى كتاباتهم !

ومن الأكاذيب التى اصبحت حقائق مسلمة تكرر دائما على اللسان وعلى صفحات الجرائد والكتب والنشرات وعلى شاشة التلفزيون زعمهم أن لاجئى عرب فلسطين ضحية اخطاء الحكومات العربية المجاورة ، فيدعون انه فى عام ١٩٤٨ — عندما حصلت اسرائيل على ما يسوونه الاستقلال — عملت الدول العربية على احرار اليهود بالنار وتذفهم فى البحار وسيرت جيوشها الى فلسطين لهذا الغرض ونشرت نداءات لعرب فلسطين باخلاء بيوتهم والخروج الى الصحراء كى لا يتعرضوا لاهوال الحرب حتى اذا تم تطهير البلاد من اليهود عادوا على ديارهم ، ولكن يقولون هزمت الجيوش العربية ونجحت اسرائيل فى استقلالها ثم لم تكن اسرائيل لتقبل عودة هؤلاء لخطورتهم على سلامتها ، ثم انهم لا يذكرون شيئا مما يقوله الطرف الآخر من اثر اعمال عصابات الارهاب الصهيونية حتى قبل قيام اسرائيل — كما حدث فى مذبة قرية ديرياسين فى ١٠ ابريل ١٩٤٨ التى ملأت قلوب السكان العزل المساكين فرعا ورعبا وحفزتهم على الهرب بعد أن ذبح فيها ٣٥٤ من رجالهم ونسائهم واطفالهم ، وكان هذا فى الحقيقة الهدف المبيت لهذه الاعمال الوحشية ، كما طردت اسرائيل وتطرد عشرات الآلاف من اصحاب البلاد ، ونسف بيوتهم وتستحل اموالهم على مسمع من الغرب الاعمى المطموس على قلبه !

لا يذكرون هذا حتى على سبيل الجدل ويحاولون الرد عليه وذلك كى تكون دعواهم وحدها هى التى تشغل افكار الناس وعقولهم ولا يزاحمها فى ذلك قول آخر .

لقد استشرى الخطب واستفحل المصاب ، ولكن اليأس والقنوط عجز ، والكتاب الكريم يقول « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

ولكن ليس معنى حفظ الله لهذا الذكران يتحقق باعجوبة او من طريق المعجزات ، فقد انتهى عهد تنزل الملائكة مسومين أو مردفين ، وانما يكون ذلك من طريق العمل الاسلامي الصحيح والكتاح الواعي المستنير .

لذلك ينبغي علينا معشر المسلمين أن نعى حقيقتين ثابتتين ، ثم نخطط كفاخنا على أساسهما ، الحقيقة الأولى هي ما فكرنا من قبل من أن الخطر الصهيوني ليس قاصرا على الناحيتين السياسية والعسكرية فحسب بل هو خطر يهدد ديننا ويحاول تحطيمه ، واليوم نرى المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين بيد العدو وتحت رحمته . ولولا بعض الاعتبارات لهمد وبنى المبد على انقاضه ، ويخشى أن يتعرض القبر الشريف والمسجد الحرام لغارات العدو وقنابله ، وقد سمعنا أن متحدثا من قادتهم أنذر بذلك ، لذلك لا يسوغ للعرب أن يعتبروا كملهم من أجل قومية عربية بل يجب أن يكون جهادا دينيا اسلاميا ، كما أن على المسلمين خارج الأمة العربية أن يتيقظوا الى الخطر الذي يهدد اماكنهم المقدسة ويتعرض بالتالي لشرف دينهم ومستقبل اسلامهم .

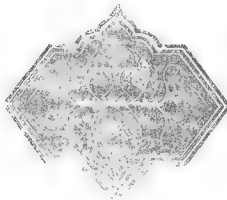
والحقيقة الأخرى هي أن الصهيونية ليست عقيدة يهودية محضة بل فلسفة يهودية تؤديها وتمتعتها المسيحية الغربية يتزعمها اليهود ومن خلفهم ساسة المسيحية الاوربية واموالها وعنادها ، ويجب أن نذكر أن الخصومة بين الاسلام والمسيحية الغربية امر قديم بدأ منذ قهرها الاسلام في القرن السابع الميلادي وأوقف امتداد نفوذها السياسي شرقا بل ازاله من بلاد الشرق الاوسط كله ، لقد تعايشت المسيحية الشرقية مع الاسلام منذ ذلك الحين في سلام وذلك لما ابداه الاسلام من مبادئ العدل والتسامح ولكن المسيحية الغربية المنهزمة لم تحتل الصدمة بسهولة بل أبطلت حقدتها على الاسلام ونقلته الى اجيالها الناشئة جيلا بعد جيل ، عن طريق تغذيتها بافكار مسمومة واتهامات باطلة عن الاسلام وكتابه وحياة رسوله ، ثم تحينت للإسلام الفرص حتى وائتها أيام زحف المغول على الجناح الشرقي من الخلافة الاسلامية فحلولوا على الجناح الغربي منها حيث حشدوا جيوشهم واساطيلهم فيها سعى بالحروب الصليبية وارتكبوا من اللواحش والمنكرات والتبثيل بالمسلمين ما يعجز عنه الوصف ، كما انتهزوا ضعف المسلمين وتفرق كلمتهم في اسبانيا فطردوهم منها بطريقة وحشية آتمة شغلوا بها ما انطوت عليه قلوبهم من غل واحتاد ، ولكن آمال المسيحية الاوربية في الشرق الاوسط تحطمت على يد صلاح الدين الذي عاملهم معاملة كريمة نبيلة فما رضخوا ولا سكنوا بل أرسلوا جيوشهم فوراً لاكتشاف موانئ البلاد الاسلامية في آسيا وجزر الهند الشرقية ليحتلوها بقوة السلاح وليذيقوا أهلها المسلمين الويلات وصنوف البلاء والتعذيب وليصرنوا أهلها المسلمين عن دينهم الحنيف الى المسيحية ان استطاعوا ، ولما لم يستطيعوا اذاقوا أهلها الويلات وصنوف التعذيب دون رحمة أو شفقة .

لقد ضج الغرب كله هذه الأيام ورفع عقبرته بالاتهام والفضب عندما تعرض الفدائيون الفلسطينيون لبعض الطائرات الملوكة لبلاد معادية وخشوا على حياة ركابها ، ونسوا أن اسلامهم في القرنين السادس عشر والسابع عشر احرقتوا سفننا تحبل حجاجا آمنين في طريقهم الى البيت الحرام بمن فيها من نساء واطفال بل كانوا يصفرون ويسخرون ، يستهتون بمنظر ضحاياهم

الذين أصبحوا وقودا لنيرانهم ، ولقد كانوا يضحكون من امهات استغفلن بهم  
والذين اليهم باطفالهن فيقتفون بالاطفال المساكين في النار كما يقتف الفحم  
للووقود ، اننا لا نبرر ايذاء آدمى ولا نرضى عنه ولكننا نود أن نذكر الغرب بأعماله  
وما كسبت يده الأثمة وما تكسب ، ألا تحرق اسرائيل بقاراتها عشرات الأديين  
ومئاتهم وتهدم عليهم بيوتهم على مسمع من هؤلاء الذين يزعمون انهم اتباع  
المسيح واحباؤه ؟ لماذا لا يفوهون بكلمة أنسانية طيبة ؟ لماذا يمدونهم بالاسلحة  
الفتاكة الإجرامية وهم يعلمون انها لتخريب المدن والقرى وقتل من بها من نساء  
وشيوخ وصبيان ؟

اننا لا نتهم المسيحيين جملة بالظلم والتعسف ، بل نحفظ الجليل لكثير  
منهم من اصديقاتنا الذين عاشوا بيننا وشهدوا بأبغ انواع الظلم والمكيدة تنزل  
بأهلنا وزرعتنا ، انهم يحاولون الدفاع من قضيتنا وأن يصلوا الى أسماع  
أهلهم وقلوبهم بمنطق العدل والرحمة ، ولكن أبواق الصهيونية المدوية وعقائرها  
الوئحة العالمة ، وإمكاناتها الواسعة وأموالها الطائلة ونفوذها الجبار يطغى  
على صوت العدالة الخافت ويجرف بجبروته وعنفه اثر تلك الجهود لهذه  
البقية الصالحة الكريمة .

يساعد على ذلك تشتتنا وتفرقنا وخلافاتنا وانانيتنا وعجزنا حتى امام هذا  
الخطر الاعظم الذي يهدد ديننا وكياننا عن أن نتفق أمام العالم على مواجهة  
العدو الخبيث ، وعصياننا في مراعاة فاضحة لتعاليم ديننا وأرشاد كتابنا وهدي  
نبينا ، فكان لذلك خطرنا ، الأول أن الاجيال الاسلامية الناشئة التي تتلقى المخزنة  
والقيم من جيل الآباء والاجداد تعاني من تعارض عقلى ونفسى يجعل تأثير  
ما يتعلمونه مسطحا غير عميق ، ويعودهم على الاستهانة بهذه القيم  
والارشادات حيث يتعلمون شيئا ثم يجدون المشاهد مخالفا ومعارضاً له ،  
فيبرض ضميرهم أو يموت ، ويهون عليهم العصيان والمخالفة ، فينفذ ذلك  
بخراب الأمة وضياع الدولة وفساد الجباة ويفقد الأمل في اصلاحها واعادة  
هيبتها وضمان مصيرها ، كما أن العالم الخارجى يشهد حال المسلمين فيتميم  
الاسلام بانه دين يودى بأهله الى القهقرى ولا يعينهم على مواجهة حاجات  
العصر ومتنظياته ، ولا ينهض بهم على التعاون والاتحاد أمام خطر يهدد مصيرهم  
ومصير تراثهم فينفرون منه ويزدرونه ، يحسبون سلوك الناس ومستواهم  
انعكاسا لدينهم ، ونتيجة لعقائدهم وتقاليدهم ، والاسلام في ذلك — والله —  
لظلم !



# منزلة العبادة في المسجد

منزلة المسجد الحرام بين المساجد . عند الرجال والنساء .

تمديد المساجد بالمسجد الحرام .

فضل الصلاة فيه .

العبادات الأخرى هل تضاعف ؟

المحارقات . الصدقة .

الزيارات بعد العهد النبوي هل لها حكم المسجد الأول . ؟



# الحِرام والمسجد النبوي

للشيخ: محمد الأشقر

تتبين منزلة المسجد الحرام بين المساجد المبنية لله ، لمن يعلم (١) أنه أول مسجد في الأرض بني لعبادة الله . و (٢) أنه قبله الصلاة والدعاء والدفن للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مع اقتران ذلك بأن الاسلام ناسخ لما قبله من الشرائع . و (٣) أنه مخصوص بمزيد من العناية الالهية و (٤) من يرد فيه بالحادث بظلم نذقه من عذاب اليم . سورة الحج / ٢٥ . و (٥) أن الحج اليه ركن من أركان الاسلام . و (٦) أن الصلاة فيه مأجورة بمائة ألف صلاة في ما سواه . و (٧) أن الوحش والطير يأمن فيه مما يؤذيه ، يأمر الله الشرعى فيسرح ويهرج في جواره آمناً . وكذلك الثبات . و (٨) أن اشراع السلاح فيه للقتال ممنوع ولو على الكافر الانفاًعاً عن النفس . و (٩) أنه يحرم السماح للكافر بدخوله لأن الكافر نجس ، والبيت مطهر . و (١٠) أن حرمة يستوى فيه العاكف والبادي من المسلمين . أى المقيم والغريب يستويان في حقوق الإقامة فيه و (١١) أنه لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد أو مكان من الامكنة بقصد زيارته والمعبادة فيه ، ما عدا هذا المسجد والمسجد النبوي والمسجد الأقصى . و (١٢) أن تأسيسه كان على يد ابراهيم خليل الله واسماعيل الذبيح وفيه مقام ابراهيم والحجر الاسود و (١٣) أن فيه عبادة لا تصلح في مكان آخر وهي الطواف والسعى . وبعض هذه الميزات ناشئة من بعض .

١ - أما الميزة الأولى ، فقد قال الله تعالى ( ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ) سورة آل عمران / ٩٦ . وقال ابو ذر اللبني صلى الله عليه وسلم : أى مسجد في الأرض وضع أول ؟ قال « المسجد الحرام » قلت : ثم أى ؟ قال : « المسجد الأقصى » قلت كم بينهما ؟ قال « أربعون سنة » رواه البخاري ومسلم ( ابن كثير ، التفسير ، سورة آل عمران / ٩٦ ) وأوضح ما قيل في تفسير ذلك أن ابراهيم بنى البيت الحرام ، ويعقوب بنى المسجد الأقصى ، ويعقوب حفيد ابراهيم فالدة بينهما قريبة .

٢ - وأما القبلية فيقول الله ( قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ) البقرة / ١٤٤ .

٤ - وأما الحج فيقول الله تعالى ( ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ) سورة آل عمران / ٩٧ مع قول النبي صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحج البيت وصوم رمضان » رواه البخاري ومسلم .

٥ - وأما مضاعفة الصلاة فيه فتأتي في أواخر هذا البحث .

٦ ، ٧ ، ٨ - وأما ألا من فيه للبشر والحيوان والنبات فلقول الله تعالى ( ومن دخله كان آمنا ) سورة آل عمران / ٩٧ وقوله ( ولا تقاتلوه عند المسجد الحرام حتى يقاتلوك فيه ) سورة البقرة / ١٩١ . وقوله ( أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ) سورة العنكبوت / ٦٧ . مع قول النبي صلى الله عليه وسلم « مكة حرمة الله تعالى ولم يحرمها الناس فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة » وفي لفظة « ولا يصاد صيدها » .

٩ - ومنع المشركين من دخوله لقول الله ( إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ) سورة التوبة / ٢٨ .  
١٠ - وأما استواء المواطن والغريب في حقوق الإقامة فيه ، فلقول الله تعالى ( أن الذين كفروا ويمضون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ) سورة الحج / ٢٥ .

١١ - وأما جواز تشدد الرجال إليه وإلى المسجدين النبوي والاقصى للعبادة دون المساجد الأخرى فلقول النبي صلى الله عليه وسلم « لا تشدد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » رواه البخاري ومسلم .

١٢ ، ١٣ - وأما تأسيسه على يدي إبراهيم خليل الله وإسماعيل الذبيح بأمر الله ، والطواف فيه والسعي فلقول الله ( وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ) ( وأذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ) سورة البقرة / ١٢٥ ، ١٢٧ .

هذا وإننا ذكرت من الأدلة أصرحها ولم أقصد الحصر .

**تحديد معنى ( المسجد الحرام ) :** باستقراء مواضع ورود هذا اللفظ في الكتاب والسنة نجد (١) أحيانا يعني به (الكعبة) فقط دون ما حولها (٢) وأحيانا يعني به (الكعبة وما حولها مما هو مهيا ومعد للصلاة فيه) فقط دون ما حول ذلك من أرض مكة وحرمة .

(٣) وأحيانا يعني به (مكة كلها وما حولها من حرمة) .

(٤) وأحيانا أخرى يدور اللفظ بين هذه المعاني الثلاثة .

مثال الأول : قول الله تعالى ( فول وجهك شطر المسجد الحرام ) مع قول ابن عباس من الكعبة ( البيت كله قبلة ) .

٢ - ومما عني به مسجد الصلاة المحيط بالكعبة قوله تعالى ( اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ... ) سورة التوبة / ١٩ . وقوله تعالى ( ولا تقاتلوه عند المسجد الحرام حتى يقتاتلوكم فيه ) فليس المقصود به كل الحرم المكي . والا لقال ( ولا تقاتلوه في المسجد الحرام ) .

٣ - ومما عني به ( الحرم المكي كله ) قوله تعالى / ( سبحان الذي اسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام ... ) سورة الاسراء / ١ . على رواية من روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ليلة الاسراء يبيت في بيت ابنة عمه أم هانئ بنت ابي طالب . وهو طبعاً خارج مكان الصلاة .

وغالب ما ورد من ذكر ( المسجد الحرام ) دائر بين هذه المعاني الثلاثة دون تحديد (١) ومثال ذلك ( ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ) ( الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام ) ( انها المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ) .

وانما دار اللفظ بين المعاني الثلاثة لأن ( الكعبة ) بنيت لاجل ان يصلى فيها فهي ( المسجد الحرام ) ثم حدد حولها مكان للصلاة فهو ( المسجد الحرام ) وكل مكة وعميرانها ومساكنها انما انشئت وتوسعت وتتوسع لاجل الكعبة والصلاة فيها وخدمتها وخدمة ضيوئها . وهي حريم ( البيت الحرام ) أى فناءه الملحق به الآخذ حكمه كما أن لكل بيت ( حريماً ) . ولذلك لولا ( الكعبة ) لم تكن ( مكة ) فما احرأها اذن بهذه التسمية ( المسجد الحرام ) .

### انطباق احكام المسجد الحرام على المعاني الثلاثة :

(١) هناك احكام تتعلق بالمسجد الحرام من ناحية كونه مسجداً ، فهي تنطبق على المكان المعد للصلاة حول الكعبة ولا ينطبق على باقى اجزاء مكة وما حولها . وذلك كتحرير البيع والشراء في المسجد . وتحرير قضاء الحاجة في المسجد . وتحرير انشاء الضالة في المسجد . ووجود المصلين المقتدين بأمام صلاة الجماعة في المسجد . ونحو ذلك .

(٢) وهناك احكام تتعلق بالمسجد الحرام من ناحية كونه محرماً بأمر الله ، وأن تعظيمه ينتغى به وجه الله ، فهذه تنطبق على مكة وما حولها . وذلك كامن الداخل في الحرم وأمن حيوانه ونباته ، وتحرير أخذ اللقطة فيه . ومضاغفة العقوبة لمن الحد فيه واتخذها مكاناً للمعصية ، أو صد الناس عن القدوم اليه واعاقهم عن ذلك . وحرمات المشركين من دخول المسجد الحرام واستواء الغريب والمواطن في حقوق الإقامة فيه .

(٣) وهنالك احكام تدور بين الناحيتين السابقتين وذلك كما ورد في الحديث « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في ما سواه الا المسجد الحرام » رواه البخارى / ك ٢٠ ب ١ ومسلم . وفي لفظ في غير الصحيحين « وصلاة

فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فى هذا ) فهل الصلاة فى بيوت مكة وسائر بقاع الحرم مأجورة بمائة ألف صلاة فى المواضع الأخرى ؟

ف قيل (١) أن ذلك الفضل فى الصلاة هو لكل مكة وحرمها . وممن قال بذلك عطاء بن أبى رباح رواه عنه الطيباسى كما ذكره فى فتح البارى . وقدمه ابن حجر فى الفتح وصححه النووى (فتح البارى ك ٢٠ ب ١) .

وقيل (٢) أن ذلك الفضل خاص بالموضع الذى يصلى فيه دون البيوت وغيرها من أجزاء الحرم . وقد قرره المحب الطبرى ، واحتج له بقول النبى صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه » فجعل الفضل لنفس المسجد لا لكل المدينة ، فينبغى أن يكون الأمر بمكة كذلك .  
والذى جنع إليه ابن حجر مذهب حسن ، وخلاصته :

١ - أن صلاة الفرض بالمسجد فى مكة أفضل من صلاة الفرض فى بيوتها وفى غير حرمها .

٢ - وأن صلاة النافلة فى بيوت مكة أفضل من صلاتها فى المسجد الحرام .  
٣ - وأن صلاة النافلة فى بيوت مكة أفضل من النافلة فى البيوت فى غير مكة .

وكان ذلك جمعاً منه بين الحديث المثار إليه ( صلاة فى مسجدى هذا ... الخ ) والحديث الآخر ( خير صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة ) .

**حكم الزيادات المضافة الى المسجد الحرام :** أن كل ما أضيف الى المسجد الحرام من الزيادات فله - أن شاء الله - فضل المضاعفة المذكورة فى الحديث السابق ، لأنها بضمها الى ( المسجد ) أصبحت ( مسجداً ) وهى ( حرام ) لأنها من الحرم ، فإن نص الحديث أن ( صلاة فى المسجد الحرام خير من ... الخ ) ولا خلاف فى ذلك - فيها نعلم - بحمد الله .

**حكم الزيادات فى المسجد النبوى :** أما الزيادات فى المسجد النبوى فهل تعتبر من المسجد النبوى فى حكم المضاعفة فيه .

نقل ابن حجر عن النووى أنه قال : ينبغى أن يحرص المصلى على الصلاة فى الموضع الذى كان فى زمانه صلى الله عليه وسلم دون ما زيد فيه بعده ، لأن التضعيف إنما ورد فى مسجده ، وقد أكد بقوله ( هذا ) . هذا قول النووى . ونقل مثله عن أبى الوفاء ابن عقيل الحنبلى . والذى يظهر لى غير هذا - والله أعلم - لما يلى :

أن ميزة المسجد النبوى أنها جاءت ، والله أعلم ، من كونه أسس على التقوى على يدى نبى كريم كما أن مسجد مكة أسس على يدى إبراهيم وإسماعيل كما ذكر الله عنهما أنها بوا لهما مكان البيت ، وأمرهما برفع بنيانه ، وتطهيره من الشرك ، ليعبد الله فيه . فلما كانت الإضافات فى مسجد مكة تابعة فى الحكم للمسجد الأسمى لأنها تؤدى نفس الغرض ، فكذا ينبغى أن يكون الأمر بالمدينة .

وأما قول النبى صلى الله عليه وسلم ( صلاة فى مسجدى هذا ) وتأكيده بقوله ( هذا ) فيظهر والله أعلم أن كلمة ( هذا ) لم يقصد بها نفى مضاعفة الأجر فى الإضافات الحادثة ، ولكن لتلا يظن أن المقصود كل مسجد بناه النبى صلى

الله عليه وسلم كمسجد قباء ومسجد الفتح وغير ذلك . فأما الإضافات فهي من المسجد قطعاً ، بدليل أنه لو صلى رجل فيها ثم أقسم بالله أنه صلى في المسجد النبوي لكان قسمه صادقا . وبهذا يتضح ما في قول النووي من التناقض لفرقته بين المسجدين النبوي والحرام في أمر واحد ، شمله حديث واحد .

ومهما قيل في الإضافات في المسجد النبوي فلا ينبغي أن يغفل عن أن الإضافات التي في جهة القبلة - أعني أمام المحراب النبوي إلى جدار القبلة الآن ، إنما زادها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والصحابه متوافرون ، واتفقوا على ذلك ، وكان قيام عمر رضي الله عنه في الصلوات الخمس أماما بالصحابه ، في تلك الزيادة . وكانت الصفوف الأولى التي هي أفضل الصفوف تقوم في تلك الزيادة . فهل يظن بهم أنهم كانوا يعتقدون أن الصلاة في غير موضعهم أفضل ؟ هذا ، وإذا علم أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار في حياته بالزيادة في المسجد علمنا أن تلك الزيادة التي في القبلة لها حكم المسجد من كل وجه . وذلك ما رواه الإمام أحمد أن عمر قال : لولا أن سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ينبغي أن يزيد في مسجدنا » . ما زدت . ورواه غير الإمام أحمد أيضا . إذن فالتقول بأن الزيادة في المسجد له حكم المسجد الأصلي تصح نسبته إلى الصحابة ، الذين صلوا في المقدمة . ولم ينقل أن أحدا منهم أنكر ذلك فيما نعلم ، وذلك ينبغي أن يكون إجماعا . ولذلك قال ابن مراحون : لم يخالف في هذه المسألة غير النووي . ونقل المحب الطبري أن النووي رجع عن هذا القول . ( انظر : وفاء الومأ بأخبار دار المصطفى ١ / ٣٥٧ وما بعدها ) .

ومن هذا يتبين خطأ قوم يتركون الصلاة في الصفوف الأولى في المسجد النبوي ويتأخرون إلى الصفوف المتأخرة ، وكثيرا ما تنقطع الصفوف فيما بين ذلك ، مع قول النبي صلى الله عليه وسلم « من وصل صفا وصله الله ومن قطع صفا قطعه الله » ( الحاكم والنسائي عن ابن عمر الجامع الصغير ) وكان هؤلاء يستنكرون ما فعله عمر رضي الله عنه وصحابه رسول الله صعه ، الذين هم اعلام الدين ونجوم الهداية . وقد قال الله تعالى ( ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين تولى ما تولى ونصله جهنم وساعت مصيرا ) .

وما هي الحجة التي بأيدي هؤلاء الذين يتركون الصفوف المتقدمة ، غنة عنها ؟ ليس لهم دليل منير ولا حجة قائمة . وهم لا شك قد حملهم حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم ومسجده على ذلك ، ولكنهم فعلوه على غير هدى ، وبغير دليل . فهي محبة غير مستبصرة . واكمل العمل ما كان على طريق واضحة . واصدق المحبة ما حمل المحب على أن يتبع طريق المحبوب . وقد قال الله تعالى ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ) ( والله أعلم .

(١) هذا بخلاف لفظ (الكعبة) ( والبيت الحرام ) فهما لفظان خاصان بالبنية التي يطاف حولها . وبخلاف لفظ ( الحرم ) فإن المقصود به مكة كلها وما حولها إلى ( الإجمال ) المعروفة . ومما يجدر التنبيه له أن بعض الناس إذا كان بمكة يقول دخلت ( الحرم ) يعني به دخولها ( المسجد ) . وهذا استعمال غير سديد . كما أن بعض الناس يطلق لفظ ( الحرم ) على مساجد أخرى فيقول ( حرم الأقصى ) ، أو ( الحرم الزينبي ) أو غير ذلك ، وهذا أيضا خطأ ، فإن إبراهيم حرم مكة ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم حرم المدينة ، فهما الحرمان الوحيدان في الإسلام يحرم صدهما ونباتهما .

# فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ

٣

وَأثر هذه النظرة في تثبيت العقيدة وتقويم الخلق

للدكتور : محمد سلام مذكور

## « اطوار الجنين فى الرحم »

والبويضة ، وسمى جنينا لاستناره .  
فالجنين فى اصل اللغة المسنور فى  
رحم أمه بين ظلمات ثلاث كما يقول  
الله تعالى (١) : « يخلقكم فى بطون  
أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات  
ثلاث » ، والاطوار التى يمر بها  
الانسان فى الرحم قبل خروجه الى  
الحياة وانفصاله عن أمه بينها الله  
سبحانه فى قوله (٢) : « ولقد خلقنا  
الانسان من سلالة من طين ، ثم  
جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم  
خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة  
مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا  
العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا  
آخر . فتبارك الله أحسن الخالقين »  
وسنقصر هذا المقال على الكلام عن  
( النطفة فى القرار المكين ) .

بيننا قبل الصلة الوثيقة بين  
الانسان وأمه الأرض وتنوع الآيات  
التي أشارت الى خلق الانسان ،  
وكيف خلق الانسان الأول من الطين ،  
وأشرنا الى النظريات التى قيلت  
بالنسبة لأصل خلق الحياة البشرية  
وأشرنا الى ما خرج عن دائرة الجنين  
كخلق آدم من طين ، ثم خلق حواء  
من ضلع آدم ، وخلق عيسى من غير  
أب ، وكل ما جاء على غير السنة  
الكونية ولا يندرج تحت هذه الآية ،  
وسنبدا الكلام هنا عن اطوار  
الجنين .

الجنين هو الهادة التى تتكون فى  
الرحم من عنصرى الحيوان المنوى

جاء فى اللغة : النطفة ماء الرجل والمرأة ، ويعبر القرآن عن النطفة فى بعض آيات التكوين بقوله (٢) فى الآية التى تدور فى فلكها : « خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » ويقول (٤) « يحسب الانسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمينى » ويقول (٥) : « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحصل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه » ويقول (٦) : « أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين » .

وقد وصف العلماء تلك النطفة بأنها جسم متناسب الأجزاء يخلق الله فيه أعضاء مختلفة وطبائعا متباينة . وهذا الكلام يشير الى مظهر من مظاهر قدرة الله وعظمته فى تخليق هذه المتباينات المختلفة الصور والوظائف من تلك المادة ، ينقل البستاق فى دائرة معارفه عند كلامه عن الجنين (٧) عن كتاب العرب « القوى كلها موجودة فى نفس النطفة فإذا أخذت فى العقل أول الأمر أمنت أمانا فصيرتها لحما ، ثم أمنت فتكونت الأغشية والأوعية التى فيها باحداث النفخ ثم بتحريك جميع القوى فيها . . وتعمل كلها عملها فى وقت واحد لا على التوالي » .

وقد اختلف المفسرون فى معنى النطفة . فذهب قليل منهم الى أنها نطفة الرجل وحده إذ الدفق لا يكون الا فى ماء الرجل . والذى عليه جمهور العلماء والباحثين من المفسرين — وأيده علم الأجنة فى الطب الحديث — أن هذه النطفة تخرج من صلب الرجل وترائب المرأة وأيده من رأى ذلك من المفسرين بالسنة النبوية الكريمة فيها ورد فى

وصف الجنين بالذكورة والأنوثة إذ يقول عليه السلام : « إذا غلب ماء الرجل يكون الولد ذكرا . . وإذا غلب ماء المرأة يكون أنثى » وواضح من هذا الحديث أن الجنين يتكون من النطفة المتزوجة من ماء الرجل وماء المرأة ، ولم يثبت أن الدفق خاص بماء الرجل وأن الدفق يتحقق فى ترائب المرأة عندما يبدأ انفصاله منها .

وأما علم الأجنة فى الطب الحديث فإن المشتغلين به متفقون على أن الحمل لا يتحقق الا نتيجة اتصال الحيوان المنوى من الذكر بالبويضة ، التى يفرزها مبيض المرأة وأن كان بعضهم يذهب الى أنه لا يسمى نطفة الا قبل اتصال ماء الرجل بالبويضة ، يقول الدكتور نجيب محفوظ فى كتابه « فن الولادة » (٨) « الحمل نتيجة اتحاد عنصري التوليد فى الذكر والأنثى أى الحيوان المنوى والبويضة أى البويضة الملقحة ، والتلقيح هو قذف الحيوانات المنوية فى البويضات الأنثوية ، ويتم التلقيح إما خارجيا أو داخليا ، والتلقيح الخارجى يحدث عادة فى الحيوانات المائية . فتقوم الأنثى بوضع البيض فى الماء ثم يرشه الذكر بالسائل المنوى الذى يحتوى على الحيوانات المنوية . وأما التلقيح الداخلى فيحدث فى السديدان والحشرات والحيوانات الثديية ومنها الانسان ، وفى هذا النوع من الإخصاب تصب الإفرزات الجنسية الذكرية فى داخل الفتحات الجنسية الأنثوية وعملية الإخصاب تحدث عادة بواسطة حيوان منوى واحد ، وفى بعض الأحيان يشترك فى عملية الإخصاب عدة حيوانات منوية . ونتيجة لاتحاد البويضة بالحيوان المنوى يتم الإخصاب وتتكون خلية

مخصبة تحنوى على صفات كسل من  
الأبوين وتنقل بالوراثة السى الكائن  
الحى الجديد .

على ان التلقيح لا يحدث وقت  
وصول أول حيوان منوى اليها بل  
بعد وصول جملة من الحيوانات  
بجوارها . وكانها البويضة تتردد فى  
اختيار رفيقها ، وباتصالها يتحدان  
ويتقرر نوع الجنين وشخصه وصفاته  
الموارة من ابويه بإرادة الله . وفى  
هذه البويضة الملقحة تكمن الطائفة  
التي تجعلها تتطور وتنمو الى حيوان  
كامل وفيها الصفات حلوها ومرها ،  
وفيها قوة العقل وقوة الجسم ، وفيها  
يكن كل ما يتصل بهذا الجنين .

وهذا التلقيح يحدث فى الثلث  
الاعلى لقناة « فالوب » بالنسبة  
للمرأة ، ثم تستبر البويضة الملقحة  
فى سيرها متجهة الى الرحم ، وفى  
طريقها اليه تنقسم ويستمر انقسامها  
بنظام دقيق حتى تتطور من خلية  
واحدة الى مجموعة خلايا تصل الى  
ست عشرة خلية فى أربعة أيام ،  
ويطلق عليها فى هذه المرحلة من  
مراحل النمو اسم الجرثومة التوتية  
لما بينها وبين ثمرة الثوت من شبه ،  
وعند هذه المرحلة تكون قد وصلت  
الى فراغ الرحم ، وهى محاطة بدائرة  
من الخلايا ، وتحاط هذه الدائرة  
بالغشاء الذى كان يحيط بالبويضة  
أصلا . ثم تلتصق بجدار الرحم فتفقد  
الحركة بحرية ويكون هذا فى اليوم  
الثامن تقريبا . وبذلك يبدأ الحمل  
فى القرار المكين - الرحم - .

ومعنى كون الرحم مكينا أنها  
ممكنة ، فهى لا تنفصل لثقل حملها ،  
ولا تمج بما داخلها ، وهو كناية عن  
جعل النطفة مصونة . وهذا يشير  
الى أن الله سبحانه لم يهمل تلك

النطفة منذ أول طور من أطوارها ،  
ولكنه هيا لها ذلك المكان يحملها  
ويحميها ويضطلع بأعبائها التى تلاقيها  
حتى ينتهى بها الى آخر المراحل  
باخراجها منه على أنه برغم ذلك  
باق على مكانته ، معد لاستقبال  
غيرها من الوافدين حتى يرسل كما  
رحل النازل الأول ، ولهذا لفت الله  
سبحانه الانظار والبصائر الى موضع  
العبر والقدرة .

ومدة رحلة النطفة حتى تستقر  
فى الرحم بالعلوق فى جداره هى  
ثمانية أيام على ما قال الأطباء ،  
أما علماء الشريعة فإن من خاض منهم  
فى تحديد هذه المدة تأثر بظاهر  
حديث الصحيحين عن عبد الله بن  
مسعود رضى الله عنه عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
« ان أحكمم يجمع خلقه فى بطن أمه  
أربعين يوما ثم يكون علقه مثل  
ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك .. »  
الحديث . فقال : ان طور النطفة  
يكون أربعين يوما .

والواقع أن الحديث روى برواية  
أخرى نصها : « ان أحكمم يجمع  
خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم  
يكون فى ذلك علقه مثل ذلك ثم  
يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك .. »  
ولا معنى لقيد (فى ذلك) : إلا ما تنفيه  
دلالة الالفاظ وهى ان طور العلقه  
يكون فى أثناء المدة الاولى ، وكلمة  
ثم حينئذ تكسون للترتيب الذكرى  
لا للترتيب الخارجى حتى لا يكون  
هناك منافاة بين كلمة (ثم) وكلمة فى  
ذلك .

وإذا أخذنا بهذا القيد الوارد فى هذه  
الرواية كان معناه أن مرحلة العلقه  
فى نفس المدة الاولى ، فيمكن تفسير  
بدئها بما ذهب اليه الأطباء ، وبه يتفق



ولا يجعل تناول هذه الاحكام امرا  
استطراديا ، فليكن بجانب النظر  
والتبصر الوقوف على الاحكام  
الشرعية العملية التى نحتاج الى  
تعرفها فى عبادتنا واعمالنا .

ومن هذا الكلام عن حكم طهارة  
او نجاسة المني - وهو المسائل  
الخارج من الجهاز التناسلي من  
الانسان بلذة واشتياق ، وهل اذا  
اصاب الجسم او الملابس او  
المفروشات اثناء احتلام او مداعبة  
فهل هو نجس يتجسس به الموضع  
الذى اتصل به فيجب غسله وتطهيره  
او يكفي بفركه او هو طاهر وتجزىء  
الصلاة معه ؟

وخلاصة آراء الفقهاء فى هذا :  
ان مذهب اصحاب الراى انه نجس  
ويجزئه فرك يابسه لحديث السيدة  
عائشة انها كانت تغسل المني من  
ثوب رسول الله ، وقد جاء الفرك  
ايضا فى رواية عنها ان النبى صلوات  
الله عليه قال فى المني يصيب الثوب:  
« ان كان رطبا فاغسله وان كان يابسا  
فافركه » ومذهب الشافعى والمشهور  
عن احمد ومذهب الظاهرية انه  
طاهر ، وقال مالك انه نجس ويجب  
غسله ، وهو المروى عن الزيدية  
والشيعة الجعفرية ومقهاء الاباضية .

وتنقل بعض كتب الحنابلة عن  
الامام احمد انه فرق بين منى الرجل  
وما ينزل من المرأة فقال : انما يفرك  
منى الرجل ، اما منى المرأة فلا يفرك  
لان الذى للرجل تخين والذى للمرأة  
رقيق فلا يبقى له جسم بعد جفافه  
يزول بالفرك فلا يفيد الفرك فيه  
شيئا .

والقائلون بنجاسة المني مطلقا لا بد  
عندهم من غسل منى المرأة ايضا

الحديث مع الطب فلا يكون هناك  
ما يدعو الى رفض ما قال به الطب  
ولا التوقف فى دلالة الحديث ولا  
يكون هناك تناقض بين ما قاله الطب  
وما دل عليه الحديث ، واذا فان  
الطب مع دلالة الحديث . واذا  
ما لاحظنا ان الحديث يفيد ان الروح  
لا تنفخ الا بعد مائة وعشرين يوما  
كما هو اجماع المفسرين وقد ايده  
العلم الحديث . فانا نقول : ان اصل  
معنى كلمة ( ثم ) يدل على التراخى ،  
ومعنى التراخى تاخر المدة الثانية  
عن الاولى فترة من الزمن فلتكن هذه  
الفترة هى المتمة للاربعة اشهر ،  
ويؤيد ذلك ان هناك بعض المراحل  
التى لم ينص عليها الحديث وهى  
مرحلة العظام واللحم فلتكن هذه  
فى مدة التراخى المشار اليها بثم  
الاخيرة فى الحديث ، وليكن نفخ  
الروح بعد ذلك .

ويؤيد ما اتجهنا اليه ما قاله الامام  
الرازى (٩) نقلا لتصوير الاطباء فى  
عهده لراحل الجنين : من ان الجنين  
يصير علقة بعد خمسة عشر يوما ،  
ثم تتميز الرأس والقلب والكبد فى  
صورها فى اثنى عشر يوما ثم تنفصل  
الرأس عن المنكبين والاطراف عن  
الضلوع ، وفى تمام الاربعين يوما  
يتم انفصال الاعضاء . . وان هذه  
المرحلة هى مرحلة التجمع التى يشير  
اليها حديث « انه يجمع أحكم فى  
بطن أمه أربعين يوما . . » .

وقد يكون من المناسب أن نشير  
هنا الى ما قاله الفقهاء بالنسبة  
للأحكام الشرعية التى تتعلق بالنطفة  
وان ذلك وان كان يخرج بنسبنا عن  
موضوع النظر والتأمل فى خلق الله  
فان فى طبعة دراسية الفقهية ،  
وطبيعة مجلة ( الوعى الاسلامى )  
ما يشجعنى بل يدفعنى الى ذلك ،

الآدمى على خلاف القياس .. بينما ينص الشافعية على أن «المنى طاهر من جميع الحيوانات إلا الكلب والخنزير أما منى الآدمى فلحديث عائشة وأما منى غيره فلائنه أصل حيوان طاهر فأنشبه منى الآدمى . ثم قالوا : ويستحب غسل المنى» . وينص المالكية على أن « النجس منى ، ومذى ، وودى من الآدمى ، أو حيوان محرم الاكل ، أما المباح أكله فقليل بنجاستها وقيل بطهارتها » ..

والى لقاء آخر لنتكلم عن مرحلة التخلق ان شاء الله حتى يكمل النظر ويتم التبصر .

رطباً كان أو يابساً ، والقائلون بطهارته قالوا : يستحب غسل منى المرأة كما يستحب فرك منى الرجل . وينص الحنفية على أن «نجاسة المنى عندنا مغلظة ويظهر محل المنى اليابس عندنا بالفرك ، ولا يضر بقاء أثره كبقاء أثره بعد الغسل ولا فرق بين منى الرجل ومنى المرأة » وهناك تفصيل فى كتب المذهب .

ونصت كتبهم أيضاً على أنه لا فرق فى هذا الحكم بين منى الآدمى ومنى غيره ، ونقل ابن عابدين عن الطهطاوى أن منى كل حيوان نجس والرخصة بالفرك وردت فى منى

(١) سورة الزمر آية ( ٦ ) .

(٢) سورة المؤمنون آية ( ١٤/١٢ ) .

(٣) سورة الطارق آية ( ٦ ، ٧ ) .

(٤) سورة القيامة آية ( ٣٦ ، ٣٧ ) .

(٥) سورة غافر آية ١١ .

(٦) سورة يس آية ٧٧ .

(٧) ج ٦ ص ٥٦٩ .

(٨) من الولادة ط ٤ . ص ٦٩ .

(٩) التفسير الكبير ج ٢٣ ص ٨٤ .





## للأستاذ : حسن الفضاة

يسرنا أن نكتب هذه الترجمة القصيرة عن حسان بن ثابت الأنصاري مستعرضين بإيجاز حياته وشعره من خلال ديوانه ، ومفندي بنفس الوقت ، أو واضعين على بساط البحث والحقيقة تلك الفرية — بل الفريات — التي أوردها كثير من الرواة والأخباريين حول شخصيته ، لا سيما وأن سيرة هذا الشاعر الكبير مرتبطة — إلى حد بعيد — بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لقد دعى بشاعر الرسول .

فمن هو حسان بن ثابت ؟!

نسبه :

نسبه لابيه فقالوا : هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مائة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، وينتهي نسبه بيعرب بن قحطان .

ونسبه لأمه : الفريعة بنت خالد بن حنيس بن لؤذان بن عبدون بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج . وأذن فهو خزرجي من جهة أبيه وأمه معا .

## عمره :

بالرغم من أن معظم الرواة اتفقوا على أنه عاش ما يقرب من مائة وعشرين عاما إلا أنهم اختلفوا في سنة وفاته (١) فمنهم من قال : أنه توفي في السنة الأربعين من الهجرة ، ومنهم من قال : بل في السنة الخمسين ، وآخرون : في سنة أربع وخمسين .

أما الطبري فقد وضعه فيمن توفيوا في السنة الثمانين من الهجرة . ونحن يمكننا أن نعتبر الرواية التي تقول بوفاة في سنة أربعين من الهجرة تقريبا هي الصحيحة حيث أن أخباره تتوقف في أواخر عهد الخليفة الراشدي الرابع على بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وان تحديدنا لسنة أربعين من الهجرة زمنا لوفاة يجعلنا نرفض فكرة أنه عاش ما يقرب من مائة وعشرين عاما . فقد روى أنه عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان حسان يبلغ من العمر ستين عاما تقريبا ، ومعنى ذلك أنه عاش ما لا يزيد عن مائة عام ، ويكون بذلك قد ولد في منتصف العقد السابع من القرن السادس الميلادي (٢) .

## أسرته :

وحسان من أسرة كانت ذات شأن عظيم سواء في الجاهلية أو الاسلام . فوالده ثابت بن المنذر ، حكيمته قبيلتنا الأوس والخزرج في حرب ( سميمير ) المشهورة في الجاهلية ، والتي تقاطلت فيها القبيلتان بسبب فرس نحوا من عشرين سنة ، أوشك أن يفنى بعضهم بعضا . ولم يدرك حسان تلك الحرب ، ولكنه رد فيها على شاعر الأوس قيس بن الخطيم عندما فخر عليه بهذا اليوم (٣) وأخوه أوس بن ثابت ممن شهد العقبة مع السبعين من الانتصار ، كما أخی رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وهناك من الرواة من يقول : أن أوس بن ثابت شهد بدرا ، واحدا ، والخنق ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي في خلافة عثمان ، ومنهم من يقول : أنه قتل يوم أحد شهيدا . ويبدو أن الرأي الأخير هو الصواب إذ جاء في قصيدة لحسان ما يشير إلى استشهاد أخيه أوس هذا عندما قال :

ومنا قتل الشعب أوس بن ثابت شهيدا وأسنى الذكر منه المشاهد  
أما الأخ الثاني لحسان فهو أبي بن ثابت ، وكان يكنى بأبي شيخ ، وقد شهد بدرا ، واحدا ، وقتل يوم بئر معونة شهيدا في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة .

وعرف لحسان أكثر من أخت ، اتفق الرواة في اثنتين منهن ، وهما كبشة ولبنى بنتا ثابت بن المنذر (٤) وقد أسلمتا وبايعتا الرسول ، وحسن إسلامهما . أما الأخريان فهما فارعة وخولة بنتا ثابت بن المنذر ، فقد اختلفت الروايات فيهما (٥) .

كما عرف من زوجات حسان ثلاث — اثنتان تزوجها قبل الاسلام ، وهما عمرة بنت صامت بن خالد من الأوس ، وشعثة بنت سلام بن مشكم اليهودي ،

أو بنت كامن الأسلمية . وثالثة وهبها له رسول الله صلى الله عليه وسلم هي سيرين القبطية التي كانت هدية المقوقس حاكم مصر إلى الرسول عليه السلام . وعمرة هي التي أحبها حسان حباً عظيماً . وحدث أن أسر الأوس مظل بن صامت الساعدي ، فتكلم حسان في أمره بكلام أغضب عمرة فغيرته بأخواله . وفخرت عليه بالأوس ، وهو الخزرجي المتعصب ، وكان يحب أخواله ويغضب لهم ، فطلقتها ، فأصابها من ذلك شدة ، وندم حسان بعد ذلك ندماً شديداً (٦) . يقول من قصيدة له مشبهاً بها :

اجمعت عمرة صرماً فابتكر انما يدهن للقلب الحصر (٧)  
لا يكن حبك خباطها ليس هذا منك يا عمر بسر (٨)  
سالت حسان من أخواله انما يسأل بالشيء الفهم (٩)  
قلت : أخوالى بنو كعب اذا أسلم الأبطال عورات الدبر (١٠)  
رب خصالى لو أبصرت سبط الكفين في اليوم الخمر (١١)  
وعمرة هي التي شبب بها قيس بن الخطيم الأوسى غريم حسان ومهاجيه في الجاهلية عندها قال :

أجد بعمرة غنياتها فتهجر أم شائنا شائنا ؟  
وذلك لأن حسان كان يشبب بأخت قيس ليلى بنت الخطيم في شعره .  
أما شعناء فقد اختلف في أمرها . قال بعض الرواة أنها بنت سلام بن مشكم اليهودي ، وقال آخرون هي امرأة كانت تحت حسان ، وهي بنت كامن الأسلمية من خزاعة . وربما كان الرأي الأخير أقرب إلى الصواب . ويبدو أنه لم يكن على وفاق زوجي معها فقد قال في ابنه منها :  
غلام اتاه اللوم من شطر خاله له جانب واف وآخر اكشم

فقالته تجيبه :  
غلام اتاه اللوم من نحو عمه ومن خير أعراف ابن حسان أسلم  
أما الزوجة الثالثة فهي التي وهبها الرسول صلى الله عليه وسلم إليه ، وهي التي كانت هدية المقوقس حاكم مصر إلى الرسول الكريم ، وأخت مازية القبطية زوج الرسول . وقد أخلف حسان من هذه الزوجة ابنه الشاعر المشهور عبد الرحمن الذي ورث الشعر عن والده . واستمر يحمل لواءه مدة في العصر الأموي .

ويذكر الرواة أن لحسان ابنتين : أحدهما أم فراس ، وهي من زوجته شعناء ، ولا نجد من أخبارها شيئاً (١٢) ، أما الأخرى فهي ليلى بنت حسان التي يروى ابن عساكر في تاريخه (١٣) عن الأصمعي أنه كان لحسان ابنة تدعى ليلى ، وحدث يوماً أن كان حسان جالساً فبدا له أن يقول الشعر ، فقال :  
اننى إلى أفناء عمرو وعامر سميت لماليها وعزرت كهولها  
متبارك أذئاب الأمور اذا التوت أخذنا الفروع واجتثنا أصولها  
إلى أسرة طابت وعولى فرعها فليس لفرع غيرها أن يطولها  
ثم انتطح . فقالت له ابنته من الخدر : كأنك قد انقطعت ! فقال : نعم . فائتنت تقول :

مقاويل بالمعروف خرس عن الخنا كرام يعاطون العشيرة سولها  
فقال حسان :

وتأفية عجت بليل ثقييلة تلقيت من جو السماء نزولها  
يهاب الذى لا ينطق الشعر سؤلها ويعجز عن أمثالها أن يتولها

ثم غضب على ابنته لقولها الشعر ، وقال : لهمت أن أحلف أن لا أقول بيت شعر ما دمت حية . فقالت : أنا أؤمنك ، والله لا أقول بيت شعر ما صحبتك .

كما يظن أن لحسان ابناً يسمى الوليد ، فقد كان يكنى بأبى الوليد ، واشتهر بذلك . ولكن الرواة لم يذكروا من شأن هذا الابن شيئاً .

### شخصيته :

ان ما يعنينا لدى التحدث عن شخصية حسان جانبان مهمان هما :  
الاول : البحث في صفاته الجسدية التي جاءت متفرقة في أخباره لدى كثير من الرواة .

والثاني : بحث تلك المسألة التي شغلت الباحثين على مدى الأزمنة ، وهي الصاق تهمة الجبن به ، ومدى صحة هذا الاعتقاد .

فقد ذكر الرواة أنه كان لحسان ناصية يسدها بين عينيه ، وكان يضرب بلسانه روثة أنفه من طوله ، ويقول : ما يسرنى به مقول أحد من العرب . والله لو وضعته على شعر لحلقه ، أو على صخر لفلقه . ثم كان يخضب شاربيه وعنفته بالحناء ، ولا يخضب سائر لحيته . وقد سألته ابنه عبد الرحمن يوماً : يا أبت لم تفعل هذا ؟ فقال : لأكون كأني أسد والغ في دم (١٤) .

ومن هذه الرواية يتضح لنا مدى نفوذ حسان في الجاهلية ، وخوف العرب من أهاجيه . لأن اللسان الذي يحلق الشعر ، ويفلق الصخر ، هو لسان تخافه القبائل وتحرس على أن تتقي شر صاحبه . وأما أنه كان يخضب شاربيه وعنفته بالحناء ، ليكون كالأسد الوالغ في الدم ، فهذا ما حاول الباحثون أن يتخذه وغيره كظهور من مظاهر الجبن .

روت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها بهذه المناسبة : أنها كانت في فارغ - أطم (١٥) حسان - يوم الخندق ، وقالت : كان حسان معنا فيه ، والنساء والصبيان ، فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ، إذ اتانا آت فقلت : يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأنزل إليه فاقبله . فقال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . فقالت :

فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيئاً احتجزت (١٦) ثم أخذت عموداً ثم نزلت إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلتها ، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت : يا حسان انزل إليه فأسلمه ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . فقال مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب (١٧) .

وقد وردت روايات أخرى تشبه إلى حد كبير موقفه من القتال في هذه الرواية ، وكلها تدل على أنه كان يخاف المشاركة في قتال ، سيما وهو لم يساهم قط في غزوة من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم .

فهل يعتبر هذا الخوف جبنا ، ألا توجد هناك علة أخرى تمنعه من الاشتراك في الحرب ؟ قد يكون السن هو السبب ، فهذه الأخبار جميعا رويت عن حسان ، وقد بلغ الستين على الأقل . ورجل في الستين من عمره قد يضعف عن أن يدخل حربا أو يساهم في قتال (١٨) .

غير أن هناك سببا آخر أشار إليه صاحب الاغانى ، وهو أن أكحل (١٩) حسان كان قد قطع ، فلم يكن يضرب بيده (٢٠) ، وقال الواقدي مدافعا عن حسان وعن تهمة الجبن الموجهة إليه (٢١) : أن قومه كانوا يدفعون أن يكون جبانا ولكنه أقعده عن الحرب أن أكحله قد قطع ، فذهب منه العمل في الحرب . ويؤيد هذا الرأي قول حسان نفسه :

أضر بجسمي مر الدهسور وخان قراع يدي الأكحل  
وقد كنت أشهد وقع الحروب ويحمر في كلى المنصل

ويدفع الاصمعي عن حسان تهمة الجبن بقوله : الدليل على أن حسان لم يكن جبانا أنه كان يهاجى خلقا فلم يعيره أحد منهم بالجبن .

وجدير بالملاحظة أن الوقائع التي استشهد بها الاخباريون على جبن حسان كلها وقائع اسلامية ، وعلى هذا يمكن أن نرجح أن قطع أكحل حسان حدث في الجاهلية ، أو قبل دخوله في الاسلام . ولا شك أن مثل هذا السبب الى جانب كبر سنه ، وضعف روح المغامرة عنده ، يجعله خذرا متعلا في الوقت الذي نجد فيه شباب المسلمين وشيوخهم مندفعين بقوة الدين وبروح الرسول نحو الجهاد الذي كان المظهر الحقيقي للمسلم المؤمن في هذه الفترة (٢٢) .

### شعره الجاهلي :

لا نكاد نظفر بمصدر ينبؤنا بحياة حسان في الجاهلية ، من حيث نشأته الاولى ، وبدء قوله الشعر ، وعن الاحداث المهمة أو الغزوات التي شارك فيها . واذ عرفنا أنه عاش ما يقرب من ستين عاما في الجاهلية فاننا لا نستطيع — اذن — أن نصور شخصيته في تلك الفترة المهمة من حياته — ولذا فلا بد لنا من أن نلجأ الى ما بقى من شعره الجاهلي ننقب فيه عن أبعاد تلك الشخصية . وعلى الرغم من قلة هذا الشعر ، وما وقع فيه من اضطراب على مر السنين ، فإنه يصور شخصية حسان القبلية ، تلك التي كانت لسان حال قومه الخزرج ، وصحيفتهم اليومية الناطقة باسمهم ، والمنافحة عنهم بأشعارها أمام أعدائهم من القبائل الأخرى .

وقد استطاع أن يشيد بأيام الخزرج في قصائده يوم الربيع ، ويوم خطمه ، ويوم بعث ، وأن يقف من قيس بن الخطيم شاعر الاوس موقف المبارز . اقتتل الاوس والخزرج قتالا مرا بمكان اسمه الربيع ، حتى كاد يفنى بعضهم بعضا ، فقال حسان قصيدته :

لقد هاج نفسك أشجائها وعادوها اليوم أديانها  
فرد عليه قيس بن الخطيم — شاعر الاوس — معارضا :  
أجسد بمسرة غنيانها فتهجر أم شأننا شمانها ؟  
ولو قارنا القصيدتين لوجدنا أن حسان يقف في بيتين من قصيدته متذكرا أعباءه ، ويصف في بيتين آخرين واديا صعب الاجتياز فاجتازه — رغم عزيف الجن فيه — على ظهر ناقه هوجاء ، يسألها عن حال حبيبته وقد رحل أهلها عن

الديار . تم يحدث بابيات اخرى بلسان قومه معددا امجادهم فيقول :

ويثرب تعلم انا بهـ اذا التبس الحق ميزانهاـ  
ويثرب تعلم انا بهـ اذا خسافت الاوس جيرانهاـ  
فلا تفخرن والتمس ملجأـ فقد عاد للأهـ اديانهاـ

بينما يبدأ قيس قصيدته المناقضة بالغزل في عمرة بنت صامت زوج حسان وذلك في خسة أبيات منتقيا بذلك من حسان في التشبيب بها على طريقة الجاهليين . وبالرغم من انه ينعتها بنعوت جميلة في تلك الابيات الا ان ذلك بضائق العربي الشريف ويزعجه ، يقول قيس :

فما روضة من رياض القطا كان المصابيح حوزانها (٢٣) ،  
باحسن منها ولا مزينة دلوج تكشف أرجانها (٢٤)  
وعمرة من سسروات النساء تنفح بالمسك أردانها (٢٥)  
ثم ينتقل قيس بعد ذلك الى الفخر بلسان قومه كما فعل حسان :

نحن الفوارس يوم الربيع مع قد علموا كيف غرسانها  
جنبنا الحراب وراء الصريم سخ حتى تقصف مرانها (٢٦)

ولم يقتصر حسان في شعره الجاهلي على تمثيل القبيلة فحسب . بل لقد زار ملوك الفساسنة ومدحهم . وكان اتصاله بهم اتصالا بذوى قرياه . فقد يسر له نسبه فيهم ان يتردد على بلاطهم كثيرا ، وان يجيزوه في كل مرة . أما زيارته للمناذرة فقد اختلف فيها ، وان كان هناك ما يشير الى حدوثها .

وقد عرف انه كان صديقا وفييا للأمير الغساني جيلة بن الايهم . وقد مدحه بتصانيد جيدة ، وعرف له جيلة هذا حتى بعد ان تنصر وسافر الى بلاد الروم . فقد حدث ان ارسل معاوية - في اثناء ولايته في الشام - رسولا اليه ليعود الى الاسلام ، فرد جيلة الرسول وقد سأل عن حسان ، فقال له الرسول :

شيخ كبير قد عمى . فدفع اليه جيلة الف دينار ، وقال : ادفعوها الى حسان . قال الرسول : فلما قدمت المدينة ودخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت فيه حسان بن ثابت فقلت له : صديقك جيلة يقرأ عليك السلام . قال : فهات ما معك . فقلت : يا ابا الوليد كيف علمت ؟ قال : ما جاعتني منه رسالة قط الا ومعها شيء (٢٧) . وعن الأصمعي ان جيلة بعث اليه بخمسمائة دينار . وكسى ، وقال للرسول : ان وجدته قد مات فابسط هذه الثياب على قبره ، واشتر بهذه الدنانير ابلا فانحرها على القبر . فوجده حيا فأخبره ، فقال حسان : لوددت انك وجئتني ميتا (٢٨) .

وعندما ارتد جيلة عن الاسلام وتنصر دافع حسان عنه امام الخليفة عمر . اذ انه لما علم عمر بارتداد جيلة صعب عليه ذلك ، وقال لحسان : يا ابا الوليد . أما علمت ان صديقك جيلة بن الايهم ارتد نصرانيا ؟ قال : انا لله وانا اليه راجعون ، ولم ارتد ؟ قال لطمه رجل من مزينة . فقال حسان : وحق له . فقام اليه عمر رضي الله عنه بالدرة فضربه بها .

وربما كانت اهم قصيدة جاهلية بقيت لحسان في مدح الفسانيين هي التي مدح بها الملك الغساني عمرو بن الحارث ، وفيها تمكن من الوصول الى الذروة الفنية في مدحه للفسانيين ، وفي وصفه لجالسمهم وندواتهم ، يقول :

لله در عصاة نادمتهم يوما بجلق في الزمان الاول (٢٩)  
اولاد الجنة عند قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل



يسبقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل (٣٠) بيض الوجوه كريمة احسابهم ثم الانوف من الطسراز الاول

## اسلامه :

مما لا ريب فيه ان شاعرنا قد تهايا لاعتناق الدين الجديد فى الوقت الذى تهايت فيه قبيلته . واذا كانت قبيلته الكبرى ( الخزرج ) عامة ، وقبيلته الصغرى ( بنو النجار ) بشكل خاص ، قد حالفوا الرسول صلى الله عليه وسلم واستعدوا للدخول فى دينه قبل ان يهاجر الى مدينتهم ، فلا شك ان حسان قد حذا حذوهم هو الآخر .

ولكن .. هل كان اسلامه اسلام المؤمن الصادق بمعنى الكلمة ام مرحلة انتقال من دين الى آخر ، شأنه فى ذلك شأن من يتبع قبيلته فى كل امر ولا يتخلف عنها ابدا ؟! كما ان الدارس لشخصيته عليه ان يتناول ايضا هذه الشخصية بالبحث من جميع جوانبها دون ان يترك فيها شبهة كتلك التى اثارها القدياء والمحدثون ، ولم يخلصوا فيها الى نتيجة ، وهو اشتراكه فى حديث الافك وتقوله فيه .

وقصة الافك كما وردت فى سيرة ابن هشام (٣١) وفى غيرها من كتب السيرة :

لما ان خرجت السيدة عائشة رضى الله عنها زوج الرسول عليه السلام فى غزوة بنى المصطلق مع جيش المسلمين ، واثناء رجوع الجيش تخلفت عنه لقضاء حاجة ، فتأخرت وسبقها المسلمون الى المدينة . ثم وجدها صفوان بن المعطل السلمى ، وكان قد تأخر هو ايضا ، فأركبها ناقته ، ودخل المدينة ، فلما رآهما المنافقون تقولوا فى ذلك . وحزن الرسول عليه السلام حزنا شديدا حتى انزل الله وحيه ببراءة السيدة عائشة وتكذيب المنافقين « ان الذين جاءوا بالافك عصابة منكم لا تحسبوه ثرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » (٣٢) وتكاد تجمع كتب الاخبار والتفسير على ان هذه العصبة التى اشار اليها القرآن الكريم تتكون من عبد الله ابن ابي بن سلول ، ومسطح بن اثالة ، وحمنة بنت جحش ، وحسان بن ثابت . وزادت بعض هذه الكتب ان الثلاثة الآخرين قد حدهم الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد كان للمسلمين موقف من هؤلاء المتقولين بحديث الافك ، سيما بعد ان ثبتت براءة السيدة عائشة من لدن رب العالمين . والذى يعيننا هنا موقفهم من حسان .

فقد هجا حسان يوما صفوان بن المعطل ، فذهب اليه صفوان وامترضه وضربه بالسيف . فوثب ثابت بن قيس بن الشساس على صفوان حين ضرب حسان فجمع يديه الى عنقه بحبل ثم انطلق به الى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟

قال : اما أعجبك ضرب حسان بالسيف ؟ والاهما اراه الا قد قتله ! قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ مما صنعت ؟ قال : لا والله . قال : لقد اجترأت ، اطلق الرجل . فاطلقته . ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان . فقال

صفوان : يا رسول الله آذاني وهجاني فاحتلني الغضب فغضبتني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : ( احسن يا حسان . اتشوهت على قومي ان هداهم الله للاسلام ؟ ) ثم قال : ( احسن يا حسان في الذي اصابك ) . قال : هي لك يا رسول الله . ومن هذا يتضح ان حسان لم يزل عطف الرسول في هذه الحادثة .

وروى المحدث الاندلسي ابن عبد البر ان قوما ذكروا ان حسان كان ممن خاض في الانك على عائشة رضي الله عنها ، وانه جلد في ذلك . ثم ان قوما آخرين أنكروا ان يكون حسان قد خاض في الافك او جلد فيه . اما حسان فقد حاول ان ينفي في شعره انه خاض في هذا الحديث ، وذكر ان كل ما نسب اليه فيه انما هو محض افتراء واشاعة .

يقول في مدح السيدة عائشة :  
مهنية قد طيب الله خبيها وطهرها من كل سوء وباطل  
فان كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي الى أنامل  
وكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين الحافل  
فان الذي قد قيل ليس بلائط ولكنه قول امرئ بى ما حل

### شاعر الرسول :

ومهما يكن من امر فان الرسول عليه السلام وضع حسان في منزلة كبيرة من نفسه ، كما وضعت قصائد حسان صاحبها في منزلة كبيرة من نفوس المسلمين .

فمن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن حسان : ( لا يحبه الا مؤمن ، يفضيه الا منافق ) ، وروى الاصمغاني وغيره : لما كان عام الاحزاب ورد ، الذين كفروا بغيطهم لم ينالوا خيرا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : من يمسى اعراض المسلمين ؟ ، فقال كعب بن مالك أنا يا رسول الله ، وقال عبد الله بن رواحة : أنا يا رسول الله . وقال حسان بن ثابت : أنا يا رسول الله . فقال عليه السلام : ( نعم اهجهم أنت ( يعني حسان ) فانه سيعينك روح القدس ) . وروى ايضا : بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( أمرت عبد الله بن رواحة فقال واحسن . وأمرت كعب بن مالك فقال واحسن ، وأمرت حسان فشفني واشتقني ) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب ان يستمع الى شعر حسان ، فقد سأل عنه مرة في سفر قائلا : اين حسان بن ثابت ؟ فقال حسان : لييك يا رسول الله وسعديك . قال عليه السلام : أحد . فجعل حسان ينشد والنبى صلى الله عليه وسلم يصغى ويستمع . فما زال يستمع اليه وهو سائق راحلته ، فلما فرغ من انشاده ، قال صلى الله عليه وسلم : ( لهذا اشد عليهم من وقع النبل ) ويعنى بذلك المشركين .

لقد اعتمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على حسان في الرد على شعراء المشركين ، امثال عبد الله بن الزبيري ، وابى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وضرار بن الخطاب ، وعمرو بن العاص . واستطاع ان يكون ندا لهم وان يتفوق عليهم .

وان اعتلاءه منصب شاعر الرسول الرسمي جعل المسلمين يصنعون له

منبرا خاصا في مؤخرة المسجد ليقف فوقه ينشد شعره الذي يذب به عن الرسول والمسلمين .

### شعره الاسلامي :

ويعتبر شعر حسان الاسلامي تسجيلا حيا لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته . ولذا فقد اعتد عليه شراح السيرة في تفسير بعض ما غُض من تاريخ هذه الفترة ، وقد مدح الرسول بمعان كثيرة منها الجاهلي القديم ، ومنها الاسلامي المستحدث . واتخذ مدحه له صفة الفخر بالمسلمين جبيما وخاصة الانتصار ، والرد على المشركين ومهاجاتهم ، وكان سلاحا خطرا في ايدي المسلمين لا يقل عن اسلحتهم الحربية الاخرى .

وكان الرسول يدعو له قائلا : ( اللهم ايد بروح القدس ) .

قال من قصيدة مفتخرا بانتصار المسلمين يوم موقعة بدر الكبرى :

بكرت على بسحرة بعد الكرى وتقارب من حادث الايام  
زعمت بان المرء يكره يومه عزم لمعترك من الاصرام (٣٣)  
ان كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام (٣٤)  
وينو ابيه ورهطه في معرك نصر الاله به ذوى الاسلام  
وفي معركة احد نراه يفخر باستشهاد اخيه اوس بن ثابت فيقول :

ومنا قاتل الشعب اوس بن ثابت شهيدا واسنى الذكى منه المشاهد  
ومن جده الادنى ابي وابن امه لام ابي ذاك الشهيد المجاهد

ومن قصيدة مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ان الذوائب من مهر واخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع  
يرضى بها كل من كانت سريره تقوى الاله وبالاير الذي شرعوا  
قوم اذا حاربوا خسروا عدوهم او حاولوا النفع في اشياعهم نفعا  
ان كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لادنى سبقتهم تبع  
وقال من قصيدة يهجو فيها الوليد بن المغيرة ، من كبار مشركي قريش :  
ان التي التفتك من تحت رجلها وليدا لجهال العشى خبواب  
فمالك من كعب حصاة تعدها وان قلت من شجع فانت كذوب  
فمالك في الركنين حق حياجة ولا لك في صهر النبي نصيب  
وكان حسان قاسيا في هجائه ، سيما اذا تعرض للانساب فانه يقذع  
فيها ، والنسب عند العربي اهم ما يحرص عليه ويذفع عنه . فكان هجاء  
المشركين من خلاله اشد عليهم من وقع النبل ، كما قال الرسول صلى الله  
عليه وسلم .

واما في الرثاء فاننا لا نجد خيرا من الابيات التالية في رثائه للرسول صلى الله عليه وسلم :

بطبيعة رسم للرسم ومعهده منير وقد تمنى الرسوم وتهمد  
ولا تمتحى الآيات من دار حرمة بها حجرات كان ينزل ومسطها  
معارف لم تطمس على العهد آيها عيون ومثلاها من الجفن تسعد  
ظلمت بها ابكى الرسول فأسعدت وهل عدلت يوما رزية هالك  
منير وقد تمنى الرسوم وتهمد بها منير الهادي الذي كان يصعد  
من الله نور يستضاء ويوقد اتاها البلى فالأى منها تجد  
عيون ومثلاها من الجفن تسعد رزية يوم مات فيه محمد ؟

وهي قصيدة طويلة تدل على مدى حبه للرسول الكريم وللإسلام ، وعلى تأثيره وتأثر المسلمين بموته صلى الله عليه وسلم .

وقد رثى حسان بعض شهداء المسلمين في حياة الرسول ، أمثال سعد بن معاذ ، ونافع بن بديل ، وجعفر بن أبي طالب ، وحزمة وزيد بن حارثة ، وخبيب . ونجد له أبياتا في الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد اختلف فيها ، فمن الرواة من قال : أنها في مدحه ، ومنهم من قال : أنها في رثائه :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعل  
خير البرية انتقاما وأعدلها بعد النبي وأوفاهما بما حملا  
والثاني الصادق المحمود مثله وأول الناس منهم صدق الرسل  
كما أنه رثى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما توفي بأبيات منها :

ومعنا غيسروز لا در دره بآبيض يتلو المحكمات منيب  
رؤوف على الأدنى غليظ على العدا أخى ثقة في النائبات نجيب  
متى ما يقل لا يكذب القول فعلمه سريع إلى الخيرات غير قطوب  
وكان حسان ممن ذنب عن عثمان قبل مقتله . وقد حفظ لنا ديوانه استصراخه المسلمين لأخذ ثار عثمان :

شدوا السيوف بنى في مناطعتكم حتى يحين بها في الموت من حانا  
لملكم أن تروا يوما يغبطة خليفة الله فيكم كالذي كانا  
ضجوا بالشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وترانا  
لتسمن وشيكا في ديارهمو الله أكبر يا ثارات عثمان

ونلاحظ اتقاد العاطفة في رثائه لعثمان رضي الله عنه ، على خلاف مادته في رثائه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما . بل أنه ليهجو قومه من الانصار ، وخاصة بنى النجار لأنهم لم يدافعوا عن عثمان وأيدوا القتلة ، فيقول :

أومت بنسو صوف وأومت نذرها وتلونت غسدا بنسو النجار  
وتخاذلوا يوم الحبيكة أنهم ليسوا هنالك من الاخيار  
ونسوا وصاة محمد في صهره وتبدلوا بالعز دار بسوار  
مما يدل على أن حسان كان متشيعا لعثمان ، بل ورد أنه كان واحدا من

لاعبوا دورا هاما في حادثة مقتله ، فهو أحد الذين اقتنعوا المصريين بالرجوع إلى بلادهم ، كما جاء في رواية الطبري ، واستمر في معارضة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه طوال فترة خلافته القصيرة . ولا نجد له بيتا واحدا في مدح أو ثناء الخليفة علي ، إذ أن أخبار حسان تختفي بعد مقتل عثمان مما يؤكد أنه مات قبيل موت علي أو بعده مباشرة .

## وفاته :

كان تطاحن الأحزاب وأحداث الفتنة قد شغلت المسلمين عن كل شيء ، فلم يغبن أحد إلى وفاة شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم . وكان بصره قد كف في أواخر حياته ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاته ، مثلما اختلفوا في تحديد سنة ولادته كما مر ، ولكن يمكننا أن نأخذ بالرواية التي تقول بوفاته في سنة أربعين من الهجرة ، حيث أن أخباره تنقطع في أواخر عهد الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

- (١) ابن عبد البر : الاستيعاب - مادة هسان .
- (٢) الدكتور سيد هنفي حسنين : اعلام العرب - هسان بن ثابت .
- (٣) أبو الفضل ابراهيم والنجاشي : أيام العرب في الجاهلية .
- (٤) اخنان لحسان بن أبيه ، وأمه سفي بنت هارثة بن عبدود ( الطبقات الكبير المجلد ٨ : ٢٢٩ طبعة أوروبا ٤ .
- (٥) الاغانى ٢ : ٢٢ .
- (٦) المخطوطة رقم ٢٥٢٤ من الديوان بمعهد مخطوطات الجامعة العربية : الورقة - ٧٥ .
- (٧) الصرم : الهجر . ابتكر : عجل . الإدهان : الخسوع . العصر : الضيق .
- (٨) عمر : ترغيم عمرة .
- (٩) الضمر : المجهول .
- (١٠) أسلم الإطال عورات الدبر - انهزموا .
- (١١) سبط الكفين : سفي وكريم . اليوم الضمر : الشديد البرد . يقول : ان احواله كرماء في وقت الشدة والصبر .
- (١٢) الروضى الآف : ٢ : ٢٨٠ .
- (١٣) تاريخ ابن مسافر ٤ : ١٢٤ .
- (١٤) الاغانى ٤ : ١٣٥ .
- (١٥) أظم : حصن .
- (١٦) اهجزت : شددت ردائي على وسطى .
- (١٧) الاغانى ٤ : ١٦٥-١٦٦ ، تاريخ الطبرى ٣ : ٥٠ .
- (١٨) الدكتور سيد هنفي حسنين : اعلام العرب : هسان بن ثابت .
- (١٩) الاكمل مرق في اليد ( الفاضل للببرد ص ١٢ ) .
- (٢٠) الاغانى ٣ : ١٦٦ .
- (٢١) تاريخ ابن مسافر ٤ : ١٢٦ .
- (٢٢) الدكتور سيد هنفي حسنين : اعلام العرب : هسان بن ثابت .
- (٢٣) العودان : نبت طيب الرائحة .
- (٢٤) الزنة : السحابة البيضاء ، دلوح : كثيرة الماء . تكشف أجهانها : تكشف ظليتها .
- ولفك بانزالها ما تعمل من الماء .
- (٢٥) أردانها : أعطانها .
- (٢٦) جنبنا الحراب : حملوا هراهم بأيديهم الى جنوبهم . الصريح : المستفيث . الحران : الرماح .
- (٢٧) طبقات الشعراء لابن سلام .
- (٢٨) طبقات الشعراء لابن سلام .
- (٢٩) جلق : جمشق او موشع قريب منها .
- (٣٠) البريصى وبردى : نهران بدمشق .
- (٣١) سيرة ابن هشام : ٣ : ٣٠٨ ، الاغانى ٤ : ١٥٤ .
- (٣٢) سورة النور : آية ١١ .
- (٣٣) يركب : يهزم من الكرب . المعكر : الأبل التي ترجع في عدد فقير ، فلا يمكن عددا لقرنتها . والاصرام : جمع صرم ، وصرم جمع صرمة وهى القطعة من الأبل ، ولعل يركب هنا مضاهيا يقرب ، فيكون معنى البيت زعمت بأن الرجل يقرب يومه ، أى أجله - الفخر . ناهره يعظم الاسراف .
- (٣٤) وكان قد فر من المعركة في بدر .



## تقويم أشر الفتاوى علمياً ومقارنتها بعل جوستينيان فى القوانين الرومانية

للاستاذ : أنور أحمد قادري

لعل من المفيد أن نلاحظ بأن الفتاوى المالكية بالنسبة للفقهاء الإسلامى وتدوينه من حيث التفسير والتأويل والاجتهاد على أيدي العلماء والفقهاء يمكن مقارنتها بلوائح جوستينيان بالنسبة للقانون الرومانى الذى سبقها ، فنلاحظ مثلاً بأن جوستينيان أصدر فى عام ٥٢٨ بعد الميلاد أوامره لأجل وضع المجموعة القانونية الجديدة التى تستند على المجموعات القانونية السابقة الموضوعة فى عام ٥٠٠ و ٥٠٦ بعد الميلاد ، وقد عهد جوستينيان بهذه المهمة الى مجموعة مؤلفة من عشرة علماء قانونيين .

وبعد أن انتهى هؤلاء العلماء من عملهم فى شهر نيسان من عام ٥٢٩ م صادق الإمبراطور على عملهم ، وفى جميع اللوائح القانونية السابقة ، إلا أنه نظراً لمعرفة القانونيين الشاملة عن المشرعين القدامى فقد عمل الإمبراطور فى شهر كانون الأول من عام ٥٣٣ م على تجميع ما يسمى مجموعة الفقهاء مؤلفة من خمسين كتاباً . وكانت هذه العملية عبارة عن استخلاص حرفى لأراء ٣٩ مشرعاً كان أشهرهم المشرعين بول وأولبيان ، على أنه لما كانت هذه المجموعة كبيرة الانتساع ، وبغية وضعها بشكل يمكن من جعلها كتاباً مدرسياً ، فقد عين الإمبراطور بعض الأساتذة البارزين فى مدارس الحقوق فى القسطنطينية وبعض المدن الأخرى لى يعملوا على وضع كتاب ابتدائى سعى فيها بعد ( بكتاب الأحكام القانونية ) ، إلا أن تشريع جوستينيان كان يقصر عن الإجابة على جميع النقاط

التي كان اثارها المشرعون القدامى ، ولذلك ، ورغبة في سد هذا الفراغ فقد تم نشر عدد من ( القرارات ) عن طريق تعديل مجموعة عام ٥٢٩ ، وجعل هذه القرارات جزءا متما لها ، وعلى هذا الاساس فقد صيغت مجموعة قانونية في شهر كانون الاول من عام ٥٣٤ م وسميت ( المجموعة القانونية الثانية ) ، وهي مؤلفة من ١٢ قسما ، كما هي معروفة بشكلها هذا في الوقت الحاضر ، وقد اعلن الامبراطور في هذه المجموعة بأنه سيعمل على ادخال اصلاحات تشريعية على شكل دساتير جديدة ، وتم نشرها ما بين ٥٣٥ و ٥٦٤ م ، وكان عددها ١٦٥ دستورا ، وقد تم ترتيب مجموعات جوستينيان على اساس أن تتضمن : أولا ملاحظات عامة عن طبيعة القانون وتنسيباته ومصادره ، ثم يتبع ذلك القوانين المتعلقة بالأشخاص والأشياء والتركات والالتزامات والمعاملات (١) ، ولا شك بأن هذا العمل التشريعي جدير بالاعجاب باعتبار أن الأنظمة التشريعية الحديثة للعالم الغربي تنحدر جميعها من مبادئ جوستينيان القانونية ومجموعاته القانونية على أنه ليس من الخطأ أن نلاحظ أن هذه المجموعات والمبادئ القانونية قد قصرت في التمييز بين الاجتهاد والقوانين المحلية وبين القانون والأخلاق باعتبار أنه من المتفق عليه أنها لم تبين الاسس الفلسفية التي قامت على أساسها عملية تجميع النصوص القانونية (٢) .

وإذا ما قورنت الفتاوى المالكية بأعمال جوستينيان ضمن الاطرار التحليلي نفسه ، لوجدت أنها تتنوع عليها ، فلم تكن الفتاوى عملا علميا عظيما تميز بالجد والبحث فحسب ، بل كانت أكثر من ذلك ، واستنادا الى نظام الشريعة الإسلامية فإن الموقف الإسلامي من علم الفقه لم يكن مجرد علم نظامي خال من العوامل الأخرى المتعلقة بالحياة البشرية ، فقد تناول مناقشة النظريات المتعلقة بالقانون وخصائصه العامة ، وتطبيقات هذه النظريات على تصرفات الإنسان عن طريق مزاولته للحقوق والالتزامات ، مع ضبط وتصنيف المفاهيم القانونية عن طريق ادخال مبادئ ( الأصول ) الى علم القانون أو ( الفقه ) ، وقد مزجت القواعد الدينية والأخلاقية والدينية على أساس أن ما كان مأثورا به أو مسجوحا في الدين فهو مشروع ، وما عدا ذلك فهو غير مشروع ، وبعبارة أخرى : أن هذه الدراسة العلمية وشرح الاجتهاد تشكل جميعها ما يسمى ( بأصول الفقه ) التي تتصل بجذور أو مبادئ القانون ، أما الآراء الفقهية فيها يتعلق بالمظاهر المختلفة للقانون وتأثيراته التي يمكن رؤيتها في تصرفات الفرد وحقوقه والتزاماته فانها تفرع عن علم ( أصول الفقه ) زمرة أخرى تدعى ( علم الفروع ) ، الذي يجزئ المعرفة القانونية الى فروع متعددة وفقا لأنماط التطبيقات التفصيلية (٣) . وعلى هذا الاساس فإن مجموعة عالمكير التي تم اعتنادها بالاستناد الى الخطوط العريضة المذكورة أعلاه كانت أكثر شمولا وأوسع مجالا في التطبيق من مجموعة جوستينيان ، فمجموعة عالمكير كانت عبارة عن توطيد للآراء القانونية التي تم جمعها ضمن اطار من التدقيق والتحليل بشكل لا تعارض فيه مع نحوى القوانين السابقة ، وعلى خلاف جوستينيان فإن عالمكير لم يكن لديه أية مصالح انتهائية من شأنها الامتناع على القوانين المقدسة حتى أنه - أي عالمكير - ترك غير المسلمين يتبعون قوانينهم الخاصة بهم فيما يتعلق بأحوالهم الشخصية (٤) .

وقد جمعت الفتاوى المالكية في ضوء ما تقدم ، وقسمت الى مختلف أقسام الفقه من أحكام العبادات والقانون والاجتهادات وفقا للمذهب الحنفي وعزى فيها كل مسألة وحكمها الى المرجع الفقهي الذي أخذت منه .

هذا ، وانا بمقارنة الفتاوى المالكية مع الخمسين كتابا المائدة لمجموعة جوستينيان ، والكتب الاثنى عشر الخاصة بالمجموعة الثانية لجوستينيان نرى أن مجموعة مالكير التي شملت ميادين أكثر اتساعا لجوانب الحياة الفردية والاجتماعية لعامة المسلمين كانت مقسمة الى كتب أكثر عددا تضمنتها أجزاء عديدة ضخمة ، وتشكل عملية جمع الفتاوى أسلوبا جديدا من أساليب التطور في تدوين القانون بكل ما في هذه العبارة من معنى حديث ، إذ أنها ربطت ما بين النظريات المدرسية الصرفة وتأثيرات الحياة العملية لكي يمكن التوفيق ما بين المطالب النظرية وحاجات المجتمع الإسلامي المتغيرة بشكل تدريجي . إلا أنه لا يمكن أن ننكر هنا أن الذين قاموا بعملية الجمع كانوا يرون أنفسهم ملتزمين بأحكام المذاهب الإسلامية القائمة ، وبالتالي عملوا على تطوير صفات التغيير الذاتية التي تقتضيها ضرورات الظروف الزمنية ضمن حدود ما تسمح به الشريعة .

فلما أن الفتوى هي رأي قانوني رسمي صادر عن مفت رسمي أو من عالم شرعي مشهود له بشأن مسألة عرضت عليه من قبل القاضي أو من قبل فرد ما أو حتى من قبل الدولة فإن القاضي يمكنه بالاستناد الى هذا الرأي إصدار حكم في القضية المروضة عليه كما يمكن للفرد أن ينظم حياته الخاصة بالاستناد الى الفتوى التي تلقاها ، وبما أن هذه الآراء الفقهية تتناول قضايا واقعية وهي منطبقة مع النصوص الشرعية فإن نشرها له قيمة كبيرة باعتبار أنها تتعلق بأوضاع قائمة (٥) .

وهكذا نجد ما للفتاوى المالكية من دور قيم في تاريخ العلوم الشرعية الإسلامية ، ونجد بالتالي أن هذه الفتاوى بوضعها الحدود والصيغ المناسبة لتطبيق القانون ومقاومة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أغنت السلطات القضائية عن التحري في مراجع أخرى ، لأن هذه الفتاوى تتضمن أحكاما بالنسبة لأية نقطة من النقاط القانونية بلغة سهلة وواضحة .

وتأكد أهمية الفتاوى أيضا عندما نرى كيف أنه تم اتباعها في تطبيق الشريعة الإسلامية في أرجاء العالم الإسلامي أجمع منذ أن تم جمعها في القرن السابع عشر الميلادي ، فبصرف النظر عن المذاهب الدينية المتبعة في مختلف الاقطار الإسلامية فإنه من الطريف أن نلاحظ بأن الأحكام القضائية الصادرة في هذه الاقطار تستند الى المبادئ القانونية التي احتوتها هذه الفتاوى وعرضتها بشكل سهل وواضح ، كما أن هذه المبادئ قد تم تبنيها في كثير من الحالات في تشريعات السلطات القضائية في العديد من الاقطار الإسلامية ، ومن الأمثلة البارزة في هذا الصدد مجلة الأحكام العدلية التي كان معمولاً بها في مختلف أصقاع الامبراطورية العثمانية ، وبالإضافة الى ذلك تم طبع الفتاوى نفسها في القاهرة في سنة ١٣١٠ هـ في ستة أجزاء ضخمة ، وسُميت بالفتاوى ( الهندية والمالكية ) ، كما أننا نرى أن عدة بلاد قامت بتطبيق هذه الفتاوى بكل ما تحل هذه العبارة من معنى ، فمن مراكش الى اندونيسيا ، ومن تركيا الى جنوبى افريقيا ، استخدمت مجموعة الفتاوى كمرجع جاهز لاصدار الأحكام القضائية في تطبيق نظرية الشريعة الإسلامية من حيث الشكل والموضوع (٦) .

وفي نطاق التطبيق القضائي للفتاوى نجد تطبيقها الحسى وتقليد طريقة عرضها للأحكام في كل من ميداني الجوهر والشكل لقوانين الاسلام ، ومنذ إصدارها من قبل مالكير ، قامت الإدارة القضائية المغولية باتخاذها كإداة من أدوات الإدارة القضائية للمسلمين ، وبالنسبة لغير المسلمين — كالكهنة والقسوس الذين



تركوا يمارسون قوانينهم الخاصة بهم لإدارة أحوالهم الشخصية المتعلقة بالارث والزواج والتبني ونظام الطلقات وما شابه ذلك — فقد كانت تطبق بحقهم أحكام الشريعة بالقدر الذي يسمح به كونهم من أهل الذمة في دولة إسلامية ، على أن أهل الذمة كانوا يخضعون لقانون العقوبات الإسلامي ، والقانون المدني الإسلامي في الشؤون المتعلقة بالتجارة والمقاصة والتبادل والبيع والعقود ، وبالنسبة للمنازعات كان القانون الإسلامي هو القانون المطبق لميما إذا كان الطرفان المتنازعان مسلمين (٧) .

وقد استمر هذا الوضع حتى عهد شركة الهند الشرقية ، كما أن نظام الدولة في كالكوكتا وغيرها من المناطق استمرت على تطبيق قانون العقوبات الإسلامي ، وعلى سبيل المثال قد استند على الفتاوى المالكية في قضية ( سيبيا ) ضد ( مويونولا ) في عام ١٨١٨ م ، حيث جاء في قرار المحكمة أن « القانون الإسلامي يقر بحق السلطة الحاكمة بأنزال العقاب في حالات الجرائم الخطيرة تحقيقا لجديء العدالة على الرغم من أن الطرف المتضرر قد تنازل عن حقه الخاص » .

وبالاستناد إلى الفتاوى المالكية أيضا تقرر أن العصبي البالغ من العمر أربع عشرة سنة ، والذي قتل صبيا آخر عمره إحدى عشرة سنة ، يجب أن يحكم عليهما بعقوبة ( التعزير ) الإسلامية باعتبار أن القصاص لا يجوز أنزاله بحق طفل لم يبلغ سن الرشد . وحتى الآن بعد ادخال قوانين العقوبات في كل من الهند والباكستان ما يزال قانون الجنائيات الإسلامي ساري المفعول في كثير من الدول الأفريقية ، وما تزال الفتاوى المالكية مقبولة ومتبعة في هذه الدول .

## - ٤ -

وبالإضافة إلى ما ذكر فإن المجموعة المالكية يستند إليها بشكل ملحوظ في كثير من القرارات القضائية التي تظهر قيمتها العملية : ففي الهند والباكستان يتحتم الإشارة إلى الفتاوى المالكية كسوابق موثوقة ، كما يتحتم الاستشهاد بها ومناقشتها واتباعها في غالبية القضايا التي تتعلق بتطبيق القوانين الإسلامية في مسائل الأحوال الشخصية ، وأن مؤلفي كتب النصوص القانونية الإسلامية يستشهدون بسلطة الفتاوى المالكية ، ويظهرون تفوقها في عرض نصوص القوانين ( الأحكام ) الإسلامية .

وفي بعض البلاد الإسلامية الأخرى تتبع الفتاوى بشكل مباشر ، وبصورة خاصة تعتبر كتب النصوص القانونية المستندة إلى الفتاوى مراجع أساسية في كل من الهند والباكستان ، وفي بلاد ماليزيا ، وبورما ، وسيلان وكينيا وأوغندا وبلاد أفريقيا الشرقية ، ويتضمن العديد من القرارات المتعلقة ببعض القضايا القضائية استشهادا بهذه الفتاوى ، وكذلك الحال في بلاد الشرق الأوسط ، ولعل أهم مثال على اتباع الفتاوى في هذه المنطقة هو قضية ( سعدات كامل خاتم ) ضد المدعى العام في فلسطين ، إذ اعتبرت المحكمة بعض النصوص الواردة في الجزء الثاني من الفتاوى ، وتعلق هذه القضية بمسألة تطبيق التقادم ( مرور الزمن ) لأجل استرجاع أملاك العائلة المشار إليها من الحكومة (س: استولت عليها . وقد أقر مجلس القضاء البريطاني الحكم الصادر من المحكمة العليا بفلسطين بالاستناد إلى الفتاوى المالكية ، وقد تداولت المحكمة في

هذه القضية مداولة واسعة فى القانون المدنى العثمانى ( الكتاب الرابع عشر ، المواد من ١٦٦٠ - ١٦٦٧ من المجلد ) ، وكذلك بعض كتب النصوص الفقهية ككتاب عمر حلى لافندى ( مجموعة قوانين الاوقاف المترجمة عن تايسر وديمترياديس ١٨٩٩ نيوقسيا ) ، واستشهدت ايضا ببعض القضايا الماثلة فى قبرص ، ووجدت أخيراً مقطعا فى الجزء الثانى الصفحة ٤٧٤ من الفتاوى بشرح الموقف الصحيح بالنسبة لنقطة الخلاف ، واتخذت حكمها النهائى بالاستناد على المقطع المذكور (٨) .

ان القانون الانكلو - امريكى المعاصر ، وكذلك انظمة القوانين المدنية الاوروبية ، تستند فيها يتعلق بنظرية القرابة الى القوانين الرومانية . وتحدد هذه النظرية درجة التحريم فى موضوع الزواج ، وقد وضع قانون نلبليون ضمن اطار مجموعة جوستينيان القانونية (٩) ونجد بالمقارنة أن الانظمة القضائية المعاصرة فى كثير من البلاد فى العالم الاسلامى قد اقتبست احكامها من الفتاوى المالكية الا أن مدى اتباع احكام جوستينيان يختلف كثيرا عن اتباع الفتاوى المالكية . فالانتهازية والنزعات السياسية دخلت الانظمة القضائية الغربية ، وراث القانون الرومانى اتخذ اشكالا مختلفة والوانا متعددة ، وفى مقابل ذلك نجد ان المصدر الالهى للشريعة الاسلامية ومبدأ الاخوة البشرية فيها قد حد الى مدى كبير من ادخال المفسد السياسية الى الانظمة القانونية ، ولو أن بعض مفاهيم القانون الغربية قد تسربت فى السنوات الاخيرة الى الانظمة القانونية فى البلاد الاسلامية ، وكان ذلك بتأثير السيطرة السياسية الغربية على البلاد الاسلامية والسياسة الاستعمارية التى اتبعتها الدول الغربية تجاه البلاد الشرقية ، وفى الوقت الحاضر يلاحظ أن مبادئ الفتاوى المالكية وتطبيقاتها العملية ما تزال تحظى الى درجة كبيرة بتبعية فى البلاد الاسلامية .

ونصوص الفتاوى المستندة الى نظام الشريعة الاسلامية بالرغم من أنها قد وضعتها السلطة الزمنية للامبراطور المغولى فانها قد ازدادت عمقا فى التطبيق من قبل السلطات اللاحقة فى انظمة الادارة الاسلامية ، ولعله من الصعوبة بكان أن نجد ما يسائل ذلك فى تاريخ العصور القانونية ، والسبب الرئيسى لذلك يكمن فى أن الفتاوى قد تم جمعها من قبل هيئة مختارة من العلماء المشرعين والقضاة الذين وحدوا الآراء المشتتة المتعلقة بالشريعة ، وجعلوا منها مرجعا يسهل الاسترشاد به ، وبمقارنة هذه الفتاوى بما قام به علماء القانون والمستشارون القانونيون من كتابات أو تعليقات فى موضوع القانون والاجتهاد الاسلاميين نجد أن الفتاوى قد تضمنت مبادئ وقواعد تم التعارف عليها ، وعمل بها فى الانظمة القضائية الاسلامية فى ظل السلطة الزمنية للمغول ، ولهذا السبب نجد أنه حتى فى ظل الادارة البريطانية فى الهند أقرت المحاكم بأصالة الفتاوى وصحتها .

فمن ذلك ما أورده القاضى البريطانى (بيمان) فى موضوع قضية (تجيبى) ضد (مولى خان) . فان هذا القاضى العالم بشرحه لأصالة الفتاوى فى موضوع عدم شرعية زواج أخت الزوجة أثناء قيام زواج الأخت الأخرى قد قال : « أيا كان التفسير الحرفى المعاصر لآية فى القرآن الكريم فان المحاكم لا تستطيع أن تنسئ الحكم المستخرج من هذه الآية القرآنية قد استمر قائما لفترة عشرة قرون فى ظل حكم سلاطين المسلمين وأباطرتهم ، ولذلك فان هذا القانون الذى وضع نصوصه فطاحل العلماء المتوازين فى عصرهم وكبار المشرعين الذين كانوا فى خدمة (أورناك زيب) يجب أن يحظى منا بأعلى مراتب الاحترام .. وقد

اوردت المحكمة فى سياق شرحها لدور هذه الفتاوى فى القوانين الاسلامية مايلى ( ان الاستشهاد بوثوق كتاب ككتاب الفتاوى المالكية سواء احتل معناه تفسيرات اخرى أم لا فان ذلك لا يقدم ولا يؤخر فى الامر باعتبار أن ما جاء فيه بالنسبة للرأى الراجع لدى مؤلفى الفتاوى المالكية هو القانون الصحيح ) وقد رفض القاضى المذكور اتباع كتاب رد المحتار ، وأشار الى ( أننا لا نستطيع أن نقر بأن كتابا ككتاب رد المحتار الذى كتب فى عام ١٨١٧ م يمكن الاخذ به كمرجع له قيمة الفتاوى المالكية ذاتها ) .

وتجريحا لحكم صدر سابقا عن المحكمة العليا فى كالكوتا بشأن قضية ( عز النساء خاتون ) ضد ( كريم النساء خاتون ) ، وبعد استشهاد دقيق بعدد من كتب القانون الاسلامى ، كالفناوى القنار خانية ، والهداية وشرح الوقاية ، وكنز الدقائق والعناية ، وغيرها من الكتب ، ومقارنتها بمقاطع من الفتاوى المالكية التى تمعلى النص المناسب بشأن الموضوع المطروح على البحث ، قررت المحكمة « بأن الاجراءطورية الاسلامية فى الهند قد انقرضت منذ وقت طويل ، وأن المؤلف ( الذى استند الى كتاباته بشكل مشتم وبدون أية رابطة واتخذت كملحق للحكم الصادر عن المحكمة العليا بكالكوتا ) هو مؤلف كثير التصلب ، يوحى بدلائل على أنه كثير الغرور بالآراء الصادرة عنه ، واعتقادنا بأنه من دواعى الحيلة أن نقول : بأنه ليس هناك من مسلم يضع هذا المؤلف على مستوى مسائل أو مقارب لمستوى العلماء الذين قاموا بجمع الفتاوى المالكية ، وليس لنا الحق بأن نقلل من شأن هذه الفتاوى المالكية على أساس أن رد المحتار ألقى بعض الشك على وثوقها » .

ونعود الآن الى الفتاوى المالكية نفسها لنجد أن هذه الفتاوى قد كتبت أصلا باللغة العربية ، ثم ترجمت فيها بعد الى الفارسية من قبل جلى عبد الله ، وهو ابن مولانا عبد الحكيم من سيالكوت أثناء عهد الامبراطور ، وقد أعيدت طباعتها فى دول الشرق الاوسط عدة مرات ، وترجمت أيضا الى اللغة الاوردية ، وبعد أن أعيدت طباعتها فيها عدة مرات تم طبعها مؤخرا ( عام ١٩٦٤ ) فى لاهور فى الباكستان وديوباند فى الهند ، وكان نيل ب. ا. بيللى أول المستشرقين الذين ترجموا أجزاء من الفتاوى الى اللغة الانجليزية الا أن ترجمته بالترجمة قد أسقط المراجع ، وفى كثير من الاحيان أسقط مسائل على غاية من الاهمية منها التعليقات والتعليلات ، لدرجة تجعل القارئ الذى لا يستطيع الرجوع الى الاصل يجد كثيرا من عدم التكمال ، بل ويجد أحيانا اختلافات ليس لها أصل فى الطبعة العربية ، وبعبارة اخرى فان كتاب بيللى الذى سماه « مختارات من القساون الاسلامى » هو فى الحقيقة كما يستدل على ذلك من مقدمة الكتاب افتشأت على الموضوع من قبل المترجم نفسه وباستثناء ما جاء فى هذا الكتاب من ترجمات صحيحة لبعض المراجع فانه ليس له أية قيمة أكثر من أى كتاب مدرسى باللغة الانجليزية ، كما أن فصول بعض الكتب المدرسية ككتاب ( الاحوال الشخصية للمسلمين ) لمؤلفه أمير على لا يمكن الاعتماد عليها كدليل فى هذا المضمار ، والسبب فى ذلك يعود الى أن هذه المراجع ذاتها أسوء فهمها فى بعض الاماكن من قبل بيللى عندما كان يستشهد بالنص العربى الاصلى لهذه المراجع ، وقد كان ذلك من الاسباب التى أثرت تأثيرا كبيرا فى التطبيق القضائى الصحيح لمبادئ القانون الاسلامى فى الهند ، حتى أنه يمكن القول بأن الباكستان لم تسلم من ذلك فى ظل قاعدة مرور الزمن التى اعتهدت بموجب نظرية السوابق القضائية **و**أريد هنا أن أستشهد بمثال عملى لسوء الفهم الذى يتبين من قضية

( غاطية بيبى ) ضد ( احمد بخش ) ١٩٠٣ م ، والتي هي دليل حسي على سوء ادراك القانون الاسلامى من قبل المحاكم . الانكلو - هندية ، ومؤلفى السكتب المدرسية فى الهند ، ففى هذه القضية أمىء فهم مبدأ جوهرى من مبادئ القانون الاسلامى ، وهو المتعلق بهرض الموت .

فقد اعتمدت المحكمة العليا فى كالكونا على مجموعتى بيبى وأمير على بغية الاستدلال بالفتاوى العالمكيرية حول النقطة موضوع البحث ، فقد عمى على القضية أن ما جاء فى كتاب أمير على حول هذا الموضوع لم يكن اقتباسا من الفتاوى الاصلية وانما كان اقتطافا من كتاب مجموعة بيبى . فقد ادعى أمير على خطأ بأن المقطع الوارد فى كتابه حول الموضوع كان ترجمة لمقطع كامل من الفتاوى ، وإذا ما قورن هذا المقطع بما ورد حول الموضوع ذاته فى مجموعة بيبى يتبين أن ما زعم أمير على أنه ترجمة مباشرة من الفتاوى لم يكن فى الحقيقة سوى نقل من كتاب بيبى .

وبذلك يكون أمير على الذى يدعى الترجمة المباشرة من الفتاوى قد قام بالفعل بنقل ما جاء فى كتاب بيبى بكل ما تضمنه هذا الكتاب من أخطاء وأغلاط ، ومع أن بيبى كان يتظاهر بالصدق الى حد القول بأن ترجمته كانت تفسير جنبا الى جنب مع ما كان يستخلصه هو نفسه من الفتاوى ( كما تثبت ذلك الحواشى ) فإنه يمكن بسهولة رؤية جزء المقطع من « التعريف الاصح لمرض الموت » الى « يؤدى أو لا يؤدى الى جعلها عاجزة عن ممارسة الشؤون الضرورية فى الداخل » بأنه لم يكن ترجمة لأى مقطع من مقاطع الفتاوى العالمكيرية على الاطلاق ، انها كان ذلك استنتاجا منه من مقطع من الدر المختار الذى كان ذاته عديم الاساس ، وقد خدع جميع القضاة بكتاب أمير على ، وظنوا بأن المقطع جاء من أصل الفتاوى دون أن يحملوا أنفسهم عناء قراءة كتاب بيبى وشروحه الذيلية ، ومع الاسف فإن القضية لم تحصل على الرعاية الكافية من قبل اللجنة القضائية التى عالجت النقطة الاساسية فى دعوى الاستئناف على أنها مجرد مسألة وقائع ، وصدقت على الحكم الصادر من المحكمة العليا فى كالكونا .



وبعد ما لقينا من نور على قيمة الفتاوى العالمكيرية فاننا سنأتى ببعض الملاحظات العامة الهامة ، فى يومنا هذا : أن مسألة جعل القوانين الاسلامية متوافقة ومتناسبة مع مقتضيات الحياة العصرية تشغل بال كثير من الاشخاص المهتمين بالموضوع ، كما أن مسألة التنتين الاسلامى للقوانين فى جمهورية الباكستان هى من ادق المسائل التى تطرح فى يومنا هذا ، ولقد دل التاريخ القانونى فى الهند على أن النظام البريطانى قد ألغى أحكام الاجراءات الاسلامية ( أصول المحاكمات أو المرافعات ) وحتى فى ميدان القوانين الموضوعية تسربت بعض المفاهيم القانونية الانجليزية أو الغربية ، وكان ذلك نتيجة طبيعية من قبل حكومة أجنبية ، وأن ادخال الاساليب الاجنبية جاء سهلا فى نظام الادارة العدلية فى البلاد ، ويمكن القول الى حد ما بأن عدم امكانية تطبيق القانون الاسلامى لعدم توافقه مع متطلبات الحياة العصرية قد تسبب فقط من جراء الفصل بين قوانين الاجراءات الاسلامية وقوانين الموضوع ، ومن المتفق عليه أن الاثنين يشكلان جزءا متكاملان لنظام واحد ، وكل منهما يتأذى من عدم رعاية الآخر ، ولذا فإن الحاجة ماسة للتقيد بقوانين الاجراءات الاسلامية عند تطبيق قوانين

الموضوع ويجب أن يكون هذا دليلاً يهتدى به في مجال تطبيق النظام القضائي ، وهنا تبدو القيمة العصرية العملية والمادية وتظهر المساعدة التي يمكن أن تحصل عليها الإدارات العدلية من الفتاوى المالكية ، موضع تقنين إسلامي نموذجي على أساس مبادئ قانونية تشمل النواحي الإجرائية والموضوعية يمكن بسهولة استخلاصه من هذه الفتاوى ، وبالنسبة للمذاهب الأخرى ، خلاف المذهب الحنفي ، فإنه من السهولة أخذها بعين الرعاية في هذه التقنيات النموذجية عن طريق اعتبار الميزات البارزة والمبادئ القانونية عندما تختلف الآراء بين مذهب وآخر ، وهذه التشريعات النموذجية يجب أن يحتفظ بها كوسيلة لشحذ الذاكرة ، وكمرشد للمحاكم بشكل عام ، وذلك بغية تجنب كل ما من شأنه أن يفتتت على المفاهيم الإسلامية للإدارة القضائية ، وإذا ما أمكن عمل مثل ذلك فإنه يمكن الإقرار بأن معالجة جدية صحيحة لموضوع الاجتهاد الإسلامي يتوجب البدء بها ، وبذلك تتخذ البلاد الخطوات الفعالة في سبيل إقامة أوضاع المؤسسات القضائية وفق التعاليم الإسلامية .

- (١) من المسلم به أن إمبراطور روما كان تحت سيطرة ملكه تيودورا ( وهي امرأة من أصل منقط رفعها الإمبراطور ) وبذلك تسرب التأثير الشططي إلى المجموعة ت. س. ساندز : الأحكام القانونية لجوستنيان ص ٢١ ( ١٩٥٢ لندن ) .
- (٢) المصدر السابق ، راجع أيضا ه. ف. جروفيش : الأسس الرومانية للقانون الحديث ( ١٩٥٧ أكسفورد ) .
- (٣) راجع أ. أ. قادري : الفقه الإسلامي في العالم الحديث ٤٤ ، ٨٢ ، ٨٤ ( ١٩٦٣ بومباي - تريباتي ) .
- (٤) انظر مقدمة الفتاوى المالكية والكتب الثالث عشر : كتاب السير ، شارل هاملتون ، هداية ، مجلد ١ النظرة التمهيدية ص ٨٦ ( ١٧٩١ ) .
- (٥) انظر دائرة المعارف الإسلامية الموجزة ١.٢ ( ١٩٥٣ لندن بريل ) ، انظر أيضا الخريزي ، كتاب الخطط المجلد الرابع ١٢٢ .
- (٦) انظر مثلا : لويس ميلي : مقدمة لدراسة القانون الإسلامي ( ١٩٥٣ باريس : سيري ) ، شكوي قرداهي الفصل ١٤ تنازع القوانين ، في : القانون في الشرق الأوسط ١٩٥٥ واشنطن معهد الشرق الأوسط ) ، جورج يونج ، مجموعة القانون المنماني ( ١٩٠٥ ، ١٩٠٦ أكسفورد ) شارل أ. هوبر : القانون المدني لفلسطين وشرق الأردن . المجلد ١ ( ١٩٣٣ القدس ) .
- (٧) انظر الهداية ( الترجمة الفارسية ) الكتاب ٢١ هاملتون : الترجمة الإنجليزية للهداية المجلد الثاني ٦٨٤ - ٦٩٠ - ٦٩١ .
- (٨) لراجع أخرى عن ( الفتاوى ) والكتب الهندية ، انظر التقارير القانونية للدول التي تطبق الشريعة الإسلامية . انظر مثلا فاطمة بنت محمد ضد محمد بن سالم ٢٠١٩٥ ، ص ١ - ١٠ ص ٧ - ٨ ، رضى بنت عبد الله ضد شريفة بنت محمد بن حامد : استئناف المجلس الفاس رقم ٦٣ في ١٩٦٠ المحكوم فيه في ديسمبر ١٩٦٢ ( دعاوى الدول الإفريقية ) ، انظر أيضا المراجع المذكورة في فيلترجيرالد : القانون المحمدي ( ١٩٢١ أكسفورد ) .
- (٩) انظر مثلا سوينبون : كتاب الوصايا الطيعة الفامسة ( ١٧٢٨ ) القسم ١ الجزء ١٦ ص ٥٩ ل ٤٥ - ١ - ١٢ ص ٥١ ، ١ الف من جوستنيان ، هوايت ضد هوايت ( ١٧٧٨ ) ١ بر. س. س. . ١٢ .

# الطبر

## اعظم رجات السم والعقاي والنفسى

للأستاذ : أحمد مختار قطب

لعل أخطر ما يتعرض له أى مجتمع من المجتمعات هو تشكيكه فى القيم التى يقوم بنيانه عليها ، ذلك أن مجرد النجاس فى ذلك ينتهى بالمجتمع الى الانهيار الكامل ويصير كما قلنا فى مقال سابق غريسة لاي غزو جديد .  
والى جوار الهدم الاصلى فى المجتمع الاسلامى عن طريق اقناعه بأن الدين فى حد ذاته لم يعد صالحا لحل المشكلات التى يواجهها الانسان على الارض وأن دوره يجب أن يقتصر على الغيبيات فقط وأنه أسوة بكل الأديان لا يزيد من كونه مرحلة معينة لابد أن يمر بها الانسان فى مراحل تطوره حتى يبلغ رشده الوجدانى ويغفنيه هذا الرشد عن صوت السماء الذى كان يتخيل أنه يتصل به عن طريق الرسل وأن عليه وقد وصل الى هذه المرحلة ان يعرف سبيله بنفسه وأن يشرعه وينحته من واقع تجاربه تاركا الفروض الغيبية التى كان يفرق فيها الاقدمون .

وهم يسندون هذا الغزو العام بغزو خاص بهدم كل قيمة على حدة ماذا انهدمت القيم كلها انهار البنيان من قواعده وخر السقف على أصحاب العقيدة التى لم يتلقوا قدرا كافيا من الحماية الذهنية لها .

## ● يقوم على الفهم الصحيح للأُمُور

## ● ويكون في اختيار الموقف الآجل على العاجل

فهم يهدمون فكرة التوكل على الله قائلين انها في الاسلام لاتحمل الا معنى التواكل ويهدمون فكرة الصبر قائلين انه صنو الاستسلام ، ويهدمون فكرة التوحيد قائلين انها تبعد بالانسان عن الواقع تمثلا في الاسباب الظاهرة التي يرونها ويهدمون فكرة الايمان بالآخرة زاعمين انها حيلة الضعفاء تعزية عن ضعفهم المتأمل في أمل في معيشة في عالم آخر قد يجدون فيها مايعوضهم وهكذا يمضون في تصوراتهم حتى لا يبقى لدى المسلم الا أن يفر من هذه العقيدة التي تؤدي به الى التواكل والاستسلام وعدم الواقعية ، وخيال العاجزين بمقتضاه شياطين العقائد الأخرى وهو هش تخربت نفسيته وغراها قابل للامتلاء بغتهم. وزخرف قولهم .



ولقد تحدثنا في مقال سابق عن معنى التوكل على الله وكيف أنه شيء مختلف تماما عن التواكل ونتكلم في هذا المقال عن معنى الصبر قائلين أنه على العكس تماما مما يقولون فهو شيء آخر غير الاستسلام .

والواقع أن القرآن الكريم تكلم عن الصبر بمعنى الاستسلام حيث يكون الأمر متصلا بموقف من يعصى الله ثم يجازيه الله على ذنبه فهنا ليس له من سبيل ازاء أمر الله الا الاستسلام والرضوخ لا اختيارا منه ، بل لأنه لا يملك الا هذا الموقف فلا يفلح في دفع عقاب الله عنه شيء فليس هناك بديل عن الصبر وهو هنا بمعنى الاستسلام أو الرضوخ كأمر لا ثاني له وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الطور الآية ١٦ .

« اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم . انما تجزون ما كنتم تعملون » .  
 وفي سورة ابراهيم الآية ٢١ .  
 « وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء . قالوا لو هذان الله لهدينساكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » .

واضح ان هذه الآيات تعنى بالصبر الخضوع والرضوخ والاستسلام حيث لا سبيل ولا طريق الا هو .

اما المعنى الآخر الذى اوردته القرآن الكريم للصبر وهو الذى نقول انه احد اعمدة العقيدة واهم دعامة للنجاح فى الحياة نجاحا يشملها ويشمل الدار الآخرة فهو عبارة عن موقف يتميز بالعزم والصدق حيث يكون على الانسان ان يختار طريقا من طريقين أحدهما فيه طاعة الله وتنفيذ ما أمر به والثانى أيسر من هذا الطريق اذ يستجيب فيه الانسان لاهوائه وميوله أو ربما مخاوفه وهو عندما يختار بين الأمرين يتعرض لضغوط كثيرة قد تؤدى به الى اختيار الطريق الأسهل ... فهو يتعرض لضغوط من داخل نفسه تتمثل فى أهوائه وميوله وضغوط خارجية كمقاومة فتنة الناس وإيثاره السلامة عن طريق مسأيرتهم والتفريط فى طريق الله التماسا للأمن العاجل أو المنفعة العاجلة .

والانسان دائما يواجه بعملية الاختيار هذه وفى كل لحظة من لحظات حياته عليه ان يختار بين أمرين ولكل أمر أسباب داعية لترجيحه وتفضيله وهذه الأسباب تدور بين الرغبة فى العاجل وبين إيثار الأجل فمن يستطيع أن يقدح المتعامل معه ليكسب مكسبا عاجلا يؤثر هذه الرغبة مادام قادرا عليها على كل النتائج الآجلة لاستقامة المعاملات سواء فى الدنيا أو الآخرة والذى يفر عند لقاء العدو يخضع للرغبة فى السلامة العاجلة ، ويؤثرها على كل النتائج الآجلة مهما هبط به الفرار الى أى درك .

والصبر يكون فى اختيار الموقف الأجل على العاجل وهو عندئذ وعندئذ فقط يكون فضيلة .. وهى فضيلة تقوم على الفهم الصحيح للأمور فاختيار العاجل يقوم على الاستجابة غير المحسوبة لأحكام أى موقف يوجد فيه الانسان وأما اختيار الأجل فهو عبارة عن الاستجابة المحسوبة للمواقف .. فإذا مجأ الانسان أمر فمهذه المفاجأة لها حكمها ولها الحل الذى توحى به كل مفاجأة من أثارها أيا كان نوعها فالذى يستجيب لمعاطفة الغضب الجامح فيقتل من أغضبه انما يخضع للظروف المادية التى أحاطت به وقت انفعاله ويجعل لها عليه السلطان الكامل فهى تعمية عن ادراك غيرها وتجعل بصيرته بالنسبة للنتائج التالية فى الدرجة الثانية أو الثالثة أو مادون ذلك بكثير بالنسبة لقدرة تركيزه وتصوره للموقف الآتى الذى يواجهه محددة البصر تكون منصرفة للمحيط المادى فقط ولا تتعداه الى غيره .. وأما الاستجابة المحسوبة فيلزمها بادى الأمر أن يتحرر الانسان من حكم المفاجأة حتى يتمكن من الابصار وهو لا يتحرر الا بالفهم والتحليل الصادق وهذا لا يكون الا بأجراء عملية ضبط سريعة للانفعالات حتى لا يورطه فيها لا يستطيع التخلص منه ثم يباشر عملية ممارسة شاقة لا سبب الحل الأجل حتى تستجيب له الأحداث وهذا هو نصر الله .

فالاستجابة العاجلة تكون خضوعا غير مبصر من الشخص للآثار المادية أو ردودا مباشرة لها . وأما اختيار الأجل فهو التحليل والتروى مع عدم الانخداع بالظهوريات حتى تستجيب الأحداث فيصبح الشخص هو سيد الموقف وليس عبدا له .



والمشاهد أن الإنسان إذا لم يبادر بشفاء نفسه من أي انفعال غوري فإن هذه الانفعالات تنقلب إلى أدواء نفسانية مزمنة ربما يصعب أو يستحيل التخلص منها وتسيطر على الإنسان سيطرة كاملة فانتفعال الغضب الجامح أن لم يمالجه الإنسان بالفهم الصحيح والصبر على هذا الفهم انقلب مع الزمن إلى رغبة في الانتقام والفرار من العدو ينقلب مع الزمن إلى استكاثرة متأصلة في النفس والركون إلى اللذة العاجلة ربما ينتهي بالإنسان إلى التحلل ووهن الشخصية وتبعثرها وهكذا الأدواء النفسية كالأدواء العضوية سواء بسواء أن لم تعالج في البداية انقلبت إلى أدواء مزمنة وربما ضاعت حياة الإنسان هباءً وهو خادم لرغبة خاطئة محدودة هدامة ، فالراغب في الانتقام تكاد تشكل هذه الرغبة الإطار الذي لا يعمده ذهنه وتفكيره مهما كان صاحب ملكات خلقة ، وأسير شهواته ونزواته يجعل هذه الشهوات والنزوات بمثابة التكاليف التي تحمل بها ملكاته العقلية والذهنية ، وهي إما أن تستنفدها أو تبقى منها غائضا ضئيلا .

فالصبر علاج لكل هذه الأدواء النفسية وهو أعظم درجات السمو العقلي والنفسى وغاية ما يطمح إليه الإنسان من تحرر . فالصابر هو الإنسان الكامل القادر على التسامى فوق الأحداث وفوق الانفعالات وفوق المواطن الهدامة .



والمعقيدة الإسلامية كانت وما تزال خير مخرج للصابرين مما من أحد امتنعها من نعم إلا وأحدثت فيه تحولات تدنيه من الكمال بقدر قدرته على هضمها وكلما ازداد هضمه ازداد كماله .

وفي مجال الصبر يرسى القرآن الكريم الدعامة العقلية الأولى له ويقرنه بها وجوداً وعديماً . وهذه الدعامة هي المعقيدة المبنية على التحليل العقلي الذي لابد وأن ينتهي بالإنسان إلى التوحيد وإذا ما اعتقد الإنسان أن الله واحد لا شريك له وأن كل القوى التي تظهر طائفية على سطح الحياة هي قوى من طبيعتها الأول والذهاب وأنه قد تكون لهذه القوى بعض السلطان أو كل السلطان على عقول الناس وهي أن لم يكن لها سلطان على العقول فقد يكون لها سلطان على الإرادات فيمنصرف الإنسان بذلك عن الجوهر إلى المظهر وعما ينفع إلى الزبد وعندئذ تبرز فضيلة الصبر مستندة إلى هذه الدعامة العقلية المعقائدية وهي الثقة بأن **وعد الله حق** وأن كل ما يظهر على سطح الحياة من أحداث تبدو وكأنها ذات قوى فعالة إنما هي مما لا يجوز أن يربط الإنسان مصيره بها وإنما يربطه بما وراءها من إرادة مسيرة ومهما توهم أنه يصارع التيار فلا بد وأن ينتصر لأن الأمر كله لله وليس لهذه المظاهر .

« فاصبر أن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون » .

ووعد الله سبحانه وتعالى بالجزاء الحسن في الدنيا والآخرة إنما يكون للملتزمين لأوامره سواء كانت هذه الأوامر تكليفا بأداء أو بامتناع .. وهذه الأوامر تكون السنة والطريقة المثلى للوصول الأمثل ومهما أبطل ذلك فهو لا بد وائع .

« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم » .

( سورة الاحقاف آية ٣٥ )

ويزود الله المؤمنين بأن وعده الحق بتحليل عقلى عقائدى آخر يثبت به قلوبهم ويعصمهم ان ينخدعوا فى المظاهر ويخرجهم من ظلمات التشكك والارتياب الى نور اليقين .

فعندما كلف المؤمنين بالقتال فى سبيل الله دفاعا عن كيانهم افهمهم ان القعود عن هذا الواجب لن يدرأ عنهم الموت أو يؤخره ... وأن الأخطر من ذلك أن المساومة على النجاة وأن غلغلة العدو بأى وعد معسول لا يجب أن يخفى عنهم الحقيقة وهى أن المهزوم معرض للنتائج الطبيعية لكل هزيمة وهى الخزي والمخلّة ثم لغتته فى كل معتقداته .

« كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة . يرضونكم بأموالهم وتابى قلوبهم وأكثرهم فاسقون » .  
( سورة التوبة الآية ٨ )

وهكذا يمضى كلام الله تعالى فى تبصرة المؤمنين وحياتهم ذهنيا وعقائديا حتى تكون عقولهم فى خدمة ارادتهم عندما يصبرون ولا تكون ممارسة الصبر مجرد امتناع مرهق غير مفهوم « وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا » .

ولن نمضى فى ضرب الأمثال لنوسع القارىء أن يختار أى مسلك فاضل يرضى عنه الله الا ويجد بدل السند أسانيد عقلية تدعمه ولن يجده تكليفا مطلقا فى الهواء بغير أساس ثابت .



والتطبيق الأمثل لفضيلة الصبر نراه فى مسلك الرسول صلوات الله عليه ، فقد كانت حياته كلها امتحانا لتهمسه بهذه الفضيلة وانباتا للنجاح فى هذا الامتحان .

فقد منى فى حياته الخاصة بالكثير مما تنوء به عقيدة الضمفاء وتدفعهم الى البرم والتشكك .

ومنى فى حياته العامة فى سبيل الدعوة بالكثير مما تنوء به النفوس .

وما كان قوله الا أن قال مخاطبا ربه « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » هذا هو التطبيق الأمثل للصبر على الاعتقاد بأن وعد الله حق وما يستتبعه من تنفيذ صارم لكل ما أمر به الله ايجابا وسلبا والسو بهذا الاعتقاد فوق كل أحداث وأزمات .

# رُكُن المُوسُوعَةِ الفَقْهِيَّةِ

## تحرره : إدارة الموسوعة

وتفسير وتطبيق بعض القوانين المعاصرة المستمدة من الشريعة الإسلامية ، سواء كانت هذه الأخيرة صادرا تاريخيا أم رسميا لها ، أو قانونا عاما يرجع اليه في حالة الفراغ التشريعي ، أي عند عدم وجود نص قانوني في موضوع .

\* \* \*

### أولا - الحاجة الى الموسوعة الفقهية لتدعيم وحدة الأمة الإسلامية :

— قد يبدو غريبا أن يكون عرض الخلافات المذهبية عاملا في تدعيم وحدة المسلمين ، بل أن البعض قد أبدى مخاوفه من أن يكون في عرض هذه الخلافات إثارة لروح التحزب المذهبي وتوسيعا لشقة الخلاف . والواقع خلاف ذلك ...

— فإن الهوية القائمة بين أتباع المذاهب المختلفة إنما نشأت واتسعت نتيجة لتجسيد حركة الاجتهاد والنمو الفقهي ، ولتشجيع التقليد العمى لائمة المذاهب دون معرفة الادلة ، وحرص كل فريق

### الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامي

انتهينا في الاعداد السابقة من بحث وجوه الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامي على الصعيد العالمي .

ونتناول بدءا من هذا العدد بحث وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامي .

ونستعرض هذه الوجوه تباعا على النحو التالي :

١ - الحاجة الى الموسوعة لتدعيم وحدة الأمة الاسلامية .

٢ - الحاجة الى الموسوعة لتيسير معرفة الفقه المنتشر في امهات المراجع القديمة .

٣ - الحاجة الى الموسوعة من حيث انها مرحلة تمهيدية للاجتهاد والتشريع المعاصر .

٤ - الحاجة الى الموسوعة لفهم

### وما لك يقول :

انما أنا بشر اخطىء واصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه .  
ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا ويؤخذ من قوله ويترك الا النبي صلى الله عليه وسلم .

كما رفض محاولتين للخليفة ابي جعفر المنصور ومحاولة للخليفة هارون الرشيد لحمل الناس على مذهبه ، وكان مما رد به عليهما :  
ان اصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل مصيب .

### والشافعي يقول :

اذا صح الحديث فهو مذهبي .  
اذا وجدتم في كتابي خلاف مسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلست . كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل بخلاف ما قلت فانا راجع عنها في حياتي وبعد موتي .  
مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل ... الى غير ذلك ...  
ما روى عنه .

### واحمد بن حنبل :

وهو اكثر الائمة جمعاً للسنة يقول : لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الاوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث اخذوا . ( ينظر في هذا المقام كلام ابن القيم رحمه الله في اعلام الموقعين ج ٢ ص / ٣٠١ - ٣٠٢ ) .

على تكثير اتباع مذهبهم ومقاومة المذاهب الاخرى والطعن فيها خلافا لما كان عليه ائمة المذاهب انفسهم من التقدير المتبادل .

— ان الخلاف في الرأي هو طبيعة في البشر ، وان ابحاثه في الاسلام يسر في الدين .

— فطالما ان بعض النصوص تحتل الاختلاف في تفسيرها ، وان بعض الاحاديث مختلف على صحة ورودها ، وان العديد من المسائل التي تجد مع اختلاف الامة وتطور الازمنة وتجدد الحاجات البشرية لم يرد نص يحكمها وتختلف الانتظار في الحكم الملائم لها ، طالما ان الامر كذلك فالاختلاف بين الفقهاء في تفسير كثير من النصوص واستنباط الاحكام منها هو الامر الطبيعي وليس العكس .

— ولقد كان ائمة المذاهب انفسهم لا يجدون حرجا في الرجوع عن رأي أبدوه اذا تبين لهم خلافه أو تغيرت البيئة التي يفتون فيها كما حدث للامام الشافعي عندما انتقل من العراق الى مصر كما نقل عنهم النهي عن تقليدهم تقليدا اعمى ، والامر بترك اقوالهم اذا تبين فيها مخالفة للسنة الثابتة :

### فابو حنيفة يقول :

اذا صح الحديث فهو مذهبي .  
لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه . حرام على من لم يعرف دليلى أن يفتي بكلامي ماننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غدا ... الى آخر ما روى عنه .

وهذا مما يؤكد سماحة الأئمة واتساع صدورهم للخلاف وعدم جهودهم على الراى أو تعصبهم له ...

— ثم خلف من بعدهم خلف تعصبوا لمذاهبهم وأئمتها ، وتقدمهم تقليداً أعمى وصار التقليد هو الأصل بعد أن كان الاجتهاد هو الأصل ، ووضعوا للتقليد قواعد واحكاماً ، وأصبح فى نظرهم أن الآراء التى فى المذاهب الأخرى خاطئة كلها ، ويرى كل فريق منهم أن كل ما قاله الإمام الذى يقلده صحيح لا يحتل الشك بل كل ما يقيسه بكار مذهبه والمخرجون فيه كذلك !! وقد وصل هذا التعصب المذهبى الى أن يقول الكرخى وكانت له رئاسة الفقه الحنفى بالعراق فى منتصف القرن الرابع الهجرى : « كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ » بل وصلوا فى التحيز للأئمة السابقين الى درجة التشاحن فى جدلهم ، وأخذت العصبية تتزايد الى أن بلغت القتال ، وأصبح فى كثير من المساجد أربعة محارب كل واحد لواحد من المذاهب الأربعة يصلى فيه امام باهل مذهبه فينتظرون الصلاة معه دون غيره كأنهم أصحاب أديان مختلفة ...

وإذا كان ذلك قد حدث بين اتباع مذاهب السنة الأربعة ، فإن ما بين السنة والشيعة أو الشيعة والإباضية أشد ويغنى فيه التلميح عن التصريح ...

— وقد ولج من باب الخلاف المذهبى كثير من أعداء الإسلام والمسلمين يؤسمون شقته ويستقلونها لمآربهم الدينية والسياسية أخذاً بقاعدة الاستعمار

الذهبية الرهيبية « فرق تسد » . وقد نجحوا فى تاليب بعض الطوائف على البعض الآخر وناصروا فئة على فئة واستعانوا بقوم على قوم ، كل ذلك على أساس مخطط مدروس حتى أصبحوا أعلم من المسلمين بما بين المسلمين من فرق واختلافات وحزابات وعداوات مذهبية .

— وعلاج هذا الواقع المؤلم لا يكون الا بتوعية المسلمين بدينهم وتبصيرهم بأنهم أمة واحدة كتابها واحداً ، ونبيها واحد ، وإن ما حدث من خلافات فى الأصول أو الفروع إنما مرده اسباب تتعلق بمنهج الاستنباط أو درجة الوثوق بالحديث أو الاختلاف فى تفسير النصوص . . ونحو ذلك وكله محتبل ولا يجوز أن يترتب عليه اختلاف القلوب والتعاضد ، وتفرق الأمة شيعة ...

— وهنا تتضح أهمية الموسوعة الفقهية إذ تعرض الحكم فى كل مسألة من مختلف وجهات النظر موضحة دليل كل راى ، وبذلك تزول حدة الخلاف ، ويحل محله روح التسامح والتيسير ، إذ تتبين الأسباب الحقيقية لاختلاف وجهات النظر والتى نذكر منها :

(١) — غفلة كثير من المتأخرين عن تحذير الإسلام من التشدد فى الدين وعن حثه على التيسير على الناس ...

(٢) — عدم عناية المتأخرين بالتحرى عن ظروف كثير من أوامره صلى الله عليه وسلم وأرشاداته : هل المراد منها أن تكون تشريعا عاماً دائماً ، أو تدبيراً خاصاً ببعض الظروف دون بعض ، وقد يكون لها

قيود وملابس اذا تخلفت لا يبقى الامر او انتهى امرا او نهيا .

(٢) — غفلة كثير من العلماء عن انه صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يجيب السائل او يأمر الرجل بما يناسب حاله هو ، وقد لا يناسب غيره ، فيكون الجواب النبوى خاصا به فلا يعمم على غيره من الناس ممن تخلتف حالهم عن حاله .

(٤) — اغترار كثير من المتأخرين بما نقل اليهم عن سبقهم من دعوى الاجماع فى مسائل ليست فى الواقع — عند التحرى — محل اجماع .

(٥) — تشديد بعض العلماء فى المندوبيات والمواظبة عليها حتى اعتقد بعض العامة انها واجبة بأثم الانسان بتركها ، فزال الفارق المهم بين الفرعى والاساسى من الاحكام ، وما يستتبعه ذلك من التسامح فى الاول دون الثانى ، فكان ذلك من عوامل التنفير .

(٦) — أن يكون العمل الذى حصل من النبى صلى الله عليه وسلم قد حضره جمع من اصحابه ، ولما تفرقوا فى البلاد روى كل واحد جانبا فقط مما حصل لانه هو المتعلق بالتصود البحوث عنه واغفل غيره أو لم ينتبه له . فمن لم يتحرروا الدقة فى مثل ذلك بجمع جميع الروايات لتظهر الحقيقة كاملة تتفرق بهم السبل ويختلّفون ، وينكر كل منهم على صاحبه ما هو حق فى الواقع لا يصح انكاره .

(٧) — ان يخفى على العالم المجتهد حال راوى الحديث ، فيروى عنه مع انه ليس بثقة فى الواقع ،

وبذلك يكون الحكم الذى اخذ من الحديث غير صحيح ، فيخالفه فيه غيره ممن يعلم حقيقة حال الراوى .

( والامثلة على هذه الاسباب كثيرة فليراجعها القارئ ان شاء فى « الاحكام » لابن حزم « ورفع الملام » لابن تيمية « والمواقفات » للشاطبى و « ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين » للشيخ عبد الجليل عيسى « واسباب اختلاف الفقهاء » للشيخ على الخفيف ، وفى غيرها من المصادر القديمة والحديثة ) .

— وسيوضح ايضا نتيجة لمنهج الموسوعة فى عرض اختلاف الآراء الفقهية — ان الخلافات ليست مقتصرة على المذاهب فيما بينها ، وانما حدثت الخلافات الكثيرة داخل المذهب الواحد فاختلف فى كثير من المسائل — داخل المذهب الحنفى مثلا — الامام أبو حنيفة نفسه مع صاحبيه ابى يوسف ومحمد ، كما اختلف أبو يوسف مع الامام ومحمد ، وكما خالف الجميع زفر ...

وهذا نفسه أيضا قائم فى المذاهب الأخرى ... ولم يترتب على ذلك ان انقسمت هذه المذاهب وتعادى اصحاب كل منها فيما بينهم نتيجة لهذه الخلافات الداخلية فى المذهب الواحد . وما ذلك الا لان وجود المذهب وتميزه انها يرجع الى مبادئ واهول يبنى عليها وليس الى العصبية لاصحاب الراى نتيجة اختلافهم مع الراى الآخر ؟

فما صلح سببا لهذا التسامح بين اصحاب المذهب الواحد وان اختلفوا يصلح سببا لتسامح مماثل مع أهل مذهب آخر لان منشأ الاختلاف واحد فى الحالين .

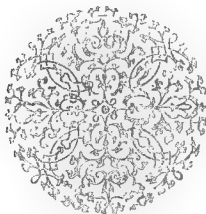
مع رأى الامامية والزيدية والحنابلة ، وهكذا ... أى ان تصنيف المواقف المختلفة لا يأتى على نظام رتيب واحد بأن تكون مذاهب أهل السنة مثلا على رأى واحد وتخاللها مذاهب غير أهل السنة ، أو ان يكون رأى الإباضية مثلا مختلفا على طول الخط مع رأى الشيعة ... ذلك لان الخلاف فى الحقيقة لا يأتى نتيجة التعصب والتحزب وانما للأسباب التى اشرنا الى بعضها ...

نخلص مما تقدم الى ان اخراج موسوعة فقهية تضم آراء المذاهب الاسلامية يحقق مصلحة جوهرية هى تأكيد وحدة الامة الاسلامية رغم تعدد المذاهب الفقهية فيها ، وتنبه اتباع هذه المذاهب الى الاسباب الحقيقية للخلاف فى الرأى مما يخفف حدة النزاع وينشر التسامح ويحقق المبدأ الحكيم بأن نتعاون فيما اتفقتنا عليه ، وان يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ، وهذا أول الطريق نحو الوحدة الاسلامية المنشودة باذن الله .

— ويتضح كذلك من بحث الخلافات الفقهية ان هناك مذاهب أخرى غير التى يتبعها المسلمون الآن اندثرت ولم يسعد لها اتباع كجذهب الازاعى والليث والثورى ... ، بل ان بعضها لم تدون له كتب وانما عرفت آراؤها بمعثرة من كتب التفسير أو كتب المذاهب الأخرى .

— والمذاهب التى بقيت لا يرجع بقاؤها الى حيويتها فحسب وانما الى نشاط اتباعها فى خدمتها وجمعها ونشرها وتعليقها ، وفرضها أحيانا بواسطة الحكام اما مباشرة أو بصورة غير مباشرة نتيجة لتعيين القضاة من مذهب معين . ( تراجع رسالة أحمد تيمور عن انتشار المذاهب الأربعة ) .

— ويتضح كذلك — نتيجة لمنهج الموسوعة فى عرض الخلافات — ان مسألة معينة قد يتفق فيها رأى المذهب الحنفى أو أحد أئيمته — مع رأى المالكية والإباضية ، بينما يتفق المذهب الحنفى فى مسألة أخرى



# الصومال

## نبذة جغرافية

تقع الصومال في الزاوية الشرقية من القارة الافريقية تمتد على الساحل الافريقي المطل على باب المندب ( بوابة البحر الاحمر الجنوبية ) حتى حدود كينيا جنوبا .

وهي بمحاذاة القسم الجنوبي من شبه جزيرة العرب . وتبلغ مساحة الصومال حوالي ٢٧٠.٠٠ ميل مربع . اما سكانها فكلهم مسلمون ينطقون العربية الى جانب لغتهم الافريقية وعددهم يقارب الخمسة ملايين وعاصمة الصومال مقديشيو ، وأهم موانئها بربرة وزيلع وبندر قاسم . ومعظم أراضيها صحراوية وخاصة في الشمال حيث تكثر المراعي والثروة الحيوانية ، أما المناطق الجنوبية وهي التي استولت عليها الحبشة عنوة ففيها أخصب الأراضي الزراعية .

## لمحة تاريخية

تنسب القبائل التي يتألف منها الشعب الصومالي اليوم الى قبيلة قريش العربية التي هاجر بعض افرادها من العرب المسلمين الى الصومال في القرن السابع الميلادي ، وكان على رأس هؤلاء ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم عقيل بن أبي طالب .

قام هؤلاء المسلمون بنشر الاسلام في بلاد الصومال حتى تكونت سلطنات اسلامية في كل من زيلع ومقديشيو ولقد تأسست سلطنة زيلع في القرن الميلادي نفسه ، وما ان جاء القرن الثالث عشر الميلادي حتى اتسعت رقعتها ، وحلت محلها امبراطورية اسلامية سميت امبراطورية العدل ، وكانت تمتد من خليج



## بين الأمس واليوم

عدن حتى مدينة هرر التي تقع تحت مسلمان اثيوبيا فى الوقت الحاضر ، وكان ابرز حاكم لهذه الامبراطورية رجلا يدعى الامام أحمد بن ابراهيم الغازى ( ١٥٠٦ - ١٥٤٣ ) فقد استطاع هذا الحاكم الاستيلاء على اجزاء كبيرة من اثيوبيا ( الحبشة ) وتغلغل قواته شمالا حتى وصلت الى منطقة كسلا فى عام ١٥٣٥ ميلادية كما نجح فى القضاء على القوات الاثيوبية قضاء تاما مما اضطر امبراطور اثيوبيا الى الهرب الى الجبال .

لكن الاثيوبيين استعانوا بالبرتغال فجاءت قواتها لنجدتهم فى عام ١٥٤١ واستطاعت بمعاونة الاثيوبيين الحاق الهزيمة بالامام أحمد ثم تمزقت امبراطورية المعدل عند وفاته فى عام ١٥٤٣ . أما سلطنة مقديشيو فقد ظلت مزدهرة فى القرن الرابع عشر وحافظت على استقلالها حتى القرن السادس عشر ، أما فى مسقط الى عمان وزنجبار وذلك فى مطلع القرن التاسع عشر أعطيت مقديشيو الى سلطان زنجبار ، أما بقية المناطق فقد ظلت مدة طويلة تحت حكم شيوخ صوماليين .

### الاطماع الاستعمارية

لم تنج الصومال من الاطماع الاستعمارية ففى نهاية القرن التاسع عشر وضعت بريطانيا قدمها فى البلاد وجعلت لنفسها منطقة نفوذ فيها ثم تلتها فرنسا التى استولت على منطقة جيبوتى فى الشمال ، وأقامت ما يسمى بالصومال الفرنسى . وبعدها جاءت ايطاليا وأقامت لنفسها منطقة نفوذ فيها تبقى من البلاد .



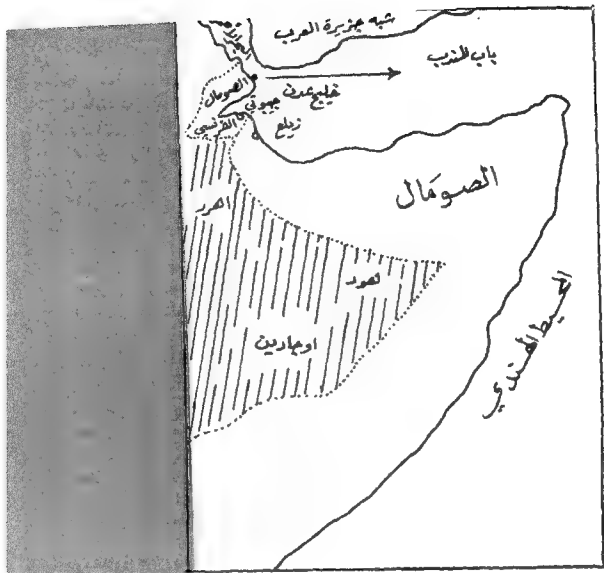
الصومال قبل الاستقلال

## الاستقلال

هب الشعب الصومالي المسلم لمقاومة النفوذ الاستعماري فأخذ يناضل من أجل الاستقلال ، وحارب تحت قيادة السيد محمد بن عبد الله حسن لمدة عشرين عاما ونيف قاوم خلالها كلا من الانجليز والايطاليين لكنه لم يكسب تلك الجولة .

وفي عام ١٩٤١ خرج الحلفاء منتصرين من الحرب العالمية الثانية ، واستولوا على ممتلكات دول المحور فاستولت بريطانيا على جميع الصومال ومنطقة أوجادين وأخضعتها لارادتها العسكرية ، ومنحت أثيوبيا استقلالها بعد أن أخضعها الايطاليون ابان الحرب .

ثم عقدت بريطانيا معاهدة مع الحبشة سلمتها فيها منطقة أوجادين الصومالية وفي عام ١٩٥٠ وضعت الصومال الايطالي تحت وصاية الامم المتحدة وبعدها بقليل سلمت بريطانيا منطقتي هود والمنطقة المحايدة الى الحبشة وهكذا أصبحت ثلاث مناطق صومالية تحت نير الاحتلال الاثيوبي . ثم أعلن استقلال



- خارطة الصومال -

القرن السابع عشر فقد ضمها سلطان مسقط تحت لوائه ولم يتم تقسيم دولة الصومال وبقيت تلك المناطق غير محررة وهاهي تناضل من أجل التحرير ، فقد قامت فيها ثورة يزداد أوارها يوما بعد يوم .

### الموارد الاقتصادية

تعتبر الثروة الحيوانية أهم الموارد الاقتصادية في الصومال فيبلغ عدد الإبل فيها أكثر من مليون ونصف رأس ، هذا بالإضافة إلى الماشية والأغنام ، ومن موارد البلاد الصيد إذ توجد كميات هائلة من سمك التونة في المحيط الهندي ، هذا بالإضافة إلى الثروة الزراعية في الجنوب ، كذلك توجد ثروة معدنية في البلاد ، ويعتبر الصومال من أهم البلاد المنتجة للبخور في العالم .

### الإسلام في الصومال

لما كان انتشار الإسلام في الصومال يعني تسربه إلى بقية مناطق إفريقيا

الشرقية ، فقد قام أعداء الاسلام باغلاق الأبواب دونه وحصره ، ومن ذلك ما قامت به بريطانيا فى منتصف الخمسينيات من تسليم ثلاث مناطق من أخصب بلاد الصومال الى الحبشة ، وبالإضافة الى الثروات الضخمة التى تنتجها هذه المناطق ، والى جانب أسباب القوة التى تستفيدها الحبشة منها لمحاربة المسلمين وتغيير معالم حياتهم أصبحت هذه المناطق بمثابة أقال كبرى أوصدت الباب أمام التيار الإسلامى .

والمعروف أن الصومال لم تتأثر بحملات التبشير المتكررة والإسلام فيها لم يضعف ولم يهن ، بل ظل كيوم دخوله اليها ، بل لقد أدت حملات التبشير النصرانية الى تمسك الصوماليين بدينهم ، وقد حدثنا بعض الأخوة القادمين من الصومال بما يثلج الصدر ، فعلى سبيل المثال لاتجد فى الصومال كلها مسلما يستطيع أن يشرب الخمر علانية مهما أوتى من سلطة حتى غدا ذلك طبيعة الصوماليين ، كذلك فقد لاحظ الأخ الزائر الذى قدم من الصومال أن الصوماليين يتهمون بأخلاق فاضلة فلا يكذبون ولا ينافقون ولا يعتقدون الا فى خالق السماء والأرض ويؤمنون بالعمل والجد ، كما أن لديهم اهتماما خاصا بالمساجد فيقيمون بعض اختياراتهم ببنائها وصيانتها كما أن المساجد زاخرة بالمصاحف الشريفة ، والصوماليون يحافظون على الصلوات الخمس فى المساجد لا فرق عندهم بين صلاة وأخرى .

وهناك تعليم دينى خالص فى الصومال وفى العاصمة معهد دينى ضخم وآخر للدراسات الإسلامية ومدرسة للقضاء الشرعى ، كما أن أكثر المساجد فى المدن تضم دراسات مسائية دينية ، كما أن من أهم المراكز الإسلامية المركز الثقافى الإسلامى الذى يقوم بتنظيم المحاضرات الإسلامية وعرض الأعلام الدينية ، كما أنه يشتمل على ركن خاص بالخدمات الطبية المجانية وركن آخر للمكتبة .

### الطرق الصوفية

وهناك اهتمام كبير بالطرق الصوفية فهناك القادرية والصالحية والرفاعية وقد لعبت هذه الطرق دورا بارزا فى حماية المسلمين من الغزو التبشيري النصراني .

وبعد ، فمما هو جدير بالذكر أن الصومال تعتبر نفسها بلدا عربيا ، ومن هنا تقدمت بطلب للانضمام الى جامعة الدول العربية فهى تهتم بقضايا المسلمين ، وشاركت فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ فأرسلت مجاهدين ولقد آن الأوان أن يعرف العرب المسلمون أخوانهم ، وأن يشدوا على أيديهم فذلك نصف الطريق الى العزة والنصر .

والى حلقة أخرى من اعرف وطنك أيها المسلم والله الموفق .....

# مكتبة المجلة

## الربا ودوره فى استغلال موارد الشعوب

كتاب يتناول فيه مؤلفه الدكتور عيسى عبده السياسات الاقتصادية وتمويل البلاد ، وفرض الاستهلاك وتوزيع الثروات بين الشرق والغرب ، ورؤوس الأموال ، مع عرض عام لجرى الأحداث الاقتصادية بين عام ١٩٥٣ م وعام ١٩٥٩ م . والكتاب ضمن سلسلة مفاهيم اقتصادية التى تصدرها دار البحوث العلمية فى بيروت ويشتمل على ٨٦ صفحة .

## خصائص اجتماعية خالدة

الجزء الاول من السلسلة التى تصدر بهذا العنوان من تأليف فضيلة العلامة الشيخ عبد الوهاب الاعظمى ، وفى هذا الجزء دعوة الى الإصلاح والنهوض بالكرامة البشرية الناتجة فى ببداء الضلالت واحياء العدالة الاجتماعية والرجوع الى رسالة السماء التى تهدف الى الحق ، طبع الكتاب فى مطبعة اسعد ببغداد .

## بدع التفسير فى الماضى والحاضر

كتاب يوضح اتجاهات المفسرين ويبين الانحرافات التى وردت فى كتب المفسرين على اختلاف عصورها ومذاهبها ، وقد جمع مؤلفه الدكتور رمزي نعنانه هذه الافكار المنحرفة والتأويلات المحرفة لكتاب الله ، وأرجعها الى اسبابها ودوافعها التى دفعت بقائلها الى أن يسودوا بها صحائف تفسيرهم . والكتاب يحتوى على ثمان وثمانين صفحة ، ومن منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة الأردنية الهاشمية .

## نظرية الضمان

كتاب يبحث فى نظرية ضمان النفس والأموال بسبب الاعتداء عليها عمدا أو خطأ مع الاهتمام بالنواحي العملية والحدود الواقعية لمشكلة التضمين ، والكتاب يعتبر دراسة مقارنة فى الفقه الإسلامى لأحكام المسؤولية المدنية والجنائية وهو من تأليف الدكتور وهبه الزحيلي أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة دمشق ، ومن طبع دار الفكر ويحتوى على ٣٦٦ صفحة .

## عالم الفكر

مجلة دورية تصدر كل ثلاثة أشهر عن وزارة الإرشاد والأبناء فى الكويت وهى مجلة أدبية علمية تهتم بالموضوعات العصرية فى شتى مجالات الفكر والمعرفة ، وقد صدر منها حتى الآن العددان . الاول والثانى . ويحتوى كل عدد على ٢٨٠ صفحة وتطبع فى مطبعة حكومة الكويت .

## المملكة العربية السعودية عند مفترق الطرق

كتاب من تأليف الأستاذ مهدي خالد السديري . . استعرض فيه تاريخ المملكة العربية السعودية منذ نشأتها الى وضعها الحالى ، وقد أورد فيه فصولا عن التطور الاجتماعى والوضع الاقتصادى فى المملكة والكتاب من طبع دار الكتاب العربى فى بيروت . ويقع فى ١٢٨ صفحة .

قصة  
إسلامية  
قصيرة



## للدكتور: نجيب الكيلاني

كلمات وداع لا ينطق بها اللسان ، ولكنها ترف في القلوب ، وتطل من  
العيون الدامعة ، بل وتلمسها في لفحات الناس وتعبيرات وجوههم ، وهم  
يشهدون محمدا ورجاله يرحلون عن مكة بعد الايام الثلاثة المشهودة التي  
زاروا فيها البيت الحرام وادوا الشعائر ، طبقا لما قرره صلح الحديبية ، وعاد  
محمد والمسلمون الى الطريق الذي سيؤدي بهم الى يثرب ..

وتمتم خالد بن الوليد ، بينه وبين نفسه :  
ذهبوا .. وتركوني وحدي أتمرغ في احوال الضلال والكبرياء الزائفة  
وداعا ايها الرجال لقد أحببتكم برغم الدماء والصراع الرهيب والعداء  
المستحكم ..

وكادت تفلت من عينيه الدموع لولا انه عصى الدمع ، متمالك لأعصابه  
وعواطفه ، وتطلع خالد حواليه ، نفسه تطفح بكراهية شديدة لكل ما يراه ،  
انه يشعر الآن بنفور شديد من الناس والارض .. والبناء .. والحياد ،  
يسمع حوار القوم وصخبهم ، فتتوج نفسه بضيق بالغ واشمئزاز لا حد له ،  
لقد أصبح يشعر بغربة قاتلة ..

أجل .. غربة .. الضحيج من حوله ، والاصدقاء يلقون عليه التحيات ،  
ويتنسمون له ، وأبو سفيان يبش لمقدمه ، ويحدثه عما تطورت اليه الامور ،  
وعكرمة بن أبي الجهل يجادله في امر المearك التي لا بد ان تبدأ من جديد ،  
مظهرا عدم اكتراثه بالصالح المؤقت .. وخالد صامت .. زاهد في كل شيء  
يكره ان يتكلم او ياكل او يشرب .. نومه متقطع مرهق تثقله الاحلام والافكار  
والحيرة .. وشعور الغربة يزداد رسوخا في روحه وعقله .. حسنا ..  
فلماذا الى بيته ، لعله - بين اهله - ينسى ما يعانيه من الآلام واحزان  
وغربة .. ودف الى البيت ذاهلا شارد النظرات ، يشوب وجهه شحوب  
خفيف ، يا للأساسة .. البيت هو الآخر يبدو لعينيه وكأنه سجن ضيق رهيب  
يكاد يكتم انفاسه .. لا يتنسم فيه ريح الالفة أو يشم منه عبير الحنان  
والامان ..

وهتفت زوجه فى قلق :

— ما بك يا ابن الوليد ؟؟

تجنم فى شروء حزين :

— لقد رحلوا ..

— لا أنهم شينا ..

أفاق الى نفسه ، وأدرك أن الكلمات تخرج منه دون وعى فاستدرك قائلا :

— أشعر بكرب شديد ..

لمست جبهته ، فخيل اليها أنها تلتهب ، فهتفت فى قلق :

— أمحوم أنت ؟؟

ابتسم وقد تندى جبينه بالعرق وقال : لا شىء من ذلك .. اننى بخير عندما ينشغل الفكر بأمور خطيرة ينسى كل ما حوله ، تتجسم الأفكار .. تتحول الى أشباح تتحرك ، فيبدو فكرى وكأنه ميدان قتال ، ونهتد فى شىء من الارتياح بينما فغرت زوجه فأها دهشة ، ثم صرخ :

— أيمكن أن يكون كل ذلك زيفا وخداعا ؟..؟

قالت ، وقد استبد بها الخوف والحيرة :

— ماذا ؟؟

قال : الماضى الطويل .. المعارك المدوية .. البطولات العريقة .. الخطب الرنانة .. آرائى التى كان يطرب لها السامعون ، ويصفق لها أشراف مكة .. هل هذا كله كان وهما وسرابا ؟؟ أنا لا أصدق ..

حسنا .. يجب أن أعترف .. الصمت جريمة أحيانا .. الكذب جريمة ، الكلام الزائف دعارة ، والخوف رأس الرذائل ، والمعارك التى ينتصر فيها الشر عار أبدي .. بل هزيمة نكراء لروح الإنسان .. ليس هناك أى عذر لرجل يعرف الحق ولا يعبر عن ذاته .. كان محمد وحده .. ونادى بأعلى صوته أيها الناس انى رسول الله انصرفوا عنه كذبوه سخرؤا منه .. طاردوه .. لكنه قالها ، أية سعادة عظمى شعر بها بعد أن نادى بتلك الكلمات وحده دون خوف أو تردد ؟؟

دقت زوجه على صدرها فى خوف وقالت :

— اننى لا أصدق أذننى .. أنك تهذى .. الصمت جريمة ، الكلمات

دعارة .. ماذا ؟؟

أخذ يلهث ، ويجفف عرقه . ثم جلس وهو يتمتم :

— هل انت هنا ؟؟

— واكرياه .. لقد ألم بك داء خبيث ..

رفع خالد عينيه الى السماء ، وهمس فى خشوع ورقة وضراعة :

— لا أرى سواه ..

— من يا خالد ؟؟

ذلك الذى اترى وجودى ، وأثار بصرى وبصيرتى ، واستطاعت كلماته أن تهزنى من الأعماق ، وأنا الذى تتزلزل الجبال ولا أتزلزل .. دق قلبها ، نذر العاصفة تتجمع فى أفق البيت العريق ، لم يعد الامر خافيا عليها ، لكنها برغم ذلك اقتربت منه ، وجلست الى جواره ترتجف ، ولمست كتفه فى حنان ، فسمعته يقول :

— لقد رحلوا .. تركونى وحدى غربيا .. تسمرت قدمائى فى الارض



القفرة ، وتبيست اعضائى حاولت أن أتحرّك فلم أستطع .. حاولت أن اهتف بكلمة وداع ، فتساقطت حروف الكلمات مبعثرة .. ساخرة دون معنى .. قيود خبيثة كانت تشدنى الى الأرض ، وتخرس لسائى لائى .. لائى خائف .. اتصدقين؟؟ خالد يخاف؟؟ أنت فارس العرب المخوار .. كيف تخاف؟؟  
— أجل ..

وقهقه فى سخرية مرة وقال :  
— بالأمس كانت تلك الكلمات تسكرنى ، أما اليوم فهى كلمات سخيفة تثيرنى : وتتسلل الى نفسى كسهام العار .. أية فروسية تقصدين؟؟ البطولة الحقيقية لم أتوج بها حياتى بعد .. آه .. فى يوم (( أحد )) زحفت بخيلى أريد قتل محمد .. لو حدث ذلك .. لسكرت التاريخ : فى عنق خالد دم نبى .. ولأصبحت سبة الإحبال ..  
قالت فى دهشة :

— دم نبى؟؟  
— نعم ..  
— تؤمن بنبوته؟؟  
— نعم .. نعم .. حينما حطمت القيود وأزحت العصابة عن عيني ، وفتحت نوافذ قلبي وعقلي ، تدفق النور فرايت الحقيقة ، لا يصح أن أقولها هنا .. سوف أخرج الى الشارع ، وأصبح بأعلى صوتي .. أيها الظماء هذا النبع ، أيها الجياع الى الزاد الذى لا ينفد .. يا أبالسة الشر حطموا مزاميركم ، واهرقوا الكؤوس .. وامحقوا الاناشيد اللعينة فاعلمكم هباء .. واقصدوا محمدا ..

وخرج خالد الى الشارع ، وأخذ يحث الخطا مرفوع الهامة ، يدق الأرض بقدميه وكأنه يسحق الخوف والوجوم والزيف ، فرأى جمعا من الناس فقصدهم على الفور ، ورفع عينيه عاليا ، ونادى بكلمات واضحة قوية :  
— أيها الناس ..

لقد استبان لكل ذى عقل أن محمدا ليس بشاعر ولا ساحر ، وإن كلامه من كلام رب العالمين ، فحق على كل ذى لب أن يتبعه ، لكننا انقضت على الرؤوس صاعقة مباغثة ، فأخرست اللسنة وجحظت العيون ، بينما أخذ خالد يشق طريقه بينهم جيئة وذهابا ، ويسدد اليهم نظرات الثقة والاصرار والتحدى ..

لكن قهقهة انطلقت وسط الصمت المثير ، وتقدم عكرمة بن أبى جهل قائلا : — « انه مزاح ثقيل » ..

قال خالد ، وقد تصلبت ملامح وجهه :  
— انظر الى جيدا .. أنت تعرف من أنا ..  
أريد وجه عكرمة وقال :

— لقد صبوت يا خالد وتكرت لدين الآباء ..  
— لم أصب ، ولكنى أسلمت ..  
— والله أن كان أحق قريش ألا يتكلم بهذا الكلام لانت .. لم؟؟ لأن محمدا وضع شرف أبيك حين جرح ..

وقتل عمك وابن عمك بيدر ..  
فوالله ما كنت لأسلم ولأتكلم بكلامك يا خالد ... أما رايت قريشا يريدون قتاله؟؟ لم تثره الصفات القديمة ، ولم يحنقه حديث عكرمة الماكر ، بل رد فى هدوء :

— هذا امر الجاهلية وحميتها لكنى والله أسلمت حين تبين لى الحق .  
وساد هرج ومرج ، وانطلق حملة الانباء يجرون هنا وهناك ليزيعوا  
النبا الخطير ، بعضهم هرول الى ابي سفيان بن حرب ، والبعض الآخر طرق  
الباب الخلفى لهند زوجة ابي سفيان ، وطائفة ثالثة وقفت ، ترقب الاحداث ،  
اترى تسل السيوف من اغمادها ، وتندلع الفتنة ، وتفرق مكة فى بحر من  
الدماء .. وتنهزم مكة من داخلها قبل أن يفكر محمد فى فتحها ؟؟

وتمت عكرمة بن ابي جهل بينه وبين نفسه : لو انقضت قواتنا على  
محمد وصحبه وهم يطوفون بالبيت العتيق لاستطعنا أن نخمد تلك الفتنة ،  
ولاستطاعت الحرب بوجهها وعنفها ودمائها ، أن تسحق كل فكر متردد ،  
أو عابث متمرد ، لكن حماقة (( العقلاء )) المنتسبين بينود الصلح ، قد أضاعت  
الفرصة .. فليجنوا جزء تقاعسهم وحكمتهم الرعديدة .. واختلطت الكلمات  
وحكى الجدل ، وخالد صامد كالطود ، وساد الصمت حينما نادى المنادى :

(( يا ابن الوليد ، ان ابا سفيان قد أرسلنى فى طلبك )) .. وازداد الناس  
شغفا بتتبع الاحداث ، ان رجلين كبيرين عاشمعا ، وحاربا معا ، قد دب  
الشقاق بينهما ، وكل منهما قادر على التحدى ، وهمس أحد الحاضرين فى  
اذن زميله : عندما يتناطح كيشان قويان أشعر بسعادة عظمى ، معركة ممتعة  
لاشك .. واصطدام الرؤوس له صوت جميل ياسرنى ، هيا بنا ..

لا شك ان الحادث قد اثار ابا سفيان لابعده مدى ، حتى انه لم يجادل  
خالدا فى شيء من الهدوء والاناة والذكاء تلك الصفات التى عرف بها ، لقد  
صاح ابو سفيان متوقعا :

— أحق ما بلغنى عنك يا خالد ؟؟

— أجل ..

— واللآل والمزى لو أعلم ان الذى تقول حق لبدات بك قبل محمد ..  
هتف خالد فى اصرار وتحد :

— والله انه لحق على رغم من رغم ..

ارتحت رأس ابي سفيان بدوى عاصف ، هم قاتل يمتزج بحقد هائل ،  
وماض رائع من زمالة الحرب والفكر ، وحاضر اسود يوحى بالقطيعه والقتل  
وشماتة الأعداء ، ومستقبل غامض تتشابك فيه الرؤى والاحداث تشابكا  
مخيفا ، واندفع ابو سفيان نحو خالد يريد أن يهوى على رأسه ووجهه بقبضته  
المتشنجة لكن عكرمة حال بينهما ..

وقال عكرمة فى حزن عميق :

مهلا يا ابا سفيان ، فوالله لقد خفت للذى خفت ، ان أقول مثلما قال  
خالد ، واكون على دينه ، انتم تقتلون خالدا على رأى رآه ، وقرئش كلها  
تبايعت عليه .. والله لقد خفت ألا يحول الحال ، حتى يتبعه أهل مكة كلهم ..

ودمدم ابو سفيان فى حلق ويأس :

اذهبوا عنى ، لا أريد أن أرى وجوهكم ، انفض الناس ، ومضى خالد ،  
بينما بقى عكرمة ، وظل الى جوار ابي سفيان مهموما حزينا ، ثم قال :

لا تأس يا ابا حنظلة .. لن يضير المعركة أن يتخلف عنها رجل ، أطرق  
ابو سفيان مرتعش اليدين وغمغم :

— يا له من رجل ..

وعلمت يثرر باسلام خالد حينما بعث الى الرسول بأفراس أصيلة  
كهدية ، وتعبيرا عن حبه وولائه وبعد أيام شهدت مشارف المدينة ، سيف الله  
خالد ، يدخل خاشعا الى قلعة النور والإيمان ..

# أحمد بن حنبل

مع  
الخالدين

الامام الفقيه الاسلامي الورع احمد بن محمد بن حنبل من بنى شيبان .  
ولد ببغداد في ربيع الاول عام ١٦٤ هجرية ( نوفمبر ٧٨٠ ميلادية ) .  
تلقى علومه الاولى في مسقط رأسه حتى عام ٨٣ هـ ( ٧٩٩ م ) ثم رحل بعد  
ذلك لطلب العلم في الشام والحجاز وانتهى باليمن .  
عنى في هذه الاسفار الطويلة بدراسة الحديث بنوع خاص ولم يأخذ بالرأى  
الا عند الحاجة الماسة ، ولما عاد الى مسقط رأسه حضر دروس الشافعي  
في الفقه وأصوله من عام ١٩٥ الى ١٩٧ هجرية ( ٨١٠ - ٨١٣ م ) .  
منهجه يقوم على الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين والقياس عند  
الضرورة .  
حددت عقائد أهل الحديث وجهة تكفيره في العقائد والشريعة على نحو  
ثباته هذا في عهد الخليفة المأمون والمعتصم والواثق .  
في عهد الخليفة المأمون حدثت غتة القول بخلق القرآن ، وكان ابن حنبل  
أحد هؤلاء الذين أصابهم المحنة ، وفي عهد المعتصم احتل في صبر بالغ ما  
نال من أذى وسجن دون أن يتسahح في شيء من عقائد السلف ، وفي  
عهد المتوكل أخذت الدولة تعود الى مذهب أهل السنة فغفر له الخليفة اليه  
ودعاه الى بلاطه وأجرى معاشا على أسرته دون هلم منه .  
توفي في الثاني عشر من ربيع الاول عام ٢٤١ هجرية ( ٣١ يولية ٨٥٥  
ميلادية ) ودفن في مقابر الشهداء في حي الحرية ببغداد .

من كتبه :

- ١ - المسند في الأحاديث وبه تسعة وعشرون ألف حديث .
- ٢ - الرد على الزنادقة ( كتبه في سجنه ) .
- ٣ - طاعة الرسول .
- ٤ - كتاب السنة .

# مائدة الفارسي

ان اول بيت وضع للناس للذي بمكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات . مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين .

— صدق الله العظيم —

## الحق والقوة :

لا خير في حق لا تدعمه قوة ، وان السابكت عن حقه محروم وان الدخول من باب الذل لا ينتج غير الذل ، ومن لا ينطق بحاجته يكون اولى به الخرس .

## نكاه العرب

صحب رجل كثير المال عيدين في سفر ، فلما توسط الطريق هما بقلعه ، فلما همس بذلك قال : اتسم عليكما اذا كان لا بد لكما من قتلى ان تمضيا الى داري وتشدوا ابنتي هذا البيت .

قالا : ما هو ؟

قال : من مبلغ بنتي ان اياهما لله دركما ودر ابيكما ! فقال ادهما للآخر : ما نرى فيه بامنا .

فلما قتلاه جادا الى داره ، وقال لابنته الكبرى : ان اباك قد لحقه ما يلحق الناس ، والى علينا ان نخبركما بهذا البيت . واخبراهما .

فماالت : ما ارى فيه شيئا تفيراني به ، ولكن صبرا حتى استعنى اخي الصغرى . فاستدعيتها فأتشدتها البيت فخرجهت حاسرة الرأس وقالت : هذان العبدان قتلا ابي يا معشر العرب . .

ما انتم فصحاء ؟

قالوا : وما الذليل ؟

قالت : الشطر الاول يحتاج الى ثان . والثاني يحتاج الى ما يكمله ، ولا يليق ادهما بالآخر !

قالوا : فما ينبغي ان يكون ؟

قالت :

من مبلغ بنتي ان اياهما امي قتيلا بالقتلة مجنونا

لله دركما ودر ابيكما لمن يبرح العبدان حتى يقتلا

فماستخبروها وحققوا معها فوجدوا الامر كما ذكرت .

## المعجوز والوديعة

ذهب رجلان الى عجوز وقال لها : انا نستودعك هذا المال ، على ان تعطيه لنا اذا جئنا معا نطلبه ، وبعد فترة جاء احدهما وطلب المال من المعجوز وقال لها ان صاحبه قد قتل ، فان لصوصا هاجموها فسى الطريق ، فقتلوه . وصدقت المعجوز كلام الرجل فأعادت اليه المال . ثم جاء الثاني عند المعجوز وطلب المال ، فقالت ان صاحبك قال انك قتلت وقد أعطيتك الوديعة ، فليس لك شيء عندي . فذهب الرجل الى الحاكم وشكا المعجوز ، لأنها امتنعت عن تسليم ماله له ففكر الحاكم طويلا ثم قال : هذه المرأة لم تقصر ، وقد اشترطتما عليها ان تعطيكما الوديعة اذا جئتما معا ، فاذهب واحضر صاحبك ، وطالبها باء برد الوديعة !

## حق الله

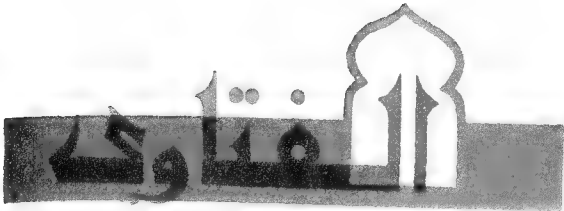
روى ان « عمرو بن عبيد » دخل على معاوية بن عمرو الفلابي وهو يجود بنفسه فقال له : ان الله تمبذك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وبقلبك ووضع عنك في هذه الحال عمل الجوارح ، ولم يكلفك الا العمل بقلبك ، فأعطه بقلبك ما يجب له عليك .

## يا فلسطين :

يا فلسطين سامحيني فانسى كنت في صبرى الطويل ضحية  
ها اتسا اليوم مارد يصرغى الظلم ويهوى الردى ويسأى الدنية  
ومن الظلم يخلق النائر الصلب وتدوى مدافع الحريية  
ماهتني أمى فقد طلع الفجر وثار تلك الخيام الشقية  
— أحمد المقاف —

## النصح الأثيم :

أمر ملك بقتل اسير ، فآخذ يشتم الملك ، فانه وقد يلى من حياته لم يقم وزنا لقر  
اهد ، واذا يلى الانسان طال لسانه .  
وكان الملك يجهل لغة الاسير ، فسأل ماذا يقول : فقال وزير طيب انه يقول :  
« والكاذبين الغيظ والماعين من الناس » فاشفق الملك عليه وعفا عنه .  
وكان في الحضرة وزير خبيث فقال : لا يلى بنا نحن الوزراء ان تكذب على الملك :  
ان الاسير يشتم الملك ويطلق لسانه في سبه .  
فنجهم وجه الملك وقال لهذا الوزير الخبيث : ان كذب صاحبك اذهب الى من صدك ،  
فقد قصد الخير وقصدت الشر ، ولم يعدل الملك عن عفوه .



## مهر السر

### السؤال :

انفقت مع والد زوجتي على صداق قدره الف ليرة سورية وعند عقد العقد طلب مني أن أوافق أمام الناس على أن المهر خمسة آلاف ليرة ، وإن يثبت ذلك في وثيقة الزواج ، وذلك نظرا لمركز الأسرة الاجتماعي ، ولأن بنات الأسرة تأخذ هذا القدر عادة في الصداق وتعهد بأنه لا يطالبني بأكثر من الألف فوافقت ، وتم العقد ولكنه جاء بعد ذلك يطالبني بخمسة آلاف ليرة ، فما حكم الشرع ؟

ق . ش - نرها

### الإجابة :

إذا اتفق العاقدان في السر على مهر ، ثم تعاقدا في العلانية على أكثر منه ، ثم اختلفا إلى القضاء . قال أبو يوسف : يحكم بما اتفقا عليه سرا لأنه يمثل الإرادة الحقيقية وهو مقصد العاقدين .  
وقيل يحكم بمهر العلانية لأنه هو المذكور في العقد ، وما كان سرا فعمله إلى الله ، والحكم يتبع الظاهر ، وهو مذهب أبي حنيفة .

## قدر المهر

### السؤال :

هل هناك حد شرعي لأقل المهر وأكثره ؟

سميد - ن - العراق

### الإجابة :

لم تجعل الشريعة حداً لقلة المهر ، ولا لكثرته ، لأن الناس ، يتفاوتون

فى العسر واليسر ، ويتفاوتون فى العادات والتقاليد ، ولهذا تركت الشريعة التحديد ليتصرف كل انسان على قدر طاقته وحسب حالته وعادات امثاله ، غاية ما جاءت به النصوص الكثيرة أن المهر لا يشترط فيه الا أن يكون شيئاً له قيمة دون نظر الى القلة والكثرة فيجوز أن يكون خاتماً من حديد ، او قدحاً من تمر ، وما شابه ذلك اذا تراضى عليه المتعاقدان ، وقد زوج سعيد بن المشيب من التسابعين ابنته على درهمين ولم يفكر عليه احد ، بل عد هذا من مناقبه وفضائله ، وتزوج عبد الرحمن بن عوف على صداق خمسة دراهم ، واقصره النبي صلى الله عليه وسلم .

والاسلام يحرص على تيسير فرص الزواج لأكبر عدد ممكن من الرجال والنساء ، ليستمتع كل بالحلال الطيب ، ولا يتم ذلك الا اذا كانت وسيلته مثلاً بحيث يقدر عليه الفقراء الذين يجهدهم بذل المال الكثير وهم الاكثرية ، ولهذا كره الاسلام التغالى فى المهور ، وأخير ان المرأة كلما كان مهرها قليلاً كان الزواج مباركاً ، وان قلة المهر من بين المرأة ، عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان اعظم النكاح بركة ايسره مؤنة » وقال : « بين المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها ، وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها » .

وكثير من الناس جهل هذه التعاليم ، وتعلق بعبادات التغالى فى المهور ، ورفض التزويج الا ان يدفع أكثر كان المرأة سلعة يساوم عليها ، وقد ادى ذلك الى كثرة الشكوى ونتج عنه كثير من الشرور والمفاسد ، فليق الله اولياء الأمور ، وليؤثروا الدين والخلق على الفنى والحسب والنسب .

## سن اليأس

### السؤال :

ما هى السن التى اذا بلغت المرأة لم تحض ؟

م - ع - الكويت

### الإجابة :

اختلف العلماء فى سن اليأس ، فقال بعضهم انها خمسون ، وقال آخرون انها ستون . ولكننا اذا استقرنا وتتبعنا احوال النساء ونظرنا فى نتيجة هذا الإحصاء وجدنا ان سن اليأس يختلف باختلاف النساء ، فقد ينقص عن الخمسين وقد يزيد عن الستين ، ولهذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ( اليأس يختلف باختلاف النساء ، وليس له حد يتفق عليه النساء والمراد به فى الآية الكريمة « واللأبى يسئن من الحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر » ان يأس كل امرأة من نفسها لان اليأس ضد الرجاء ، فاذا كانت المرأة قد ينسبت من الحيض ، ولم ترجه فهى آيسة وان كان لها اربعون او نحوها ، وغيرها لا يأس منه وان كان لها خمسون .

## السؤال :

أيسكت عصفورا ولم أجد في ذبحه منفعة تشكر ، فضربت به الجدار فمات ، فهل يعتبر هذا العمل حراما ، وما كفارته ؟  
اسماعيل — ذ — لبنان .

## الإجابة :

الحيوانات التي يحل قتلها شرعا لضررها هي الغراب والحداة والعقرب والفار والكلب العقور والوزغ وما أشبهها في الضرر مثل النمر والفهد والأسد ، أما العصفور فلا يحل قتله . بل يحل ذبحه وأكله ، وقد روى النسائي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من إنسان يقتل عصفورا ، فما فوقها بغير حقها إلا سأل الله يوم القيامة عنها ، قيل يا رسول الله : وما حقها ، قال : يذبحها ويأكلها ، ولا يقطع رأسها ويرمي بها » . وإذا قتلها الإنسان فعليه أن يتوب إلى الله ، وليس عليه شيء .

## ستر العورة

## السؤال :

نشاهد بعض الرجال يصلون ورؤسهم عارية ، وبعضهم يصلى بسرwal قصير لا يستر كل الفخذين ، كما أن بعض السيدات تصلين في منازلهن وتضع رؤسهن غير مغطى ، فهل تصح صلاة هؤلاء وما هي حدود العورة التي تستر في الصلاة ؟

## الإجابة :

ستر العورة شرط من شروط صحة الصلاة . ولو صلى إنسان وجزء من عورته غير مستور بطلت صلاته ، والعورة التي يجب على الرجل سترها في الصلاة هي ما بين السرة والركبة عند جمهور العلماء ، واستدلوا بما رواه أحمد والحاكم والبخاري في تاريخه عن محمد بن جحش قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على معمر وفخذه مكتوفتان ، فقال : غط فخذك فإن الفخذين عورة » .

وبن المرأة كله عورة يجب عليها ستره ما عدا الوجه والكفين فإذا صلت وجزء من بدنها غير مستور غير الوجه والكفين لم تصح صلاتها . عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقبل الله صلاة حائض ( بالغة ) إلا بخمار ( غطاء الرأس ) رواه الخمسة إلا النسائي .

وعن أم سلمة أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم : اتصلي المرأة في درع وخمار بغير أزار ؟ قال : ( إذا كان الدرع ( القميص ) ساتفا يغطي ظهور قدميها ) رواه أبو داود .

ويستحب للمصلي رجلا كان أو امرأة أن يتزين ويلبس انتظ ثيابه للمثول بين يدي ربه الذي يقول : « خلوا زينكم عند كل مسجد » .



# بأقلام القراء

## الصهيونية والاحقاد القديمة

من كلمة كان قد بعث بها الشيخ سليمان حسن عبد الوهاب من علماء الأزهر عن احقاد اليهود حكى فيها :

يقول الظمود ( كتاب مقدس لدى اليهود ) الاسرائيلي خلق من طينة سامة غير طينة البشر وجميع البشر الذين لا يعترفون اليهودية حيوانات لا تغفل وهم خدم واتباع لليهود ، والسماوات والأرض خلقت لليهود ولم تخلق لأحد سواهم ، هم آلهة الأرض ولعل خير دليل نسوقه على محاربة الصهيونية للمسيحيين ما كتبه الأب الأمريكى « هينرى والتز » الذى أصبح صديقا للعرب ، وخرج من الصهيونية ناثبا بعد أن قابل المطران حكيم نفسه فى حيفا وقال الخبر الآتى : « الذى نزل على رأسه كالصاعقة » ، إذ قال له المطران ( ان عدد المترددين على الكنائس للصلاة يتدهور بسرعة نتيجة للارهاب اليهودى ، وأن أراضى المسيحيين العرب تصادر ، كما تصادر أراضى المسلمين وأن منازلهم وأحيانا قراهم ، تهدم عن بكرة أبيها دون سبب وأن قبور الكاثوليك فى حيفا قد نشبها اليهود عام ١٩٥٦ وأنهم أحالوا بعض الكنائس الى استشفيات وثكنات عسكرية وأنهم لا يستطيعون الانتقال من بلدة الى أخرى ولو للعلاج الا بصعوبة بالغة ، وأن الحكومة الاسرائيلية تشجع روح الاحتقار ضد المسيحيين والمسلمين على السواء ) وما نشر هذا التصريح عن الأب الأمريكى والتز ، حتى أصبح هدفا لغارات عنيفة من السفارة الاسرائيلية فى واشنطن والمولدين الصهيونيين فى أمريكا وأن التلمود والتوراة يتلآن بنصوص كثيرة جدا حول احتقار اليهود للأديان الأخرى ، واستباحة دمهم وحقوقهم وممتلكاتهم كما أن الانجيل يحفل بنصوص كثيرة حول وحشية اليهود وخياناتهم الفاجرة ضد الإنسانية ، واليوم قد تجسد أفعال صهيون وتصعد عدوان اليهود على العرب ، وارتفعت درجة الطفيان عندهم الى قمة السفه والطيش والحق والبطش حيث أعلنوا فى وقاحة وكبرياء ضم الأراضى العربية المحتلة الى أرض يهودا ، وأنهم يتخذون الاجراءات التمسسية لامتلاك أرض فلسطين العربية ، ولتكون تلك البلاد العربية التى استولوا عليها منا خلسة واغتصابا من سيناء الى الاردن ومن فلسطين والعريش الى مرتفعات سوريا ، ومن القدس الى الضفة الغربية لنهر الأردن ( اسرائيل الكبرى ) وقد أذاعوا فى صفاقة تعديل مناهج التعليم العربية فى تلك البلاد المفصوبة الى مناهج اسرائيلية وقاموا بحذف بعض

آيات القرآن . التى تشهد بلمنتهم وبغيرهم وهم فى سبيل تغيير اللغة العربية واستبدالها باللغة العبرية اليهودية ، كما ينتشون ادارات للجبارك ليستولوا على رسوم الصادرات والواردات باسم حكومة اسرائيل ، ويجعلون من الاحتلال المهزوز صفة الامتلاك ( اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزي ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ) ولتعلم اسرائيل ان هذا التغيير والتبديل فى الكيان العربى ، واتخاذ الاجراءات التصفية ، من تغيير البطاقات الشخصية العربية الى بطاقات صهيونية استعدادا لتهويد العرب ، ولتحويل هذه البلاد العربية الاصلية الى بلاد اسرائيلية واجراءات اسرائيل هذه ، بجرة قلم أو اذاعة خبر ، امر لا تملكه ولن تقدر عليه . وليس فى استطاعتها ان تنفذ ، لانه سيكون وراء ذلك أحداث عظام لا تطيق مواجهتها ، فاقدم اسرائيل على هذا العمل المخزى ، وقيامهم بتلك الاجراءات السفسفية دليل على نزق عقولهم وذهاب صوابهم . وانهم يسعون الى حثهم بأظافهم ويحفرون قبورهم بأيديهم ، واننا نحن العرب لن نرضى عن هذا الضيم ولن نسكت عن تلك المهانة . ولن نمبر على هذه الرعونة فلا بد ان نقاومهم بكل ما نملك من ارواح ومال وان نكالمهم حتى آخر رمق من الحياة ، وناخذهم اخذا شديدا ، حتى نزيلهم من المحيط العربى ونطردهم من فلسطين وما حولها من الأردن الى سيناء ، وان نخرجهم اذلاء مشردين ، ليعودوا الى حياتهم الاولى ( حياة الفل والتشريد ) الذى الفسوه منذ التواريخ السحيق المتوغل فى القدم ، لان البلد بلدنا . وذلك القطاع العربى المحتل ملك لنا دون غيرنا . والعروبة فيه قائمة من قبل ابراهيم واسماعيل . ومن قبل عيسى وموسى . والعروبة بتلك البلاد متأصلة وثابتة بالتاريخ الصحيح من ايام العرب العاربة التى كانت تسكن تلك البقاع من شمال المحيط الهندى واليمن الى البحر الابيض المتوسط . ولا تزال آثارهم باقية بمدائن صالح بين المدينة وموريا . وكان الكنعانيون يسكنون تلك البلاد من قبل ولادة اسرائيل . سيدنا يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام « بأربعة آلاف من السفين ، وتزويج اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام » من قبيلة جرهم ، التى كانت من نسل يعرب بن قحطان ، وملا الجزيرة العربية بنفسه الطيب المبارك . ثم جاء الاسلام على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والنبي العربى المنزل عليه القرآن الكريم بلغة العرب فازداد العرب تكيئا وتشريفا بتلك الرسالة العربية ، وستبقى هذه العروبة قائمة وتعيش فى بلادها عزيزة مكرمة ، رغم انف الصهاينة الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ..

### ( الكاسيات العازيات )

تحت هذا العنوان بعث الينا الاخ عبد الخالق محمد يونس شركة الخزف والصينى بالقاهرة :

ويح النساء المسافرا ت الوجه فى هذى العمور

برد وفى وقت الحسـرور  
أسواق دنيا بالثـرور  
هيهات تنجـو من ثـرور

العاريات الجسم فى  
البائعات العـرض فى  
فى النار تلقى رغبـها



بعضا لما اشقى الفـرور  
مخز ، ومؤذ للشـرور  
لم أرض تبيانا حـذور  
النفس من ضعيف ثـور  
عـارى حياء لا سفـور  
ينسين من زى ستـور  
أن شئتـموا جازوا الذـور

راحت تعمري بعضـها  
تبدو بثوب غاضـج  
هانت عليها نفسـها  
العين عـفوا أن تـرأه  
يا كل انثى كلـها  
الله اوصى ذاكـرا  
جازوا النسا لا ترحمـوا



صمت الخنا صمت القـبور  
سواء امرؤ ، سواء المـرور  
أو كان ذو حس غـيور  
( مكرو ) ولا يـبـدى نـفور  
تصميم من يدعى ( ديور )  
تاج الحياء غـال المـرور

والزوج بالصمت اكتفى  
يرضى لها ما قد تـرى  
لو كان ذو عقل يعـى  
لم يرض زوجا ترثـدى  
زى السـمى أولـدى ولا  
يا ليت شمـرى يقتـدى



بعد الهدى ، فسق وبـرور  
طيش وفى حبس نسـير  
أثم وبهتان وزور  
هديا وخسران الدهـور  
شرع ، وشرع الله نور  
للذكر نحيـا .. للطـور

يا قوم ما هذا المـرى  
نسعى وراء الفـرب فى  
هذا وباء قد طفـى  
قد ضل من ظن الدجـى  
هل بعد شرع الله مـن  
بالذكر نحيـا ليتـى





# قالت صحف العالم

## حضارة الانسان بين الاسلام والعصر الحديث

تحت هذا العنوان كتبت مجلة الفكر  
الاسلامى اللبنانية فى افتتاحيتها  
تقول :

ان نظرة الاسلام الى الانسان ،  
ومركزه فى الكون ، مختلفة اختلافا  
اساسيا عن النظرة التى تنظر بها  
اوروبا ، وكل مجتمعات الفكر المادى  
الى الانسان ، منذ اللحظة الاولى ،  
لحظة الولادة « ولقد خلقناكم ثم  
صورناكم » واذا كان الانسان فى  
صورته الظاهرة كائنا ماديا بحتا ،  
فليس كذلك فى « تصويره » ،  
والتصوير هو الذى اوضح القرآن  
انه « السمع والابصار والافئدة » ،  
« انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج  
نبتليه فجعلناه سميما بصيرا » .  
والانسان المسلم عندما ينظر الى  
الكون ، ويتحرك فيه ، ويستغله  
لصلحته ، يراعى فى ذلك انه وحدة  
واحدة « ما جعل الله لرجل من قلبين  
فى جوفه » فيها المادة البحتة ، وفيها  
الروحية الانسانية ، التى سماها  
الله عز وجل « تصويرا » ، وهو  
بناء على هذا لا يستطيع ان ينظر الى  
الكون من عل ، ك فكرة مجردة كما  
فعل العقل اليونانى ، كما لا يستطيع  
ان ينظر اليه كمعطى حسى محض

كما فعل العقل الاوروبى ، بل لا بد  
ان تسود الواقعية المعلية الجانب  
الدنى من النظرة الى العالم ، على  
ان تكون محكومة بالغائية الانسانية  
التي هى ميزة الانسان الاولى ،  
فانطلاقا من وحدة الانسان ، الى  
وحدة العالم ، ثم الى وحدانية الله ،  
باعتباره عز وجل غاية الفسايات ،  
ومناط اتجاه الروحية الانسانية فى  
حفاظها على ميزة الانسان الاولى ،  
وهى « انسانيته » ، تتشكل نظرة  
الانسان المسلم الى العالم ، تلك  
النظرة الاخلاقية التى توقف الانسان  
وحده امام الله « وان ليس للانسان  
الا ما سعى » وان سعيه سوف  
يرى « والذى تدفعه بالتالى فى اتجاه  
الروحية الانسانية التى هى عمل  
على جاد ،نى ظل الله ، والعمل فى  
ظل الله ضمان لعدم الانحراف عن  
سواء الصراط » « اقرا باسم ربك  
الذى خلق » ، « فاذا فرغت فانصب .  
والى ربك فارغب » ولا معنى ذلك الا  
حرية الانسان وكرامته ، واستعلاءه  
على الميكانيكية والعنصرية التى حكمت  
انسان العلم الحديث « ويضع عنهم  
اصهرهم والاغلال التى كانت  
عليهم » .

كما نشرت جريدة الاهرام القاهرة  
مقالا للدكتور محمد ابراهيم كاظم  
بعنوان :

معالم تربية اسلامية لعصر حديث

كدين وعقيدة ، وهى العناصر  
المشتقة من مبادئ الاسلام .

### عناصر التربية الإسلامية

أ - إذا اعتبرنا ان المسلمين  
سواسية كائسنان المشط ، وإذا  
التزمنا بان المؤمنين أخوة يسمى  
بذمتهم أدناهم فلا مناص من التسليم  
بان يكون مبدأ تكافؤ الفرص بين  
أفراد المجتمع هو الأساس لى أى  
نظام تربوى اسلامى ، لا فرق لى  
هذا بين غنى ومقير ولا بين ذكر  
وأثلى .

ب - إذا سلمنا بان غاية الخلق  
هو عبادة الخالق « وما خلقت الجن  
والانس الا ليعبدون » فان مهمة  
التربية هى تطوير بصيرة الفرد  
واتاحة الفرص أمامه لكى يصل الى  
الايان ، وان يكون لهذا الايان  
انعكاسات سلوكية حييدة فيكون  
خيرا ، شجاعا فى الحق ، قادرا على  
التفكير لنفسه واتباع الحق ، على  
ان يتم ذلك دون قهر أو اكراه .  
« لا اكراه فى الدين » « وتقولوا  
للناس حسنا » « وقل لعبادى يقولوا  
الذى هى احسن » .

ج - وإذا كان الانسان قد  
استخلف فى الارض ، وسخرت  
لنفعته الشمس والقمر والسموات  
والارض فمهمة التربية أن تمد الفرد  
بكل المعارف التى يصل اليها الناس ،  
كما أن مهمة التعليم أن تشهد قدرة  
الفرد على الوصول الى المعرفة وفك  
أسرار الكون وكشف مجاهله .  
وباختصار فان عناصر التربية  
الاسلامية تتجه بالفرد والمجتمع الى  
مزيد من النمو والكتاية ، ولكن النمو  
الذى نقصده ليس نموا فى فراغ  
ولا الى غير وجهة ، بل نمو متكامل  
متوازن .

قال فيه :

فى ضوء فهم للاسلام كحياة كاملة  
تقوم على الايمان بوحداية الخالق ،  
ايانا تظهر آثاره فى كل سلوك  
للفرد والمجتمع « اياك نعبد و اياك  
نستعين » وفى ضوء تسليم بشمول  
الاسلام كرسالة لا ينظر الى جانب  
منها الا مرتبطا ببقية الجوانب  
« اتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون  
ببعض » وفى ضوء معرفة لظروف  
الحياة الحديثة وتحليل لها وربط  
المصرية والتقدمية بمدى الاستفادة  
بأقصى ما وصل اليه عقل الانسان  
ووضعه فى خدمة الإنسانية ضامنا  
لانطلاق وتقدم دون ليس أو تقليد  
امى لاجتماعات قصر تقدمها على  
نواحي المادة متميزا انسانها المنطلق  
فى فراغ العدم ، حيث ذبل الايمان  
وذبل النور الذى يمشى به هذا  
الانسان ، والذى يعطى لحياته حرارة  
ولوجوده معنى واستمرارا لا ينتهى  
بالموت .

فى ضوء هذا كله لا بد ان يقوم  
للمجتمع المسلم نظام تربوى قادر على  
تخريج أفراد يملأهم الايمان بالله  
والثقة بالنفس كما يمتثلوا بأحاسيس  
الحرية والكرامة مع الرحمة والمحبة .  
وفى واقع الأمر فان للتربية  
الاسلامية عناصر محددة قد تظهر  
فى صور مختلفة باختلاف الامكنة  
والظروف ومراحل التاريخ ، ومن  
الضرورى أن نقبسه الى أن صيغ  
التربية الاسلامية فى عصر من  
العصور ليست بالضرورة صيفا  
لمزجة لعصر آخر .

فالنظام التربوى فى العصر  
الاموى أو العباسى أو قبل ذلك  
ليس أكثر أو أقل اسلامية من أى  
نظام تربوى يقوم فى مجتمع اسلامى  
آخر إلا اذا رجعنا فى حكيما هذا  
للعناصر المحددة الخاصة بالاسلام

# الوعى الإسلامي

بربر

أعداد الأستاذ  
عبد المعطى بيومى

الحيوان هو اتخاذ الملابس وأدوات الزينة ، يقول الله تعالى : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون » .

والحياة وهى تفسير سيرها الطبيعى لا يمكن أن ترجع الى الوراء الا اذا حدث لها نكسة تبدل آراءها وتغير افكارها ، وتجعلها تعود القهقرى ناسية او متناسية مكاسبها الحضارية ورقبها الانسانى .

واذا كان اتخاذ الملابس لازما من لوازم الانسان الراقى ، غاته بالنسبة للمرأة الزم لانه هو الحفاظ البذى يحفظ عليها دينها وشرفها وكرامتها وعفافها وحياها ، وهذه الصفات الزم للمرأة ، ومن اجل هذا كانت الحشمة أولى بها وأحق .

ان اعز ما تملكه المرأة الشرف والحياء والعفاف ، والحفاظ على هذه الفضائل محافظة على انسانيتها المرأة فى اسى صورها ، وليس من صالح المرأة ولا من صالح المجتمع ان تتخلى المرأة عن الصيانة والاحتشام ، ولا سيما وأن الغريزة الجنسية هى أعنف الغرائز وأشدها على الاطلاق ، والتبذل مثير لهذه الغريزة الحيوانية ومطلق لها من عقالها .

ووضع الحدود والسدود

## التبرج

ما هى حدود التبرج المنهى عنه فى الاسلام ؟

وماذا ترون من العلاج لهذه الظاهرة التى جاوزت كسل منطق وتحدثت كل خلق ؟

ماتشة المسلى - الخرطوم

يقول فضيلة الشيخ سيد سابق فى الرد على هذه الرسالة :  
التبرج : اظهار ما يجب اخفاؤه ، واصله الخروج من البرج وهو القمر ، ثم استعمل فى خروج المرأة من حشمتها ، واظهار مفاتنها ، وابرار محاسنها ، وقد ورد التبرج فى القرآن فى موضعين :

الموضع الأول فى سورة النور حيث يقول الله عز وجل : « والقواعد من النساء اللاتى لا يرهون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن » .

والموضع الثانى ورد فى النهى عنه ، والتفكير منه فى سورة الأحزاب قال سبحانه : « ولا تبهجن تبرج الجاهلية الأولى » .

والتبرج غير التزين والتجميل ، فالتبرج مناف للدين والمدنية ، وذلك ان أهم ما يتميز به الإنسان عن

أماها مما يخفف من أخطئها ، ويطهرها من جذوتها ، ويذهبها تهذيباً جديراً بالإنسان وكرامته ، ومن أجل هذا عنى الإسلام عناية خاصة بسلامة المرأة ، وتناول القرآن ملامسها بمفصلاً لحدودها على غير عادة الكتاب الكريم في تناوله المسائل الجزئية بالتفصيل ، فإله يقول :

« يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » .

وتوجيه الخطاب الى نساء النبي وبناته ونساء المؤمنين دليل على أن جميع النساء مطالبات بتنفيذ هذا الأمر دون استثناء واحدة منهن مهما بلغت من الطهر ، ولو كانت في طهارة بنات النبي ونسائه ، ومهما كانت مكانتها من الملم والثقافة .

ويولى القرآن هذا الأمر عناية بالغة ، ويفصل ذلك تفصيلاً نبيها ما يهل كشفه وما يجب ستره ، فيقول سبحانه :

« وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدین زينتهن الا لبعولتهن » .

حتى ولو كانت المرأة عجوزاً لا رغبة لها ولا رغبة فيها يقول الله عز وجل : « والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن » .

ويهتم الإسلام بهذه القضية ، فيحدد السن التي تبدأ بها المرأة في الاحتشام ، فيقول عليه الصلاة

والسلام « يا أسماء ان المرأة اذا بلغت الحيض لم يصلح لها أن يرى منها الا هذا وهذا .. وأشار الى وجهه وكفيه » .

وأبداء المرأة مفاهاها ، وتكشفها وعريها يسلبها أخص خصائصها ، ويهبط بها عن مستواها الإنساني ، وفي عهد النبوة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بعض مظالم التبرج فبلغت نظر النساء الى أن هذا فسق عن أمر الله ، ويردنه إلى الجادة المستقيمة ، ويحمل الأولياء والأزواج تبعاً ذلك الانحراف ، وينذرهم بذاب الله .

١ - عن موسى بن يسار قال : مرت بأبي هريرة امرأة ريحها تعصف فقال لها : أين تريدين يا أمة الجبار ؟ قالت الى المسجد ، قال : وتطيت ؟ قالت : نعم . قال : مارجمي فاغتسلي فأتني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقبل الله صلاة من امرأة خرجت الى المسجد وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل » .

٢ - وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد دخلت امرأة من مزينة ترمل في زينة لها في المسجد فقال النبي « يا أيها الناس : أنهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد فإن بني اسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبختروا في المسجد » .

وقد بلغت طمارة التبرج في عصرنا هذا مبلغاً يباه كل خلق وكل دين ، فأصبح من المعتاد أن يجسد المسلم المرأة المسلمة مبتذلة ، عارضة مفاهاها ، خارجة في زينتها كاشفة عن صدرها ونحرها وظهرها وذراعيها وساقها وما فوق ساقها ، ولا تجد

## أدعياء الطب

مرض ابني ، فأشار على بعض الناس بعرضه على رجس يمارس علاج المرضى دون اجازة رسمية ، وكانت نتيجة العلاج أن فقد ابني إحدى عينيه ، فهل هناك مسئولية قانونية وشرعية على هذا الرجل المالح .

سيد الهاشمي - البصرة

لم يختلف العلماء في أن الإنسان إذا لم تكن له بالطب دراية فعالج مريضاً فأسبته من ذلك العلاج عاهة ، فانه يكون مسئولاً عن جنايته ، وضامناً بقدر ما أحدث من ضرر لأنه يعتبر بهذا متعمداً ، ويكون الضمان في ماله ، روى أبو داود والنسائي وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تطيب ، ولم يعلم منه قبل ذلك الطب فهو ضامن » .

وقال ميد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : حدثني بعض الوفد الذين قدموا على أبي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيها طبيب تطيب على قوم لا يعرف لك تطيب قبل ذلك فاعتت ( أضر بالمريض ) فهو ضامن » .

وأما المسئولية القانونية المدنية فيقع هذا الدعي تحت طائلتها ، وقبل أن تلوم هذا المشعوذ يجب أن تلوم نفسك وأنت ولا شك تتحمل أمام الله عز وجل مسئولية هذا الضرر الذي أصاب ابنك بلجؤك إلى هؤلاء المشعوذين ونحن في زمن تيسرت فيه وسائل العلاج .

غضاضة في ذلك ، وأصبح من المألوف أن تعتمد مسابقات الجمال تبرز المرأة فيها أمام الرجال ، ويوضع تحت الاختبار كل جزء من بدنهما ، ويقاس كل عضو من أعضائها على مراهي ومسمع من المتفرجين والمتفرجات والمعاينين والمبايحات ، وللصحف وغيرها من أدوات الاعلام مجال واسع في تشجيع هذه السفافات ، والتفكير بالمرأة للوصول بها إلى المستوى الحيواني الرخيص .

وقد بلغ هذا الانحراف حداً لم يكن يخطر بالخطر ولا مناص من وضع خطة حازمة للقضاء على هذه الظاهرة ونرى أن ذلك يكون باتخاذ ما يأتي :

١ - نشر الوعي الديني وتبصير الناس بخطورة الاندفاع في هذا التيار المجر .

٢ - سن قانون يحمي الاخلاق والآداب ومعاينة من يخرج عليه بشدة وحزم .

٣ - منع الصحف وجميع أدوات الاعلام من نشر الصور العارية ، ووضع رقابة على مصممي الأزياء .

٤ - منع مسابقات الجمال والرقص الفاجر ، وتحجير كل ما يتصل بهذا الأمر .

٥ - اختيار ملابس مناسبة تتفق مع حكم الاسلام .

٦ - يبدأ كل انسان بنفسه ، ثم يدعو غيره مع الاشادة بالفضيلة والصيانة والتستر ، وسفل أوقات الفراغ حتى لا يبقى مجال لهذا العبث .





اعتماد ع.ع

**الكويت :** تفضل حفرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم في ٧٠/١٢/٥ غلفت اجتماع الثاني للدورة الرابعة لمجلس اتحاد الجامعات العربية وهنأ، توزيع الشهادات على فوجي اللغة الأولى لجامعة الكويت .

● قام سمو الأمير نواف، بن عبد العزيز المستشار الخاص لجلالة الملك فيصل بزيارة للكويت وقال ان الغاية من زيارته هو زيادة توثيق الروابط الأخوية القائمة بين البلدين الشقيقين .

● صدر بيان عن التحولات في سياسة التعليم وتطورها، النوعي بالكويت بحيث أصبح يشمل أنواعا جديدة من المعاهد المهنية بحيث تنمى السياسة العلمية مع السياسة الاقتصادية والاجتماعية .

● بعثت الكويت في الشهر الماضي عشر شاحنات كبيرة تحمل ١٢٠ طنا من المواد الغذائية والحبوب والبطانيات الى الأردن لمساعدة منكوبي الفتنة بين الجيش والفدائيين .

● تبدأ هذا الشهر الانتخابات لاختيار أعضاء مجلس الأمة الجديد .

● دعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لتشديد مراقبة لاستقبال الحجاج الذين يهرون بها في طريقهم الى الحج وقد زودت المدينة بكافة المرافق اللازمة .

● أقيمت صلاة الغائب في الشهر الماضي على شعاعيا الإعصار في باكستان الشرقية .

**القاهرة :** خرجت بعثات دبلوماسية الى مختلف دول الصلح بعد ان أعلن الرئيس أنور السادات أن الجمهورية العربية المتحدة لا يمكن ان توافق على تجديد فترة وقف إطلاق النار مرة ثالثة الا اذا كان هناك جدول زمني لاتسحاب إسرائيل من المناطق العربية المحتلة .

● ستشأ جامعة ازهرية جديدة خاصة للبنات .

● تقرر إنشاء معهد ديني في محافظة مطروح لا يستيعب الطلاب الراغبين في التعليم الديني من محافظات طبرق ومطروح والواحات .

**السعودية :** أصدرت وزارة الصحة بيانا أعلنت فيه سلامة الأماكن المقدسة من أي وباء وأن المملكة تستقبل الحجاج كل عام نيا لاشاعة بخلاف ذلك .

● بدأت البلاد منذ الشهر الماضي تستقبل وفود الحجاج الى بيت الله الحرام ، وقد اتخذت الترتيبات الصحية لتجنب الحجاج أي خطر من أي مرض .

**العراق :** ستساهم الكويت بمبلغ ٣ ملايين دينار لتمويل مشروع المحطة الكهربائية على سد سامراء في نطاق التعاون الاقتصادي بين البلدين .

**الأردن :** تجددت الاشتباكات في أوائل الشهر الماضي - للمرة الثانية - بين الجيش الأردني والفدائيين الا ان اللجنة العربية اراقية تنفيذ اتفاقية القاهرة وعبان استطاعت اخفاء الاشتباكات .

● أعلن وزير شؤون المهاجرين في إسرائيل ان إسرائيل تتوقع وصول ربع مليون يهودي في السنوات الخمس القادمة الا انها فشلت في اقناع مائة ألف يهودي هاجروا من إسرائيل بالعودة اليها .

**سوريا :** زار سوريا رئيس الوزراء اللبناني في محاولة لتوثيق الروابط واعادة التعاون بين سوريا ولبنان عقب تشكيل الحكومة السورية الجديدة .

لبنان : وجهت رابطة مشروع بيت مال المسلمين لجباية غريضة الزكاة وتنظيمها منكرة الى المجلس الاسلامي الاعلى بشأن عقد جلسة مفتوحة لاطلاع الراى العام على المشروع الذى يقرر مدخوله بنحو ٥٠ مليون ليرة لبنانية .

ليبيا : يمد رحيل الايطاليين الذين كانوا فى ليبيا تحولت الكانترانيتان الايطاليتان الى مسجدين وافتتحنا يوم عيد الفطر حيث اقيمت شعائر صلاة العيد فى كل منها .

تونس : قرر الرئيس التونسي الاسراع فى ترميم جامعى الزيتونة والقيروان وعدد من الجوامع التاريخية من ميزانية رئيس الجمهورية .

الجزائر : اعلن الرئيس يومدين ان عام ٧٠ شهد حل المشكلة بين الجزائر والمغرب وقال ان اقامة المغرب الكبير لا يتعارض مع الوحدة العربية .

المغرب : افتتح فى المغرب فى الشهر الماضى سد تبلغ تكاليفه ١٢ مليون جنيه استرلينى ساهمت ايران بنسبة ٥٥% بينما ساهمت الكويت بالباقي .

● اعلن جلالة الملك الحسن فى حفل اعتماد مسفير تونس لدى المغرب اننا عازمون على تشييد صرح المغرب العربى الكبير (انذا) نمول على الرئيس بورقيبة فى هذا السعى .

#### تركيا :

● انشئت فى استانبول وكالة انباء اسلامية باسم وكالة الانباء الشرقية لأخبار العالم الاسلامي وقد بدأت الوكالة عملها فى اذاعة ونشر الاخبار الاسلامية .

● اعلن معهد الاحصاء التركي ان عدد السكان فى تركيا بلغ وفق آخر احصاء سنة ١٩٧٠ م ( ٢٥/٦٦٦/٥٤٩ ) .

باكستان : قام وفد تجارى ماليزى بزيارة الى باكستان فى نطاق تدعيم التعاون التجارى والصناعى بين البلدين المسلمين .

#### الهند :

● عقد الطلبة الخريجون من الجامعة الاسلامية بعليقرة اجتماعا فى دلهى لبحث الوضع الناجم من مشروع قانون تعديل الجامعة المقدم الى البرلمان الهندى .

ماليزيا : قبلت ١١ دولة الدعوة للاشتراك فى المباراة الدولية السنوية فى تلاوة القرآن التى ستبدأ فى ١٧ يناير ١٩٧١ وهذا الدول هى باكستان ايران ماليزيا تايلاند كمبوديا الهند اندونيسيا سنغافورة برونى هونجكونج .

كينيا : انشا التجمع الاسلامى فى كينيا جمعية اسلامية وطنية جعل مقرا نيروبي وهدفها العمل على تنسيق جهود الجمعيات المختلفة فى نشر الدعوة الاسلامية بمختلف الوسائل .

فيينا : صدرت فيينا عدة دجبات برتغالية للاطاحة بنظام الحكم فى البلاد وقد بعث الامم المتحدة بلجنة لتقصى الحقائق واصدرت المنظمة الدولية بيانا يدين فيه البرتغال .

#### اخبار متفرقة

فرنسا : قررت عدة جامعات فرنسية تدريس اللغة العربية لطلابها كلفة ثانية وانتدبت لهذه المهمة مدرسين عرب .

اليونسكو : ايدت اللجنة الادارية لمنظمة اليونسكو فى دورتها الحالية جعل اللغة العربية لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغات الرسمية للمنظمة .

لندن : وجهت الجمعية الاسلامية فى مانشستر بيانا الى المسلمين فى العالم يناشداهم فيه بالتبرع لاكمال المركز الاسلامى فى مانشستر والذى يتكلف مائسة الف جنيه استرلينى وجميع منها ١٨ الفا .

عقب اصدار قانون بابااحة الطلاق تقدم حتى الآن حوالى ٢٧ الف طلب من رغبة الطلاق .

## « الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتناديا لمضاياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عقدنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتهمدين :

**القاهرة :** شركة توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة .

**مكة المكرمة :** مكتبة الثقافة للصحافة .

**المدينة المنورة :** مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين ضياء .

**الرياض :** مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

**الطائف :** مكتبة الثقافة للصحافة .

**جدة :** الدار السعودية للنشر — ص.ب ( ٢٠٤٣ )

**الخبر :** مكتبة النجاح الثقافية — السيد محمد سعيد بابيضان .

**بغداد :** المؤسسة العامة للصحافة والنشر .

**البحرين :** المكتبة الوطنية ومروعا — النامة — السيد فاروق ابراهيم عبيد

**قطر :** السيد عبد الله حسين نعمة

**عدن :** وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

**حضر موت :** مكتبة الشعب — ص.ب ( ٢٨ ) المكلا .

**دبي :** مكتبة دار الحياة ص.ب ١٨٨٤ .

**مسقط :** المكتبة الحديثة / يوسف فاضل .

**صنعاء :** مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

**عمان والقدس :** وكالة التوزيع الاردنية — السيد رجا العيسى .

**دمشق :** الشركة العامة للمطبوعات ص.ب ٢٣٦٦

**تونس :** الشركة العربية للتوزيع — بيروت .

**بيروت :** الشركة العربية للتوزيع — بيروت — ص.ب ( ٤٢٢٨ ) .

**الخرطوم :** الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص.ب ( ٢٤٧٣ ) .

**مراكش :** الدار البيضاء — مكتبة الوحدة الوطنية — السيد أحمد عيسى .

**ليبيا :** طرابلس الغرب — ص.ب ( ١٣٢ ) — السيد محمد بشير الفرجاني

**بنغازى :** مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ( ٢٨٠ ) — السيد الشعالى الخراز

**الكويت :** مكتب منار للتوزيع ( ٢١ ) شارع عهد السلام ص.ب ( ١٥٧١ )

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

## أقرأ في هذا العدد

٤	.....	الجامعة	النطق السامي الكريم في احتفال
٦	.....	حديث الشهر	لدير ادارة الدعوة والارشاد
٨	.....	من هدى السنة ( من الكلم الطيب )	د. على عبد المنعم عبد الحميد
١٢	.....	الضمير	د. احمد الحوفى
١٩	.....	الأحاديث الضعيفة والقوية	للاستاذ محمد ناصر الدين الألبانى
٢٠	.....	نداء ( قصيدة )	للاستاذ بكر موسى
٢٢	.....	المعتدون على الفقه الاسلامى	د. وهبه الزحيلي
٤٣	.....	النشاط الصهيونى الأمريكى	لطالع كخير
		منزلة العبادة فى المسجد الحرام	
٤٨	.....	والمسجد النبوى	للشيخ محمد الأشقر
٥٤	.....	فلينظر الانسان مِم خلق (٣)	د. محمد سلام مذكور
٥٩	.....	شاعر الرسول	للاستاذ حسن القضاة
٧٠	.....	الفتاوى المالكية	للاستاذ أنور أحمد قادى
٧٨	.....	الصبر	للاستاذ أحمد مختار قطب
٨٣	.....	ركن الموسوعة	تقريبه ادارة الموسوعة
٨٨	.....	الصومال بين الأمس واليوم	اعداد : ادارة الشؤون الإسلامية
٩٣	.....	المكتبة	
٩٤	.....	سيف الله ( قصة )	للكور نجيب الكيلانى
٩٩	.....	أحمد بن حنبل	
١٠٠	.....	المائدة	
١٠٢	.....	الفتاوى	التحرير
١٠٥	.....	بأقلام القراء	التحرير
١٠٨	.....	قالت الصحف	التحرير
١١٠	.....	بريد الوعى	التحرير
١١٢	.....	الأخبار	اعداد الاستاذ عبد المعطى بيومى